روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً!!

د. نبيل فاروق

ڤودو

135

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدُّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدَّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - إصبع الشيطان ..

زفر (أكرم) فى عصبية وتوتر ، وهو يقف أمام تلك المرآة الكبيرة فى منزله ، ويحاول عبثًا عقد رباط العنق الفراشى الصغير ، حول ياقة قميصه الأنيق ، ثم لم يلبث أن هتف فى حنق ، وهو يلقيه بعيدًا :

- لست أدرى لماذا الإصرار على حضور هذه الاحتفالات السخيفة ؟! إننى أكره تلك الالتزامات الرسمية تمامًا .

تنهَّدت (مشيرة) ، محاولة السيطرة على أعصابها بقدر الإمكان ، وهى تقول :

- أعلم هذا جيِّدًا .. كلنا نعلم أن طبيعتك تنفر من كل التزام ، ولست حمقاء ، لأدفعك إلى مرافقتى فى حفل ، أعلم أنك تبغضه كل البغض ، لأننى واثقة من أن هذا سيضعنى فى مجموعة مواقف أشبه بالكوارث الطبيعية ،

ولكنك تعلم أن الجميع مدعوون إلى هذا الحفل بالذات .. (نور)، و(سلوى)، و(نشوى)، و(رمزى)، وأنك بالذات ضيف الشرف هذه المرة، بسبب بطولتك فى التعامل مع محاولة الغزو الأخيرة(*) ..

هتف مستنكرًا، وهو يلتقط رباط العنق مرة أخرى فى سخط :

ـ بطولتى ؟! أية بطولة ؟! (س ـ ١٨) هو الذى حسم الأمر فى النهاية، وانتزع كل البطولة، على نحو محبط .

ابتسمت، قائلة :

ـ هذا لايمنع من أنكم بذلتم كل جهد ممكن .

لوّح بيده فى حدة، هاتفًا :

ـ كنت أتمنى أن نختم هذا بلمسة بشرية أيضًا .

أزاحت يده عن رباط العنق، وراحت تعقده بأصابعها الرقيقة، فى سرعة ومهارة، قائلة :

(*) راجع قصة (سادة الكون) ... المغامرة رقم ١٣٤ .

ـ المهم أن عالمنا قد أصبح آمنًا يا زوجى العزيز .

مطّ شفتيه، وهزّ رأسه، مغمغمًا :

ـ صدقت .

تراجعت تلقى نظرة شاملة عليه، وهو يلتقط سترته، ويرتديها، وعادت تبتسم مغمغمة :

ـ هل تعلم أنك وسيم بحق ؟!

تطلّع إليها، متسائلاً فى اهتمام :

ـ أتعتقدين هذا حقًا ؟!

مالت تطبع قبلة على خده، قائلة :

ـ بل أنا واثقة من أن زوجى هو أكثر رجال الأرض وسامة .

عبارتها هذه أثلجت صدره، وأضفت عليه مرحًا شديدًا، طوال طريقهما إلى الحفل، المقام فى متحف الآثار الحديث، عند هضبة أهرامات الجيزة ..

ولكن ما إن لاحت له أضواء المكان المبهرة، حتى استعاد عصبيته، وهو يقول :

ـ أراهن على أننا سنجد كومة من الصحفيين ورجال الإعلام فى انتظارنا .

ضحكت ، قائلة ، وهى توقف السيارة فى ساحة الانتظار :

ـ بالتأكيد ، فأنا وحدى أرسلت جيشًا منهم .

مطَّ شفتيه ، وغادر السيارة ، وهو يقول فى عصبية :

ـ يا للسخافة !

تأبطت ذراعه فى فخر ، على الرغم من توتره ، واتجها معًا نحو مدخل المتحف ، وما إن لمحهما رجال الصحافة والإعلام ، حتى هتف أحدهم :

ـ ها هو ذا البطل .

تراجع (أكرم) خطوة ، بحركة غريزية متوترة ، وراودته فكرة أن يدور على عقبيه ، ويعدو هاربًا بأقصى قوته ، إلا أن الفكرة لم تكن قد اكتملت فى رأسه بعد ، عندما وجد نفسه محاطًا بالصحفيين ورجال الإعلام ،

وتسلَّطت عليه كل الأضواء ، وانهالت عليه عشرات الأسئلة ، فابتسمت (مشيرة) مغمغمة فى زهو :

ـ هيا .. انتقل إلى عالم اليوم .

ومن نافذة الطابق الثانى للمتحف ، شاهد (نور) ورفاقه مايحدث ، فضحك (رمزى) ، قائلاً :

ـ مسكين (أكرم) .. إنه لايحتمل عواقب الشهرة أبدًا .

ابتسم (نور) قائلاً :

ـ صدقنى أفضل ما فى (أكرم) فطرته وتلقائيته .

هتفت (نشوى) :

ـ ولكنه ما زال يحيا فى بدايات القرن العشرين .

أشارت (سلوى) بسبَّابتها ، قائلة :

ـ لاتنسى أنه ينتصر أيضًا على كوارث القرن الحادى والعشرين .

غمغم (نور) :

ـ بالتأكيد .

ثم التفت إلى (رمزى) متسائلاً :

- تُرى ماذا سيعرضون الليلة ، فى القاعة الجديدة ؟!

أتاه صوت مألوف ، يقول فى مرح :

- تاريخ السحر بالطبع .

استدار الكل إلى مصدر الصوت ، وهتف (نور) ، فى سعادة وحرارة :

- دكتور (حجازى) .. كم تسعدنى رؤيتك هنا .

صافحهم الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين ، فى حرارة ومودّة ، وهو يقول مبتسمًا :

- أنت تعرف أنه لايمكن أن يفوتنى أمر كهذا يا (نور) .

سأله (نور) فى اهتمام :

- أمر مثل ماذا يا دكتور (حجازى) ؟!

تراجع الدكتور (حجازى) ، لينظر إليه فى دهشة ، هاتفًا :

- ألا تعلم حقًا ؟! عجبًا ! كنت أظن أن أمرًا كهذا لايمكن أن يفوتكم أبدًا !

هزّت (سلوى) كتفيها ، قائلة :

- تعلم أننا كنا مشغولين كثيرًا ، فى الآونة الأخيرة .

هزّ رأسه متفهمًا ، وهو يغمغم :

- آه .. بالتأكيد .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، ليتابع فى اهتمام :

- القاعة الجديدة فى المتحف ، تحوى بعض الآثار الفرعونية ، التى تم العثور عليها ، فى قلب (إفريقيا) .

هتفت (نشوى) فى دهشة :

- آثار فرعونية فى قلب (إفريقيا) ؟! هل امتدت الحضارة المصرية القديمة يومًا إلى هذا المدى ؟!

أشار الدكتور (حجازى) بسبّابته ، قائلاً :

- إنها المرة الأولى ، التى يتمّ فيها العثور على آثار فرعونية سليمة ، فى هذا العمق ، ولكن الأمر لايقتصر على هذا فحسب ، وإنما يمتدّ إلى حقائق مذهلة أخرى .

جذب الحديث اهتمام الكل ، فسألته (سلوى) ، فى شغف وفضول :

ـ أية حقائق ؟!

اعتدل الدكتور (حجازى) ، وشدّ قامته ، قائلاً :

ـ أوّل مايدهش فى الأمر ، هو أن البعثة ، التى توصلت إلى هذا الكشف الأثرى المذهل ، لم تكن تضمّ عالم آثار واحدًا .

قال (رمزى) فى دهشة مبهورة :

ـ حقًّا ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا وتأكيدًا ، قبل أن يقول فى حماسة :

ـ الحملة كانت تضمّ ثلاثة من العلماء فحسب .. الدكتور (فريد عبد الخالق) ، والدكتورة (عبلة سمير) ، وهما من علماء التاريخ الطبيعى ، والدكتور (مينا منير) ، أستاذ علم الجيولوجيا ، والثلاثة كانوا يسعون خلف

كشف حضارى ، حار منات العلماء ، عبر التاريخ ، فى إثبات ما إذا كان حقيقة ، أم مجردُ أسطورة خيالية ، تناقلتها الأجيال .

انعقد حاجبا (نور) وهو يقول :

ـ أتقصد المدينة المفقودة ؟!(*)

أشار إليه بسبّابته ، هاتفًا بمنتهى الحماسة :

ـ بالضبط .

ثم تابع فى سرعة :

ـ لقد استعانوا بأحدث الأجهزة ، وبصور الأقمار الصناعية ، والخرائط الجيولوجية الحديثة ، واخترقوا أكثر أدغال (إفريقيا) صعوبة ووعورة ، سعيًا وراء كشف حقيقة أسطورة المدينة المفقودة ، ولكنهم وجدوا أنفسهم أمام كشف مذهل آخر ..

(*) المدينة المفقودة : أسطورة إفريقية قديمة ، ارتبطت بالمناطق الغامضة والمجهولة من الغابات والأحراش الكثيفة ، حيث يؤمن السكان بوجود مدينة خفية متطوّرة ، فى مكان مجهول ، وأن الموت مصير كل من يسعى إليها ، أو يفكّر فى كشف أمرها .

ازدرد لعابه ، ليرطب حلقه الجاف ، من شدة الحماسة والانفعال ، قبل أن يتابع ، وهو يلوّح بكفيه :

ـ معبد فرعونى كامل ، بجدرانه المنقوشة باللغة الهيروغليفية ، وأعمدته ، وتماثيله ، وحتى ألوانه الزاهية ، وأوراق البردى ، التى تحوى ثمرة أجيال كاملة .

بدت الدهشة على وجوههم جميعًا ، وتساءل (نور) فى حيرة :

ـ عجبًا ! كيف يمكن أن يظلّ معبد كهذا قائمًا ، وسط أحراش كثيفة ، غزيرة الأمطار ، طوال كل هذه القرون ؟!

ابتسم الدكتور (حجازى) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ الحضارة الفرعونية اعتادت أن تفاجئنا وتبهرنا دومًا يا (نور) ، ولكنها فى هذه المرة كانت تحمل لنا صدمة .

أطلّ تساؤل قلق من عينى (نور) ، وتبادل (رمزى)

و(نشوى) نظرة متوترة ، فى حين تساءلت (سلوى) فى حذر :

ـ أية صدمة ؟!

أدار الدكتور (حجازى) عينيه إليها ، مجيبًا :

ـ المعبد الفرعونى كان يضمّ كهنته أيضًا .

قال (رمزى) فى دهشة :

ـ أتقصد مومياوات الكهنة ؟!

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ بل الكهنة أنفسهم .

تفجّرت الدهشة فى كيانهم جميعًا ، وأطلّت من عيونهم فى وضوح ، ومن صوت (نور) ، الذى هتف :

ـ أتعنى أن المعبد يضمّ كهنة أحياء ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وقال فى حماسة :

ـ نعم .. كهنة يرتدون الأزياء الفرعونية ، بنفس الخامات التى حدثنا عنها التاريخ .

هتفت (نشوى) :

ـ مستحيل !

تابع الدكتور (حجازى) ، دون أن يوقفه هتافها :

ـ الكهنة يرتدون أزياء كهنة الفراعنة القدامى ، ولكنهم يتحلون بحلى من عظام البشر والحيوانات ، ويمارسون طقوسًا كتلك التى عرف بها سحرة (الفودو)(*) ..

اتسعت عيونهم ،فى مزيج من الدهشة والذعر ، وهمّت (نشوى) بإلقاء سؤال آخر لولا أن اندفع (أكرم) و(مشيرة) نحوهم ، فى اللحظة ذاتها ، والأول يهتف محنقًا :

(*) الفودو = عقائد سحرية إفريقية قديمة ، سادت فى فترات القرون الوسطى ، وانتشرت فى قلب (إفريقيا) ، ونسبت إليها قدرات وقوى خارقة للغاية ، فى مجال الشر ، ولقد انتقلت عقيدة (الفودو) إلى الأمريكتين ، مع المختطف الأفارقة ، للعمل كعبيد هناك ، ثم امتزجت ببعض الخرافات المقحمة على الديانة المسيحية ، وبعض عقائد سكان (هاييتى) ، قبل أن تتحول إلى نوع من السحر الأسود ، الذى يخشاه سكان أمريكا الجنوبية ، ويؤمنون بصحته ، فى حين اختفى أو كاد من (إفريقيا) نفسها .

ـ إنها آخر مرة أحضر فيها حفلاً كهذا .

ضحكت (مشيرة) ، قائلة :

ـ رباه ! سنوات طويلة فى مجال الصحافة والإعلام ، ولأول مرة أرى شخصًا ينفر من الشهرة والأضواء إلى هذا الحد !!

غمغم (أكرم) فى سخط :

ـ لكل شىء حدود .

ابتسمت (سلوى) ، قائلة :

ـ ولكنك تبدو وسيمًا بحق فى زى السهرة هذا يا (أكرم) .

هتفت (مشيرة) فى حماسة :

ـ أليس كذلك ؟!

كانت تنوى الانخراط فى حديث طويل ، حول حنق زوجها من أضواء الشهرة ، إلا أن خبرتها كصانعة أخبار جعلتها تدير عينيها فى وجوه الجميع ، متسائلة :

- لقد قاطعنا حديثًا مهمًا .. أليس كذلك ؟!

تنحنح (نور) ، قائلاً :

- الواقع أننا كنا ..

قبل أن يتمّ حديثه ، برزَ مدير المتحف فجأة ، وهو يندفع نحو (أكرم) ، هاتفًا :

- سيِّد (أكرم) .. مرحبًا بك .. لقد كنا فى انتظارك لافتتاح القاعة الجديدة .. هيا .. الكل فى انتظارنا ، على أحر من الجمر .

كان الرجل يتحدَّث فى حماسة ، وهو يقودهم إلى القاعة الجديدة ، حيث ينتظر فريق من الناس ، استقبلوا الجميع بالتصفيق ، وراح مدير المتحف الجديد يقوم بعملية التعارف ، قبل أن يشير إلى زر فى ركن باب القاعة الجديدة ، قائلاً فى حماسة :

- هيا ياسيِّد (أكرم) .. اضغط الزر ، لنفتتح القاعة الجديدة .

غمغم (أكرم) ، وهو يضغط الزر :

- مازلت أفضل الأسلوب التقليدى ، بالمقص والشريط .

مع ضغطة الزر ، انفتح باب القاعة الجديدة ، وأضيئت مصابيحها ، وتألقت على نحو مبهر ، وظهرت مجموعة من التماثيل والتحف ، على نحو جعل الكل يصفق فى حماسة وانبهار ، قبل أن يدلفوا إلى القاعة للمشاهدة ..

كانت معظم المعروضات من التماثيل الفرعونية ، وأوراق البردى ، التى تحوى كتابات تمت ترجمتها ، على شاشات إليكترونية مجاورة ..

أما باقى المعروضات ، فكانت أشياء عجيبة بالفعل ..

تمثالان من البلّور ، وجمجمة لنوع من القردة المجهولة ، و ...

وإصبع ..

إصبع واحد طويل مبتور ، له لون أخضر داكن ، وإظفر أحمر فى لون الدم ، موضوع داخل صندوق بدائى من الزجاج الشفاف ..

وفى دهشة تمتزج بالخوف والاشمئزاز ، غمغمت (سلوى) ، وهى تحدّق فى ذلك الإصبع :

ـ ما هذا الشىء بالضبط ؟!

كادت تقفز من مكانها ، عندما أتاها الجواب من خلفها ، بصوت هادئ عميق ، يقول :

ـ يطلقون عليه هناك اسم (إصبع الشيطان) .

استدارت فى حركة حادة إلى مصدر الصوت ، ووقع بصرها على رجل فى أواخر الخمسينات من عمره ، طويل ، نحيل ، أشيب الفودين ، له عينان بارزتان لديهما قدرة مدهشة على بث الخوف ، فى كل من يتطلع إليهما ..

وفى هدوء عجيب ، أضاف الرجل :

ـ معذرة لإفزاعك يا سيدتى ، ولكن أذنىّ التقطتا سؤالك ، ولم أستطع منع نفسى من إجابته .

ثم شدّ قامته ، فبدا أكثر طولاً ، وهو يضيف :

ـ أنا الدكتور (فريد عبد الخالق) ، أستاذ التاريخ الطبيعى ، وأحد قادة الحملة التى كشفت كل هذا .

حدّقت فيه (سلوى) ، بعينين لم يفارقهما الخوف بعد ، فمدّ (نور) يده إليه ، محاولاً تخفيف الموقف ، وهو يقول :

ـ مرحبًا يادكتور (فريد) .. أنا المقدّم (نور الدين) ، من المخابرات العلمية .

صافحه الرجل ، وهو يتفحّصه بنظره ، قائلاً :

ـ أعلم هذا .. أعلم هذا .

ثم أشار إلى رجل قصير ممتلئ ، وهو يقول :

ـ دكتور (مينا) .. دعنى أقدّم لك المقدّم (نور) ، الذى حدثتك عنه .

أسرع الدكتور (منير) يصافح الجميع بدماثة شديدة ، فى حين قال (نور) فى حذر :

ـ إذن فقد كنتما تتحدثان عنى .

ارتبك الدكتور (منير) ، وهو يقول :

ـ احم .. بالطبع .. كنا نقول : إن ما أحضرناه سيثير اهتمامك بالتأكيد .. وبالذات (إصبع الشيطان) .

تساءل (نور) ، فى حذر أكثر :

ـ ولماذا ؟!

أتاه الجواب على لسان الدكتور (حجازى) ، وهو يقول فى حزم متوتر :

- سأخبرك أنا لماذا يا (نور) ! لأن هذا الإصبع ليس بشريًا بالتأكيد .

التفت إليه الكل بدهشة عارمة ، وهتف الدكتور (منير) ، فى لهجة أقرب إلى الذعر والانهيار :

- كيف عرفت هذا ؟! لقد كنا نتصوَّر طوال الوقت أنهم قد صبغوه بوسيلة ما .

أجاب الدكتور (حجازى) فى حزم :

- إنه أمر أشبه باللعبة ، بالنسبة لخبير فى الطب الشرعى ، ثم أشار إلى ذلك الإصبع ، مستطردًا :

- من النظرة الأولى ، يبدو واضحًا أن هذا الإصبع مبتور من منبته ، باستخدام آلة حادة رفيعة ، وقد يبدو للعين غير الخبيرة ، أنه إصبع سبابة آدمى مبتور ، إلا أن الفحص الظاهرى يشير إلى وجود ثلاث مفصلات على طوله ، بخلاف الأصابع البشرية ، التى تحوى

مفصلين فحسب ، ثم إن الإظفر حرشوفى حاد ، وهذه كلها سمات غير بشرية .

تساءلت (نشوى) فى توتر :

- ألا يمكن أن يكون مجرَّد إصبع بشرى ، لشخص أصابته بعض التحورات الخلقية فى الرحم ، قبيل الولادة ؟!

هزَّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، قائلاً :

- احتمال ضئيل للغاية ، خاصة وأنه لا توجد حالة واحدة مسجَّلة بهذا المضمون ، ضمن حالات التحوّر الجنينى ، ولكن ..

قاطعه (نور) ليسأله فى لهفة :

- ولكن ماذا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى سرعة :

- ولكن هناك وسيلة مضمونة مائة فى المائة ، لحسم هذا الأمر .

سأله الدكتور (فريد) فى اهتمام شديد :

ـ وما هى ؟!

أجاب الدكتور (حجازى) فى حزم :

ـ فحص التركيب الجينى لأنسجة تلك الإصبع .

امتقع وجه الدكتور (مينا) ، على نحو عجيب ، فى حين بدا صوت الدكتور (فريد) شديد التوتر ، وهو يقول فى عصبية :

ـ كلا .. لا يمكنك أن تفعل هذا .

سأله (نور) فى حذر :

ـ ولماذا ؟!

صاح الرجل ، فى حدة بالغة :

ـ لا يمكنكم هذا فحسب .

كان صوته غاضبًا ، عصبيًا ، مرتفعًا ، حتى إن كل من فى القاعة قد التفت إليه فى دهشة قلقة ، و ...

وفجأة ، انطفأت كل الأضواء دفعة واحدة ..

انطفأت داخل وخارج القاعة ..

بل داخل وخارج المتحف ، والمنطقة كلها ..

وفى دهشة بالغة ، هتف مدير المتحف :

ـ مستحيل ! المفترض ألا يحدث هذا أبدًا ..

كان (نور) يدرك جيّدًا ما يعنيه الرجل ، فالمتحف الحديث تم تزويده بمولدى كهرباء إضافيين ، بخلاف التيار الكهربى الرئيسى ، وببرنامج خاص ، يمكنه نقل التغذية الرئيسية ، فى حالة قطع التيار الرئيسى ، إلى المولّد الإضافى الأوّل ، ثم الثانى ، خلال واحد على خمسين من الثانية ، حتى إن أحدًا لا يمكن أن ينتبه إلى أن التيار الكهربى الرئيسى قد انقطع ، ولو لحظة واحدة ..

فكيف حدث هذا إذن ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

مع آخر ما دار فى ذهنه ، أضيئت القاعة فجأة ..



فبين أصابع الكاهن المعروقة النحيلة ، كانت الدمية تتلوّى وتقاوم ، كما لو نها بشرى مصغّر ، يواجه خطرًا داهمًا ..

أضيئت بضوء أحمر رهيب ، جعل (نشوى) تطلق شهقة رعب ، و(سلوى) تقفز من مكانها مذعورة ، و ...

واتسعت عيون الدكتور (فريد) والدكتور (مينا) عن آخرهما ، فى رعب هائل ، شاركهما فيه معظم الموجودين ، وهم يحدقون فى كاهن نحيل ، أصلع الرأس ، حاد النظرات ، يرتدى زى كهنة الفراعنة القدامى ، وحول عنقه قلادة من عظمة بشرية كبيرة ، وفى يده دمية ..

دمية بدت ، تحت ذلك الضوء الرهيب ، أشبه بنسخة مصغرة من الدكتور (فريد) ..

نسخة مصغرة حية ..

فبين أصابع الكاهن المعروقة النحيلة ، كانت الدمية تتلوّى وتقاوم ، كما لو أنها بشرى مصغّر ، يواجه خطرًا داهمًا ..

وبكل رعب الدنيا ، تراجع الدكتور (فريد) ، وهو يضرب الهواء بذراعيه صارخًا :

- لا .. لا .. لا ..

ولكن الكاهن الرهيب رفع يده الأخرى ، فبدت فيها إبرة سميكة ، طويلة ، تألّقت عيناه على نحو مخيف ، وهو يغرسها فى قلب الدمية بالضبط ..

وفى اللحظة نفسها ، ودون اتفاق مسبق ، وثب (نور) و(أكرم) نحو ذلك الكاهن ، والأوّل يصرخ بلهجة صارمة آمرة :

ـ أغلقوا الأبواب ..

وقبل أن تكتمل صرخته ، عادت الأضواء كلها تنطفئ دفعة واحدة ، ودوت فى المكان صرخة رعب هائلة رهيبة ، يقشعر لهولها الولدان ، لما تحمله من ذعر وألم وارتياع بلا حدود ..

وارتطم (نور) و(أكرم) ببعضهما ، وصاح الأخير فى حدة :

ـ أين هو ؟! أين ذهب ؟!

ومع نهاية صيحته ، عادت الأضواء الأصلية تسطع فى المكان كله ..

وفى هذه المرة ، لم يشهق أحد ..

بل لم ينبس مخلوق واحد ببنت شفة ، على الرغم من الرعب الهائل ، الذى سرى فى كل الأجساد بلا رحمة ..

فعلى أرضية المتحف ، وعلى مسافة متر واحد من تلك الجمجمة ، كان الدكتور (فريد) ملقى أرضًا ، جاحظ العينين ، ممتقع الوجه ، ولسانه يتدلّى خارج فمه فى مشهد رهيب ..

وعلى مسافة متر آخر منه ، كان الدكتور (مينا) يرتجف فى رعب هائل ، وأسنانه تصطك ببعضها ، بصوت قوى مسموع ..

أما ذلك الكاهن الرهيب ، فقد اختفى وتلاشى تمامًا ..

وكذلك إصبع الشيطان ..

وكان هذا تطوّرًا مذهلًا ..

ومخيفًا ..

للغاية .

* * *

٢ ـ المـوت ..

« السبب الوحيد للوفاة هو الرعب الشديد .. »

نطق الدكتور (حجازى) العبارة فى حيرة واضحة ، وتوتر ملحوظ ، وهو يناول تقريره الرسمى لـ (نور) ، مستطردًا :

ـ عندما بدأت فى فحص الجثة ، كنت واثقًا من أننى سأجد أى سبب آخر .. رصاصة صامتة .. نوع من السموم النادرة ، أو حتى لطمة فى الظلام ، ولكن كل شىء كان عاديًا سليمًا ، فيما عدا ذلك الرعب ، الذى حفر نفسه على ملامح الدكتور (فريد) ، وتسبَّب فى توقُّف قلبه وأنفاسه ، وانهيار دورته الدموية دفعة واحدة .

ثم هزَّ رأسه فى قوة ، قبل أن يلقي جسده على أقرب مقعد ، ويلوِّح بذراعه كلها ، هاتفًا :

ـ إننى لم أر ، فى حياتى كلها ، شيئًا بهذه الحدة .

وأطلق زفرة شديدة التوتر ، مضيفًا :

ـ أو ظاهرة أكثر رهبة ، مما شاهدناه كلنا ، فى ذلك المتحف .

أشار (نور) بسبَّابته فى حزم ، وهو يقول :

ـ فى القاعة الجديدة يا دكتور (حجازى) .

سأله الرجل فى توتر :

ـ وما الفارق ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ فارق كبير يا دكتور (حجازى) ، فالقاعة الجديدة تم انشاؤها حديثًا ، وكل شىء بها لم يختبر بعد ، ومن الممكن أن يضاف إليها أى شىء .

سأله (رمزى) :

ـ مثل ماذا يا (نور) ؟!

أجابه (نور) ، فى شىء من العصبية :

ـ منظم للأضواء .. مرشحات للألوان .. لأجهزة لبث الصور الهولوجرامية .. ألف شىء يمكن دسه فى مليون بقعة ، بحيث يعمل وقتما يشاء واضعه .

تطلّع إليه الدكتور (حجازى) لحظة ، قبل أن يسأله فى تحفظ :

ـ أهذه نظريتك حول ما رأيناه وما حدث ؟! مجرّد خداع بصرى فائق ؟!

لوّح (نور) بيده ، قائلاً :

ـ لم أضع أية نظريات بعد .. (سلوى) و(نشوى) يقومان بفحص المكان الآن ، و(أكرم) ذهب مع الدكتور (مينا) ، لإحضار كل الصور والوثائق والأوراق ، الخاصة بالبعثة الاستكشافية ، ونحن نحاول الاتصال بالدكتورة (عبلة) ، لمعرفة سر عدم حضورها الحفل ، وعندما يتحقق كل هذا ، سأبدأ فى دراسة الموقف كله ، وأضع نظريتى حول الأمر .

سأله (رمزى) فى اهتمام قلق :

ـ (نور) .. لماذا أنت عصبى إلى هذا الحد ؟!

التفت إليه (نور) بحركة حادة ، قائلاً :

ـ هل ستبدأ فى القيام بدورك معى ؟!

قال (رمزى) فى هدوء :

ـ إنه مجرّد سؤال يا (نور) .. سؤال من صديق ، يشعر بالقلق على صديقه .. أليس هذا أحد حقوقى عليك ؟!

حدّق (نور) فى وجهه لحظة ، قبل أن يهزّ رأسه ، ويطلق من أعمق أعماق صدره زفرة متوترة ، قائلاً :

ـ اعذرنى يا صديقى ، ولكننى أثق تمام الثقة ، فى خبرة وتقدير الدكتور (حجازى) ، ولكننى عاجز ، فى الوقت ذاته ، عن تصديق مصرع شخص بالرعب وحده .

أجابه (رمزى) فى اهتمام :

ـ هذا ممكن علميًّا يا (نور) .. فليست العوامل الخارجية وحدها تقتلنا .. بل الداخلية أيضًا .. ولو أن الدكتور (فريد) كان يؤمن تمامًا بقدرة ذلك الكاهن على قتله ، عن طريق غرس تلك الإبرة فى دميته شبه الحية ، فرؤية هذا يحدث أمام عينيه ، فى تلك الظروف ، كان يكفى بالفعل لموته .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ وهذا ما حدث .

نقل (نور) بصره بينهما بضع لحظات ، قبل أن يطلق زفرة حارة ، ويترك جسده يسقط على المقعد القريب ، قائلاً :

ـ هذا يضع أمامنا إذن مجموعة من الحقائق الأوَّليَّة فى هذه القضية العجيبة .. الدكتور (فريد) كان واثقًا بقدرة ذلك الكاهن على قتله ، بوساطة ذلك الأسلوب الوثنى البدائى ، الذى رأيناه جميعًا .. ثم إن ذلك الكاهن لم يكن مجرَّد صورة هولوجرافية ، بدليل أن الإصبع قد اختفى معه ، دون أن يصاب الصندوق الزجاجى ، الذى كان يحويه ، بأى شرخ ، بل ودون أن نجد عليه بصمة إصبع واحدة .

قال (رمزى) فى اهتمام :

ـ إما هذا ، أو أنه كان هناك شريك ، تحرك فى أثناء انشغالنا بذلك الكاهن ، وسرق الإصبع .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

ـ هذا لا يخرجنا من السؤال الرئيسى .. كيف سرقه ، دون أن يلمس صندوقه الزجاجى ، أو حتى يفتحه ؟!

ثم نهض فجأة ، وهو يتابع فى اهتمام :

ـ ولنضف إلى هذا بعض الأسئلة الأخرى .. أولها : لماذا شعر الدكتور (فريد) بكل هذا الرعب ، الذى أدى إلى مصرعه على هذا النحو ؟! وثانيها : ما سر الخوف الشديد ، الذى يشاركه إياه الدكتور (مينا) أيضًا ؟! وهذا ينقلنا إلى التساؤل عن سر عدم حضور الدكتورة (عبلة) الحفل ، على الرغم من أنه يعنى بكشف مهم ، شاركت فيه بدور رئيسى ؟! وكتداع طبيعى ، سيقودنا هذا أيضًا إلى تساؤل رئيسى جوهرى .. كيف حصل العلماء الثلاثة على كل تلك التحف والآثار ، من معبد يحرسه كهنته ، على مدار عدة قرون ، وليس من السهل ، بل المستحيل أن يفرطوا فى ذرة واحدة منه ؟!

كانت تساؤلاته كلها منطقية ، وتفتح ألف باب للتفكير والاستنتاج ، لذا فقد غمغم (رمزى) فى انفعال :

- (نور) .. إننا نحتاج إلى معرفة ماحدث فى تلك الرحلة الاستكشافية بالضبط .. لابد أن نراجع كل ما أتوا به ، وكل ماسجلوه عنها .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

- بل نحتاج إلى معرفة كل مالم يسجلوه عنها ياصديقى ..

مرة أخرى ، كانت عبارته سليمة تمامًا ..

ومخيفة ..

إلى أقصى حد ..

* * *

احتقن وجه (مشيرة) ، من شدة الغضب ، وهى تهتف بكل انفعالها ، فى وجه رجل الأمن الواقف أمامها بكل هدوء :

- ليس هذا من حقك .. لايمكنك ، بحكم القانون ، أن تمنع إذاعة وبث واقعة ، شهدها أكثر من مائة شخص .

هزَّ رجل الأمن كتفيه ، وقال بنفس الهدوء المستفز :

- إننا نحاول منع الذعر الذى أصابهم ، من الانتقال إلى الملايين ، الذين يشاهدون جريدتك المرئية ياسيِّدتى ، ثم إن عدم إذاعة الأمر ، تجعله يتردَّد باعتباره شائعة فحسب .

لوَّحت بسبَّابتها فى وجهه ، هاتفة :

- هذا يمنحه قوة أكبر ، لو أنكم لا تدركون هذا .

زفر الرجل ، وكأنما يحاول السيطرة على أعصابه ، وأشار بيده ، قائلًا :

- لن أتورَّط معك في محاورة كلامية ياسيِّدتى ، فأنا رجل أمن ، وعملى يحتِّم علىَّ طاعة ما أتلقاه من أوامر فحسب .

سألته فى تحد :

- وهل يمكنك منع مائة شخصية عامة ، من التحدُّث عما رأوه بأعينهم ، منذ ساعات قليلة ؟!

ابتسم فى ثقة ، مجيبًا :

- إنهم مائة واثنان بالتحديد ياسيدتى .. خمسة منهم ينتمون إلى المخابرات العلمية ، ويعرفون واجبهم فى هذا الشأن ، وثمانية من رجال أمن المتحف ، بالإضافة إلى المدير ، ونائبه ، وأربعة من موظفيه ، وهذا يجعل عدد الذين سيحفظون سر ما حدث فى المتحف ، بحكم مواقعهم ، يرتفع إلى تسعة عشر شخصًا .. يتبقى أمامنا إذن ثلاثة وثمانون شخصًا ، أقنع رؤسائى بالفعل سبعة وستين منهم بالتزام الصمت ، حتى لحظة قدومى إلى هنا ، ومن المؤكد أن الوقت الذى استغرقه نقاشنا هذا ، قد ربح نصف ما تبقى على الأقل ، ولو وافقت أنت على التزام الصمت ، للمصلحة العامة ، فلن يتبقى أمامنا سوى سبعة أوستة أشخاص على الأكثر .

حدقت فيه لحظة ، قبل أن تقول فى حدة :

- من الواضح أنك ماهر فى الحساب ، ولكننى مازلت أصرّ على أنه من حق الجماهير أن تعلم ما حدث .

هزّ كتفيه ، متسائلاً :

- وبمَ يمكن أن يفيدهم هذا ؟!

حاولت أن تبحث عن جواب مقنع لسؤاله الأخير ، ثم وجدت نفسها تقول فى عصبية :

- المهم أن يعلموا .

سألها ، وهو يميل نحوها :

- ثم ؟!

مرة أخرى لم تجد جوابًا لسؤاله ، فقالت فى عصبية أكثر :

- هذا حقهم .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ودود ، وهو يميل نحوها أكثر ، قائلاً :

- كلمة حق ، يراد بها باطل ياسيدتى ، فأى حق هذا الذى تتحدثين عنه ؟! حقهم فى أن يصابوا بالذعر ، قبل أن نتبيّن حتى أبعاد ما سيصيبهم به ؟! أية فائدة يمكن أن تتحقق لهم من هذا ؟! صدقينى ياسيدتى .. لو أن الأمر يتعلق بجريمة غامضة ، أو فساد فى الحكم ،

لما بذل مخلوق واحد أدنى جهد ، لمنعك من إعلان ما لديك ، مادام فى هذا صالح الأمة كلها ، أما فى هذه الحالة ، فالأفضل للكل أن نتروى ، وأن نلتزم الصمت ، حتى تتبين الحقائق ، ثم نعمل على نشرها بكل صراحة ووضوح .

كان حديثه مقنعًا إلى حد كبير ، إلا أن طاقة العناد فى أعماقها جعلتها تقول فى إصرار :

ـ ومن سيضمن لى السبق عندئذ ؟!

انطلقت منه ضحكة عالية ، قبل أن يقول :

ـ سيدة (مشيرة) .. أنت تحصلين على السبق دومًا .

قالت فى زهو متعال :

ـ لأننى أفضل صحفية فى (مصر) .

غمغم مبتسمًا :

ـ بالتأكيد .

لم يكد ينطقها ، حتى ارتفع رنين هاتفه الخلوى ، المزروع فى ساعة معصمه ، فرفعها إلى شفتيه ، وضغط زرًا فى جانبها ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ من المتحدث ؟!

انطلق أزيز تحذيرى خاص من الساعة ، فجذب منها سلكًا رفيعًا ، ينتهى بسماعة أذن دقيقة ، دسها فى أذنه ، ليستمع إلى محدثه ، دون أن تسمع (مشيرة) ما يقال ..

ولقد أشعرها هذا بشىء من التوتر والعصبية ، وخاصة عندما انعقد حاجبا رجل الأمن فى شدة ، وهو يقول :

ـ يا إلهى ! الآن ؟!

هتفت به فى لهفة :

ـ ماذا حدث ؟!

أنهى الاتصال ، دون أن يجيب سؤالها ، وشدّ قامته ، وهو يسألها فى صرامة :

ـ هل اتفقنا على كتمان الأمر مؤقتًا يا سيدتى ؟!

قالت فى سرعة :

ـ بالتأكيد ، ولكن ..

قاطعها فى حزم صارم ، وهو يدور على عقبيه :

ـ عظيم .

ثم اندفع مغادرًا مكتبها ، فى جريدة (أنباء الفيديو) ، دون أن يضيف حرفًا واحدًا ، وتركها خلفه تشتعل لهفة وفضولاً ..

فبغريزتها كأنثى ، وخبرتها كصحفية محنكة ، أدركت أن شيئًا جديدًا قد حدث ..

شيئًا يتعلق بالقصة نفسها ..

قصة ذلك الكاهن الرهيب ..

الغامض ..

بشدة ..

* * *

زفرت (سلوى) ، بكل ما فى أعماقها من توتر وانفعال وإجهاد ، وهى تتراجع فى مقعدها ، أمام شاشات الفحص ، وتهزّ رأسها ، قائلة :

ـ كل شىء على ما يرام .

تثاءبت (نشوى) بدورها ، وهى تقول فى إجهاد واضح :

ـ هذا ما يبدو لى أيضًا .

عادت (سلوى) تهزّ رأسها ، وتقول :

ـ ولكن هذا يزيد الأمر كله غموضًا ، فلقد شاهدنا ظاهرة رهيبة ، وبدون وجود مسببات علمية وتكنولوجية لها ، سنجد أنفسنا أمام أمر مخيف .. مخيف للغاية ..

صمتت لحظة ، شرد خلالها بصرها فى الفراغ ، وسرت فيها قشعريرة باردة كالثلج فى جسدها ، قبل أن تضيف :

ـ أمر يذكرنى بـ ..

بترت عبارتها بغتة ، فسألتها (نشوى) فى اهتمام :

- بماذا يا أمى ؟!

زفرت (سلوى) مرة أخرى ، وهزت رأسها مرة ثالثة فى قوة ، قائلة فى حزم متوتر :

- بفترة أكره أن أستعيد ذكراها .

شعرت (نشوى) بفضول شديد ، لمعرفة ما تعنيه أمها ، وراحت تعتصر عقلها ، لاستعادة كل ما رواه لها الجميع ، عن المغامرات التى خاضها الفريق ، قبل أن تنضمَّ هى إليه ، فى محاولة لمعرفة ما تعنيه أمها ، و ...

« لن يروق هذا لـ (نور) أبدًا .. » ..

قطعت (سلوى) أفكارها بالعبارة ، وهى تعتدل فى مجلسها ، وتعاود العمل على أجهزة الفحص ، متابعة فى حسم :

- سأفحص كل شىء مرة أخرى .

سألتها (نشوى) :

- ماذا تتوقعين ؟!

أجابتها (سلوى) ، وهى تعمل فى سرعة وإصرار :

- من يدرى ؟! لقد فحصنا كل التوصيلات ، وكل الأجهزة فى القاعة ، وكل الجدران ، والسقف ، والأرضية ، وراجعنا كل ما سجلته آلات الرصد ، من أركانها الأربعة ، ولم نجد شيئًا .

قالت (نشوى) فى اهتمام :

- ربما أضاف بعضهم أجهزة ما ، ثم رفعها بعد أن أدت مهمتها .

سألتها (سلوى) فى توتر :

- ومتى يمكنه أن يفعل هذا ؟!

هزَّت (نشوى) كتفيها ، قائلة فى حذر :

- ربما فى فترة انقطاع التيار ، أو ...

اعتدلت (سلوى) على مقعدها بحركة حادة ، وهى تهتف :

- رباه ! هذا صحيح .

سألتها (نشوى) فى لهفة :

هل تقصدين أن هذا ما حدث ؟!

هتفت بها (سلوى) ، وأصابعها تقفز مرة أخرى فى سرعة ، إلى أزرار الكمبيوتر :

- بل هذه هى الفترة التى لم نفحصها جيدًا :

سألتها (نشوى) بلهفة أكثر :

- ألدنيا وسيلة لفحصها ؟!

أجابتها فى حماسة :

- نعم ، ولست أدرى لماذا تجاهلها الكل ؟! ربما لأن النظام الإليكترونى للمبنى ، يمنع انقطاع التيار الكامل ، الذى حدث أمس .

بدت الحيرة على وجه (نشوى) وفى صوتها ، وهى تسأل :

- هل يعنى هذا شيئًا ؟!

أجابتها (سلوى) ، وهى تضغط آخر أزرار الكمبيوتر ، ثم تتراجع بحركة ملؤها الانفعال :

- بالتأكيد ، فعلى الرغم من استحالة انقطاع التيار الكامل ، من الناحية النظرية ، فقد تمت إضافة جهاز رصد بالأشعة تحت الحمراء ، يعمل بصورة تلقائيـة ، إذا ما ساد الظلام .

كادت (نشوى) تقفز من مقعدها ، وهى تهتف فى لهفة :

- وهل عمل الجهاز بالفعل ؟!

أشارت (سلوى) بيدها إلى الشاشة ، قائلة فى ارتياح :

- ها هو ذا .

أدارت (نشوى) عينيها إلى الشاشة فى سرعة ، وتطلعت إليها فى لهفة ، وهى تعرض ما سجله جهاز الرصد الحرارى ، عندما انقطع التيار الكهربى تمامًا ..

ثم شهقت (سلوى) ..

واتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما ..

فما رصده الجهاز الحرارى ، خلال لحظات الإظلام التام كان مفاجأة ..

مفاجأة مذهلة ..
للغاية ..

* * *

أوقف (أكرم) سيارته العتيقة ، أمام منزل الدكتور (مينا) ، والتفت إلى هذا الأخير ، قائلاً فى شىء من العصبية :

- هل لك أن تمنحنى سببًا منطقيًا واحدًا ، لاحتفاظك بكل الوثائق والصور فى منزلك ؟!

انعقد حاجبا الرجل ، وهو يغادر السيارة ، قائلاً فى توتر :

- الظروف حتمت علينا اتخاذ هذا القرار .

سأله (أكرم) فى حدة :

- أكان قرارًا جماعيًا ؟!

اتجه الرجل نحو منزله ، قائلاً فى صرامة متوترة :

- كل قراراتنا كانت جماعية .

لحق به (أكرم) ، وهمّ بقول شىء ما ، لولا أن وقع بصره بغتة على النافذة الزجاجية لمنزل الدكتور (مينا) ..

فهناك ، على زجاج النافذة المزدوج ، كانت تنعكس صورة واضحة ، لذلك الراهب المخيف ..

وانتفض جسد (أكرم) كله فى عنف ..

فوفقًا للصورة المنعكسة ، كان ذلك الراهب يقف على مسافة متر واحد منه ..

وبمحاذاته تمامًا ..

واستدار (أكرم) بحركة حادة ، إلى حيث يفترض وجود ذلك الكاهن ، وهو يسحب مسدسه بسرعة ، و ...

ولكن المكان كان خاليًا ..

لم يكن الكاهن إلى جواره ..

ولكن صورته كانت تنعكس على الزجاج ، وهو يمسك عظمة فخذ آدمية ، ويلوّح بها فى الهواء ، وعيناه تتألقان على نحو رهيب ..



واستدار (أكرم) بحركة حادة ، إلى حيث يفترض وجود ذلك الكاهن ، وهو يسحب مسدسه بسرعة ، و ..

رهيب للغاية ..

ولسبب ما ، وجد (أكرم) نفسه يهتف بالدكتور (مينا) :

ـ لا .. لا تفتح الباب .

فى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها هتافه ، جذب الدكتور (مينا) مقبض الباب ، و ...

واندلعت ألسنة اللهب ..

بمنتهى العنف ..

* * *



٢ـ السر.. والسحر..

أدى رجل الأمن، المسئول عن متابعة القضية، التحية العسكرية أمام (نور)، ثم قال بلهجة قوية حازمة:

ـ الدكتورة (عبلة) لم يمكن العثور عليها قط.

انعقد حاجبا (نور)، وهو يقول فى توتر:

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟! إننا نتحدث عن أستاذة جامعية، وخبيرة من خبراء التاريخ الطبيعى، ومثلها لايمكن أن يختفى هكذا، دون أن يترك خلفه ولو أثر واحد، يمكن أن يقود إليه.

قلب رجل الأمن كفيه فى حيرة، وهو يقول:

ـ ولكننا فعلنا كل مابوسعنا بالفعل ياسيادة المقدم.. لقد غذينا الكمبيوتر برقمها القومى، وبحثنا عنها فى كل شبر فى (مصر)، وراجعنا سجلات الفنادق، والمطاعم، وشركات الطيران، وحددنا أرقام بطاقات

الائتمان الخاصة بها، ووجدنا أن آخر استخداماتها كانت منذ ستة أيام، حيث لم يرها أو يلتقى بها أى مخلوق بعدها، وزرنا منزلها، وطرقنا بابه كل ساعة، دون أى جواب، وبحثنا عنها فى الجامعة، وكل مكان اعتادت الذهاب إليه، وكل هذا دون جدوى.

قال (نور) فى عصبية:

ـ من المستحيل أن تكون قد تلاشت تمامًا هكذا.

تردد الدكتور (حجازى) لحظة، ثم قال:

ـ هناك احتمال آخر يا (نور).

سأله (نور) فى اهتمام:

ـ ما هو ؟!

تردد الرجل لحظة أخرى، قبل أن يقول:

ـ ماذا لو أنها.. أعنى أن منزلها مغلق، وهى تعيش وحدها، وربما.. احم.. أقصد أن..

قاطعه (نور) بإشارة من يده، وهو يقول:

- آه .. فهمت ما تعنيه يا دكتور (حجازى) .

ثم التفت إلى رجل الأمن ، متابعًا :

- استصدر أمرًا باقتحام منزلها ، فمن المحتمل أن تكون قد لقيت مصرعها داخله و...

قاطعه (رمزى) فى هدوء عجيب :

- لست أعتقد هذا يا (نور) .

استدار إليه (نور) يسأله فى اهتمام :

- ولماذا ؟!

أشار (رمزى) بيده ، قائلاً :

- لو أن الدكتور (فريد) كان واثقًا بأن ذلك الكاهن يمكن قتله ، بتلك الوسيلة العجيبة ، فهذا يعنى أنه قد شاهد هناك ، فى ذلك المعبد الغامض ، ما أقنعه بإمكانية حدوث هذا ، ومن الطبيعى أن تكون زميلة خبرته ورحلته ، الدكتورة (عبلة) ، قد أدركت هذا أيضًا ، وتدرك كذلك أنه هناك سبب ما ، يدعو ذلك الكاهن إلى مطاردتهم ، والسعى للقضاء عليهم هنا .

عقد (نور) ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

- عظيم .. وما الذى نستنتجه من كل هذا ؟!

أجابه فى سرعة :

- أن الدكتورة (عبلة) داخل منزلها بالفعل ، على قيد الحياة ، ولكنها تختبئ فى خطر رهيب ، تخشاه خشيتها للموت .. ولو أنك راجعت كشف ما ابتاعته ، عندما استخدمت بطاقتها الائتمانية لآخر مرة ، فستجده كومة من كل أنواع الأطعمة والمشروبات المحفوظة على الأرجح .

تمتم رجل الأمن ، وهو يحدق فى (رمزى) بانبهار :

- هذا صحيح .

انعقد حاجبا (نور) بشدة بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن استدار إلى رجل الأمن ، قائلاً فى لهجة حازمة ، صارمة ، آمرة :

- فليكن يا رجل .. لقد انتهى عملكم هنا .. سأتولى أنا والدكتور (رمزى) هذه المهمة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى لهجة قوية :

ـ إنها تحتاج إلى خبراء .

رفع رجل الأمن يده بالتحية العسكرية ، قائلاً :

ـ كما تأمر ياسيادة المقدّم .

نطقها على نحو يوحى بشعوره بالارتياح ، لإعفائه من هذه المهمة ، وهو ينصرف بخطوات سريعة واسعة ، ولم يكد يغادر المكان ، حتى تنحنح الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

ـ معذرة يا (نور) ، ولكننى أريد تصريحًا بفحص بعض محتويات القاعة الجديدة .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ مثل ماذا ؟!

لوّح الدكتور (حجازى) بكفه بضع مرات ، وكأنما يحاول انتزاع مابداخله ، قبل أن يندفع ، قائلاً :

ـ تلك الجمجمة هناك .. ربما تبدو أشبه بجمجمة نوع من القردة النادرة ، ولكن لدى بعض الشكوك بشأنها .. صحيح أننى لم أفحصها جيدًا ، ولكن ..

قاطعه (نور) ، وهو يدس مسدسه الليزرى فى حزامه ، قائلاً :

ـ اذهب إلى هناك يادكتور (حجازى) ، وستجد التصريح فى انتظارك .

ثم أشار إلى (رمزى) ، مستطردًا :

ـ هيا بنا .. الأمر سيحتاج إلى خبراتك حتمًا .

ودون أن ينطق (رمزى) بحرف واحد ، تبعه إلى الخارج ، وهو يدرك ، فى أعمق أعماقه ، أن القدر مازال يخبئ لهم الكثير .. والكثير جدًا ..

* * *

بكل مايملك من قوة ، وثب (أكرم) فى اللحظة الأخيرة ، ليدفع الدكتور (مينا) بعيدًا عن الباب ، فى

نفس اللحظة التى اندلعت فيها ألسنة اللهب بمنتهى العنف ..

وعلى الرغم من سقوطهما بعيدًا ، كاد لفح النيران يشويهما شيًا ، والمنزل كله يشتعل ككتلة من القماش المبلل بالوقود ..

وبكل رعبه ، صرخ الدكتور (مينا) :

ـ ماذا حدث ؟! ماذا حدث ؟!

سحب (أكرم) مسدسه الليزرى ، وهو يهتف :

ـ كان ينبغى أن نتوقَّع أمرًا كهذا .

لم يكن يدرى ما الذى يمكن أن يفعله مسدسه التقليدى ، فى مواجهة ظاهرة رهيبة مخيفة كهذه ، وعلى الرغم من هذا ، فقد اندفع به نحو المنزل ، الذى تلتهمه النيران فى شراهة مخيفة ، وهو يهتف فى عصبية :

ـ رباه ! أين أجهزة إطفاء الحريق الآلية ؟! لماذا لم تعمل ؟! لتخفيف الأمر على الأقل .

كان المنزل أشبه بأتون مشتعل ، ولفح النيران يمنع أى مخلوق من الاقتراب ، لمسافة خمسة أمتار على الأقل ، لذا فقد راح (أكرم) يدور حوله ، وهو يهتف عبر جهاز الاتصال فى ساعته :

ـ نداء إلى كل وحدات الإطفاء الطائرة فى الجوار .. نداء إلى كل الوحدات ..

انتبه فجأة ، وهو يختم نداءه ، إلى أن الدكتور (مينا) يرقد وحده ، فى حديقة المنزل ، فانطلق يعدو عائدًا إليه ، وهو يؤنب نفسه ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! لو أصابه مكروه ، فلن أغفر هذا لنفسى قط .. لم يكن ينبغى أن أتركه وحده قط .. يا إلهى ! يا إلهى !

تبخَّر نصف ذعره وتوتره ، عندما وقع بصره على الجيولوجى ، وهو ينهض من سقطته ، ويلتقط منظاره الطبى من الأرض ، فاندفع نحوه ، هاتفًا :

ـ أأنت بخير ؟!

أجابه الدكتور (مينا) ، فى عصبية بالغة :

ـ لقد فقدت منـزلى ، وكل أصـول وثـائق البعثة الاستكشافية ، وصورها ، وتسجيلاتها ، وكادت النيران تلتهمنى ، ولكننى بخير ، لو أنك تقصد بقائى على قيد الحياة .

عاونه (أكرم) على إكمـال نهوضـه ، وهو يقول فى حدة :

ـ فلتشكر الله (سبحانه وتعالى) على هذا .. الحياة هى الشىء الوحيد ، الذى لايمكن تعويضه .

لوّح الدكتور (مينا) بذراعه فى حدة ، صائحًا :

ـ ومن قال إنها ستبقى ؟!

ثم التفت إلى (أكرم) ، بوجه شاحب كوجوه الموتى ، وهو يضيف فى ذعر بلاحدود :

ـ لقد صدر الحكم بإعدامنا ، جزاء ما اقترفته أيدينـا ، وأحكام (الفودو) غير قابلة للنقض .. هل تفهم ؟! هل يمكنك أن تستوعب هذا ؟!

أجابه (أكرم) فى صرامة :

ـ كلاً .. لايمكننى استيعاب أى شىء يتجاوز حدود المنطق والعقل .

كاد الدكتور (مينا) يهتف بعبارة جديدة ، إلا أن وجهه امتقع بغتة ، أكثر مما كان ، واتسعت عينـاه حتى كادتا تلتهمان وجهه كله ، وهو يلوّح بسبّابته نحو بقعة مـا ، خلف ظهر (أكرم) ، هاتفًا بكل رعب الدنيا :

ـ لقد جاء .. لقد جاء .

استدار (أكرم) بجسده ومسدسه ، إلى النقطة التى يشير إليها الدكتور (مينا) ، قبل أن تتسع عيناه عن آخرهما ، وتنطلق فى جسـده انتفاضـة عنيفـة ، وهو يحدّق فى ألسنة اللهب ، التى تلتهم المنزل بلارحمة ..

فهناك ، وعند الباب ، الذى أتت عليه النيران ، ووسط ألسنة اللهب الرهيبة ، كان يقف ذلك الكاهن ..

يقف هادئـًا ساكنًا ، وكأنما استحالت النـار بـردًا

وسلامًا على جسده ، بزيه الفرعونى ، وقلادة العظام حول عنقه ، وعظمة الفخذ الآدمية ، التى يمسك بها بكفيه ، وهو يتطلع إليهما بنظرة حادة رهيبة مخيفة ..

وفى انهيار ، سقط الدكتور (مينا) على ركبتيه ، قائلاً :

ـ لقد جاء من أجلى .. جاء من أجلى .

وفى بطء ، رفع الكاهن عظمة الفخذ بيمناه ، وراح يديرها فى الهواء ، وهو يتقدم نحوهما ، متجاوزًا ألسنة اللهب ، فصاح الدكتور (مينا) بانهيار أكثر :

ـ افعلها .. أنا أستحقها .. أنا أستحقها ..

كان جسده يرتجف بعنف ، والكاهن يتطلع إلى عينيه مباشرة ، وهو يخفض عظمة الفخذ الآدمية فى بطء ، ويشير بها إليه ، و ...

وهنا ، انتفض جسد (أكرم) مرة أخرى ، وهو يستعيد سيطرته على نفسه ، هاتفًا فى عصبية :

ـ لا ..

وفى حركة واحدة ، وضع كفه اليسرى على عينى الدكتور (مينا) ؛ ليحجب عنهما مرأى ذلك الكاهن الرهيب ، وهو يرفع يده اليمنى بمسدسه ، ويضغط زناده بكل غضبه وتوتره :

وانطلقت رصاصات (أكرم) ..

انطلقت كلها نحو ذلك الكاهن المخيف ..

كان (أكرم) واثقًا من هذا ..

ولكن جسد الكاهن لم يهتز قيد أنملة ..

فقط أدار عينيه إلى (أكرم) ، وهى تحملان غضبًا رهيبًا ، ثم أمال العظمة التى يحملها نحوه فى بطء ..

وانعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، فى حين راح الدكتور (مينا) يصرخ ، وهو يحاول التملص من يد (أكرم) ، التى تحجب عنه الرؤية :

ـ ابتعد عنى .. أنا أستحق هذا .. أستحقه .

فى نفس اللحظة ارتفعت أصوات أبواق سيارات

الشرطة والإطفاء ، وهى تقترب فى سرعة ، فتوقَّف الكاهن ، وخفض العظمة التى يحملها فى بطء ، ثم رمق (أكرم) بنظرة مخيفة ، خُيِّل إليه أنه لن ينساها أبدًا ، قبل أن يدور على عقبيه ، ويغوص مرة أخرى فى ألسنة اللهب ، حتى تلاشى وسطها ، فى نفس اللحظة التى توقَّفت فيها سيارات الشرطة والإطفاء فى المكان ، واندفع رجال الإطفاء ، يحاولون السيطرة على النيران ، فى حين اندفع رجل الأمن ، الذى التقى بـ (مشيرة) نحو (أكرم) ، هاتفًا :

- أأنتما بخير ؟!

رفع (أكرم) عندئذ يده ، عن عينى الدكتور (مينا) ، وهو يغمغم ، فى توتر بلغ منتهاه :

- أعتقد هذا .

حدَّق الدكتور (مينا) فيما أمامه ، وأدار عينيه حوله فى ارتياع ، قبل أن يهتف غير مصدِّق :

- لقد ذهب .. لقد ذهب .. أنا حى .. أنا حى ، على الرغم مما فعلناه !

استدار إليه (أكرم) ، قائلاً فى صرامة :

- عظيم أنك ذكرت هذا ، فلدى أسئلة مهمة بهذا الشأن .

ثم انحنى نحوه ، مستطردًا فى صرامة أكثر :

- فما الذى فعلتموه بالضبط ، لتستحقوا هذا المصير ؟!

حدَّق الدكتور (مينا) فى وجهه بضع لحظات ، فى ارتياع مذعور ، وهو مازال جاثيًا على ركبتيه ، ثم انهار فجأة ، وانحنى يلصق جبهته بالأرض ، وهو يبكى فى مرارة وغزارة ..

وكان هذا وحده أشبه بالاعتراف ..

اعتراف بخطأ لايعرفه أحد ..

ولكنه حتمًا خطأ رهيب ..

رهيب للغاية ..

* * *

لم تكد القاعة تظلم ، حتى بدت كل أجساد من فيها مجرد ظلال حمراء ، على شاشة سوداء ..

وفى بطء وتركيز ، غمغمت (سلوى) :

ـ جهاز الرصد الحرارى يعمل بكفاءة .. إنه يلتقط الانبعاث الحرارى ، من كل جسد حى .

أشارت (نشوى) إلى ركن الشاشة ، متسائلة فى حيرة :

ـ ما هذا إذن ؟!

انعقد حاجبا (سلوى) بشدة ، وهى تحدق فيما أشارت إليه (نشوى) ، قبل أن تغمغم :

ـ مستحيل !

فوفقًا لما سجله جهاز الرصد الحرارى ، كان ذلك الإصبع ، الموضوع داخل الصندوق الزجاجى ، يشع بحرارة مماثلة لحرارة الأجساد الحية ..

وكان هذا يعنى ـ علميًا ـ أنه حى أيضًا ..

وبكل انفعالها ، هتفت (سلوى) :

ـ هذا مستحيل بكل المقاييس !

ثم أدارت عينيها فى كافة أجزاء الشاشة ، قبل أن تستطرد فى عصبية :

ـ كل ما يسجله هذا الجهاز مستحيل ! تلك التماثيل الأثرية والتحف الفرعونية القديمة ، التى أحضروها من ذلك المعبد الغامض ، تبث قدرًا ضئيلاً من الحرارة ، وهذا مستحيل تمامًا .

قالت (نشوى) فى انفعال :

ـ هناك تفسير علمى لهذا حتمًا .

أجابتها (سلوى) فى سرعة :

ـ التفسير العلمى الوحيد هو أن ...

قبل أن تتم عبارتها ، تضاعف الانبعاث الحرارى ، الصادر عن تلك الجمجمة الغريبة بغتة ، وتصاعد فى سرعة ، حتى بلغ ما تبثه الأجساد الحية ، فهتفت (سلوى) مبهورة :

- مستحيل ! مستحيل !

قالت (نشوى) فى انفعال :

- هناك مصدر حرارى داخلها حتمًا .

مع عبارتها ، تصاعد الانبعاث الحرارى أكثر ، وبسرعة مذهلة ، حتى تحوّلت الجمجمة على الشاشة إلى كرة كبيرة متوهجة ، قبل أن يتفجّر الوهج بغتة ، ليشمل الشاشة كلها ، فتراجعت (سلوى) بحركة حادة ، هاتفة :

- مستحيل ! إننا لم نشعر بأى انبعاث حرارى زائد .

توقفت الشاشة بغتة عن البث ، ثم عادت ترسم صورة باهتة للغاية ، لكل الأجساد الحية فى القاعة ، ولكن الحرارة الضئيلة ، المنبعثة من الآثار والتحف تلاشت مع ضعف الصورة ، فغمغمت (نشوى) فى توتر :

- إنها اللحظة التى غمرنا فيها ذلك الضوء الأحمر المخيف .

لم تعلّق (سلوى) على عبارتها ، وهى تتابع ذلك المشهد على الشاشة ، فى توتر كامل ..

فكل شىء فى المشهد كان يوحى بأن ذلك الكاهن المخيف قد ظهر وسط القاعة ..

الدكتور (فريد) كان يتراجع فى عنف ، والدكتور (منير) يرتعد بقوة ، وباقى الحاضرين يتحركون فى ذعر وعشوائية ..

وبخلاف هذا ، لم يكن هناك دليل واحد ، على وجود ذلك الكاهن ..

لم يكن جسده يبعث ، ولو ذرة واحدة من الحرارة ..

وسقط الدكتور (فريد) أيضًا ..

ووثب (نور) و(أكرم) نحو بقعة ، تبعد عنه مترًا واحدًا ..

وهنا تألقت تلك الجمجمة مرة أخرى ..

وشمل الوهج الشاشة كلها ..

ثم توقَّف جهاز الرصد دفعة واحدة ..

ونهائيًا ..

ولثوان، لم تنبس (سلوى) أو ابنتها بحرف واحد ..

ثم غمغمت (سلوى) فى توتر بالغ :

ـ لقد عادت الأضواء .

نطقتها، وهى تنقل بصرها إلى شاشة الرصد العادية، وتحدق فى المشهد كله ..

فبكل ذرة من كيانها، أصبحت واثقة من أن السر كله يكمن هناك ..

فى تلك الجمجمة ..

الجمجمة الرهيبة ..

* * *

« إنها ليست جمجمة قرد بالتأكيد .. »

غمغم الدكتور (عبادة)، نقيب الأطباء البيطريين بالعبارة، فى اهتمام بالغ، وهو يقلب الجمجمة بين يديه، قبل أن يضيف فى حزم وحسم :

ـ إنها ليست جمجمة أى حيوان معروف على الأرض .

تمتم الدكتور (حجازى) :

ـ هذا ما توقَّعته .

ثم سأل زميله فى اهتمام :

ـ كم يبلغ عمرها فى تقديرك ؟!

هزَّ الدكتور (عبادة) كتفيه، قائلاً :

ـ الواقع أن كل معلوماتى تتعلَّق بمجال التشريح المقارن، فى الطب البيطرى .

التقط الدكتور (حجازى) الجمجمة، وهو يقول :

ـ أنا كذلك، تقتصر معلوماتى على الجسد البشرى، ولكن مادامت هذه الجمجمة تشبه جماجم الثدييات لدينا، فربما تنطبق عليها القواعد نفسها .. دعنا ننظر إلى أماكن الالتئام فى أعلاها، وشكل الأسنان أو ...

توقف بغتة ، وهو يحدق فى نقطة ما ، على قمة الجمجمة ، قبل أن يميل بها نحو زميله البيطرى ، متسائلاً :

ـ قل لى : أيبدو لك هذا ، مثلما يبدو لى ؟!

فحص الدكتور (عبادة) تلك النقطة ، قبل أن يقول فى دهشة :

ـ بالتأكيد .. لقد أجريت لصاحب هذه الجمجمة ، أيًا كان ، عملية تربنة ، باستخدام شعاع من الليزر .

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) ، وهو يغمغم ، وكأنما يحدث نفسه :

ـ عملية جراحية ، بشعاع من الليزر ، فى جمجمة أثرية ، داخل معبد فرعونى قديم ؟! كيف يمكن هذا ؟!

مطّ الدكتور (عبادة) شفتيه ، وهو يقول فى حذر :

ـ هذا يوحى بأن هذه الجمجمة حديثة .. من زمن استخدام الليزر الجراحى على الأقل ، وهذا يعود إلى مايقل عن نصف القرن ، وعلى الرغم من هذا ، فشكل عظامها يوحى بأن عمرها يتجاوز عدة قرون .

قلّب الدكتور (حجازى) الجمجمة بين يديه مرة أخرى ، وقال :

ـ هذا صحيح .

عاد يفحص الجمجمة باهتمام أكثر ، ثم أخرج منظاره المكبّر ، وأمالها ليفحص تجويف العينين ، متابعًا :

ـ أطراف العظيمات الداخلية أيضًا متآكلة ، على نحو يوحى بقدم عمرها .

سأله الدكتور (عبادة) فى قلق :

ـ من أين أتيتم بهذه الجمجمة ؟!

أدار الدكتور (حجازى) منظاره ، ليفحص الأسنان ، وتجويف الفك ، وهو يكمل ، وكأنه لم يسمع ما قاله زميله :

ـ هناك مفاجأة أخرى .

هتف به الدكتور (عبادة) فى لهفة :

- ما هى ؟!

رفع الدكتور (حجازى) عينيه إليه ، قائلاً فى انفعال :

إحدى الأسنان هنا صناعية .

هتف الدكتور (عبادة) ، وهو يميل لرؤية ما تحدث عنه الدكتور (حجازى) :

- حقًا ؟!

حدق كلاهما ، عبر المنظار المكبّر ، فى سن صناعية ، يمكن تمييزها بصعوبة ، وسط ما تبقى من أسنان الجمجمة ، ومدّ الدكتور (عبادة) يده يلمسها ، قائلاً فى شغف فضول :

- من أية مادة صنعت ؟! إنها تبدو ..

بتر عبارته بغتة ، عندما لمس السن الصناعية ، وانتفض جسده فى عنف ، وهو يرتدّ بحركة حادة ، كمن أصابه تيار كهربى ، فهتف به الدكتور (حجازى) :

- ماذا أصابك ؟!

أشار الدكتور (عبادة) فى رعب إلى الجمجمة ، هاتفًا :

- لقد .. لقد صعقتنى ، يبدو أنها ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق أزيز مباغت من الجمجمة ، فانتفض جسد الدكتور (حجازى) ، وهو يقول فى عصبية :

- ما هذا ؟!

فى منتصف كلمتة تقريبًا ، سطع وهج مباشر من الجمجمة ، أشبه بمصابيح التصوير ، فأغلق الرجلان عيونهما انبهارًا ، ثم عادا يفتحانها فى بطء ، قبل أن تتسع عيونهما عن آخرها ، فى ذهول مذعور ..

فما يحيط بهما ، لم يعد تلك القاعة الجديدة ، فى متحف الآثار الحديث ..

لقد صار معبدًا ..

ذلك المعبد الفرعونى القديم ، المزدان بالنقوش الهيروغليفية ، والرسوم التوضيحية ..

وفى منتصفه تمامًا ، كان هناك وعاء من النحاس ، أضرمت فيه النيران ، وتأججت ، لتضىء ، المكان كله ، وتتراقص على جسد كاهن يوليهما ظهره ..

ومع أنفاسهما المحبوسة ، استدار إليهما ذلك الكاهن فى بطء ، ثم رمقهما بنظرات رهيبة مخيفة ..

مخيفة إلى أقصى حد ..

نظرات يطلّ منها عدو لاينهزم قط ..

الموت ..

وبلا رحمة .

* * *



٤ ـ الرعب ..

طرق (نور) باب منزل الدكتورة (عبلة) فى قوة، وهو يقول فى صرامة :

ـ دكتورة (عبلة) .. نحن نعلم أنك هنا .. افتحى الباب فورًا .

جاوبه صمت مطبق ، وكأن المنزل خالٍ بالفعل ، ولكن (رمزى) غمغم فى ثقة :

ـ إنها بالداخل .

عاود (نور) طرق الباب ، هاتفًا :

ـ سيدتى .. الأمر يتجاوز حدود هذا العبث .. افتحى الباب ، وإلا استصدرت أمرًا باقتحام منزلك .

أشار إليه (رمزى) ، وهو يغمغم :

ـ أعتقد أننى أستطيع لعب هذا الدور بأسلوب أفضل .

تراجع (نور) ، وأشار إلى الباب ، قائلاً :

ـ على الرحب والسعة .

تقدّم (رمزى) ، وطرق الباب فى هدوء ، وهو يقول :

ـ دكتورة (عبلة) .. نحن نعرف مايخيفك بالضبط ، وما تحاولين الفرار والاحتماء منه .. ولكنك تعرفين مثلنا أن الأبواب والجدران لن تمنعه عنك .. صدقينى ياسيدتى .. نحن هنا لحمايتك .

مضت لحظات من الصمت ، خيّل لـ (نور) خلالها أن خبيرة التاريخ الطبيعى ستواصل إصرارها وعنادها ، إلا أنه فوجئ بها تقول ، عبر جهاز الاتصال المنزلى :

ـ لا أحد يمكنه حمايتى .

كتم (نور) انفعاله فى صعوبة ، فى حين قال (رمزى) بنفس الهدوء :

ـ ربما ، ولكن هذا السجن الانفرادى الاختيارى أيضًا لن يمكنه هذا .. وجودك وسط فريق مهتم بأمرك ، ربما يكون الأمل الوحيد فى النجاة .

بدا صوتها باكيًا منهارًا ، وهى تهتف :

ـ مستحيل ! سينتقمون منا حتمًا ؛ فما فعلناه كان فظيعًا .. فظيعًا بحق .

انعقد حاجبا (نور) ، عند هذه العبارة ، وتقدّم يدق الباب ، قائلاً فى توتر شديد :

ـ افتحى الباب ياسيدتى .. افتحى وأخبرينا ما الذى فعلتموه بالضبط ، ليحدث كل هذا .

صرخت المرأة من الداخل :

ـ لا .. لا أريد رؤية أحد .. ابتعدوا .. ابتعدوا وإلاقتلت نفسى .

التفت (نور) إلى (رمزى) ، يسأله :

ـ هل يمكن أن تقتل نفسها بحق ؟!

هزّ (رمزى) كتفيه ، مجيبًا :

ـ لم أدرس ملفها النفسى ، حتى يمكننى الجزم بهذا أو نفيه ، ولكن هذا محتمل ، فى ظروفها هذه .

سأله (نور) بلهجة حازمة :

ـ كم فى المائة ؟!

هزّ (رمزى) كتفيه مرة أخرى ، مجيبًا :

ـ خمسون فى المائة .

وهنا ، انتزع (نور) مسدسه الليزرى من حزامه ، قائلاً فى صرامة :

ـ فليكن .. سأتحمل مسئولية المخاطرة .

تراجع (رمزى) ، مغمغمًا :

ـ هذا شأنك .

صوّب (نور) مسدسه الليزرى إلى رتاج الباب الإليكترونى ، و...

وفجأة ، انطلقت تلك الصرخة الرهيبة ..

صرخة رعب هائلة ، أطلقتها الدكتورة (عبلة) ، من داخل منزلها ، ورددتها جدرانه ، ونقلها جهاز الاتصال المنزلى :

ـ لا .. لا .. ليس أنا .

وقبل حتى أن تكتمل صرخة ، أطلق (نور) أشعة مسدسه الليزرى ، لينسف ذلك الرتاج الإليكترونى ، فانطلقت صفارات الإنذار من كل مكان بالمنزل ، ولكن (نور) تجاهلها ، وهو يدفع الباب بقدمه ، ويندفع إلى المكان ، وخلفه (رمزى) ، الذى يهتف فى ارتياع :

ـ رباه ! لاتجعله يظفر بها ..

انطلقت صرخة أخرى ، امتزج خلالها الرعب بـالألم ، وأعقبتها شهقة مخيفة ،ثم صوت ارتطام جسم بالأرض ، فصاح (نور) ، وهو يقتحم حجرة المعيشة :

ـ يا إلهى ! هل ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، وهو يقتحم الحجرة ، ثم يتوقّف بحركة حادة ، محدقًا فى ذلك المشهد الرهيب داخلها ..

فهناك .. فى منتصف الحجرة تمامًا ، كانت الدكتورة (عبلة) ملقاة أرضًا ، فى معطف منزلى ، وشعر منفوش ، ووجه خلا من الحياة ، واكتسب كل ما تحويه الكتب من سمات الرعب والفزع ..

وعلى مسافة متر واحد منها ، كان يقف ذلك الكاهن ، وفى يده جمجمة ..

نفس الجمجمة ، التى رآها (نور) هناك ..

فى القاعة الجديدة ..

ومع اقتحام (نور) للحجرة ، استدار إليه الكاهن فى بطء ، وتوهجت عيناه على نحو مخيف ..

مخيف للغاية ..

وفى هدوء ، وكأنما لايعنيه وجود (نور) ، أو (رمزى) الذى لحق به ، ووقف ذاهلاً مذعورًا بدوره ، استدار الكاهن الرهيب ، واتجه نحو الجدار مباشرة ..

وبكل صرامته وتوتره ، رفع (نور) مسدسه نحو الكاهن ، صائحًا :

ـ قف .. قف وإلا أطلقت النار .

استدار الكاهن إليه ، بنفس البطء العجيب ، وبدا وكأن عينيه قد اشتعلتا بنيران غضب هائل ، فتراجع (نور) بحركة غريزية ، صائحًا :

وعلى مسافة متر واحد منها ، كان يقف ذلك الكاهن ، وفى يده جمجمة ..

ـ أنا جاد فيما أقول .. لو تحرّ ..

قبل أن تكتمل صيحته ، اختفى الكاهن من مكانه بغتة ، ثم ظهر على مسافة نصف المتر من (نور) ، وكأنما اخترق حاجز الزمن ، فى جزء من ألف جزء من الثانية ..

وبحركة سريعة كالبرق ، رفع كفه اليسرى ، ولطم بها (نور) فى فكه ..

وعلى الرغم من أن اللطمة قد بدت هادئة بسيطة ، بالنسبة لـ (رمزى) ، إلا أنها انتزعت (نور) من مكانه فى عنف ، وألقته مترين إلى الخلف ، ليرتطم بالجدار فى قوة ، ثم يسقط أرضًا ، وينفلت مسدسه الليزرى من يده ، ليطير إلى ركن الحجرة ..

وفى جزء آخر من الثانية ، كان الكاهن قد عاد إلى موضعه الأول ، وكأنما لم يتحرك من مكانه قيد أنملة ..

وفى هدوء شديد ، وأمام عينى (رمزى) ، اللتين اتسعتا عن آخرهما ، فى رعب ذاهل ، استدار الكاهن ،

وواصل طريقه نحو الجدار ، و ...

واخترقه ..

نعم .. اخترقه كما لو أنه مجرد طيف بلاجسد ..

وفى اللحظة نفسها ، نهض (نور) ، وهو يسعل بشدة ، وهتف فى توتر :

ـ أين .. أين ذهب ؟!

التفت إليه (رمزى) ، بنفس العينين الذاهلتين المذعورتين ، وحدق فيه لحظة ، قبل أن يقول :

ـ لقد .. لقد ظفر بها .

لم تكن هناك علاقة مباشرة بين السؤال والجواب ، ولكن كلا منهما ألقى مابداخله فحسب ، قبل أن يشملهما معًا صمت رهيب ، لم يخترقه سوى دوى أبواق سيارات الشرطة والإسعاف ، التى تأتى من بعيد ، معلنة أن كاهن (الفودو) الفرعونى قد ربح جولة جديدة ..

وبكل جدارة ..

* * *

« دكتور (حجازى) .. استيقظ .. استيقظ يا دكتور (حجازى) .. »

تسلل الصوت إلى أذنى الدكتور (حجازى) ، فانتزعه من بئر سحيقة مظلمة ، وجعل جسده كله ينتفض ، وهو يهبّ جالسًا ، ويصرخ :

ـ لا .. لا .. ليس أنا .

ثم حدّق فى وجه قائد أمن المتحف ، الذى سأله فى دهشة قلقة :

ـ ليس أنت ماذا ياسيّدى ؟!

واصل الدكتور (حجازى) تحديقه فى وجه قائد أمن المتحف لحظة ، قبل أن يتلفت حوله فى ذعر ، هاتفًا :

ـ أين نحن ؟! هل .. هل عدنا ؟!

سأله الرجل فى حيرة شديدة :

ـ عدتما من أين يا دكتور (حجازى) ؟! لقد كنتما تفحصان الجمجمة الإفريقية ، فى حجرة الفحص .. أنت والدكتور (عبادة) ، ثم سمعنا صوتًا أشبه بانفجار مكتوم ، فهرعنا إلى هنا ، ووجدناكما فاقدى الوعى .. ما الذى حدث يا سيّدى .. أخبرنا بالله عليك .

حدّق الدكتور (حجازى) فى زميله (عبادة) ، الذى انهمك رجل آخر ، من طاقم أمن المتحف فى إفاقته ، ثم هتف :

ـ أين هى ؟! أين الجمجمة ؟!

تلفّت رئيس الأمن حوله بدوره ، وكأنما باغته السؤال ، وهتف فى ذعر شديد :

ـ رباه ! أين هى ؟!

نهض الدكتور (حجازى) فى توتر وتهالك ، وهو يهتف :

ـ هل .. هل غادر أحدكم الحجرة ؟!

هزّ رئيس الأمن رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ كلا يا سيدى .. الجمجمة لم تكن هنا عندما أتينا .. وجودكما فى هذه الحالة جعلنا لاننتبه إلى غيابها فى البداية .. رباه ! إنها مسئولية هائلة .. كيف سنشرح ما حدث للمسئولين ؟!

تلفت الدكتور (حجازى) حوله مرة أخرى ، بوجه شاحب ممتقع ، وذهنه يستعيد ما حدث ..

ذلك الكاهن الرهيب تطلع إليهما بنظراته القاسية المخيفة .. ثم تقدم نحوهما ..

وبكل رعب الدنيا ، هتف الدكتور (عبادة) :

ـ ما .. ماذا تريد منا ؟!

واصل الكاهن تقدمه نحوهما ، وكأنه لم يسمعه ، فصاح بذعر أكبر :

ـ ماذا سيفعل بنا ؟! ماذا سيفعل بنا ؟!

توقف الكاهن ، على مسافة متر واحد منهما ، وبدت لهما عيناه أشبه بقطعة من الجحيم ، وهو يمد يديه فى

بطء ، ويلتقط الجمجمة من بين يدى الدكتور (حجازى) ، الذى خيل إليه أن جسده كله قد تجمد .. حتى قلبه ..

وعندما استعاد الكاهن جمجمته ، تألقت عيناه ببريق عجيب ، وهو يتطلع إليها بشغف وارتياح ، قبل أن يدير وجهها نحوهما ، وينطلق ذلك الوهج ، و ...

« أين أنا ؟! »

هتف الدكتور (عبادة) بالسؤال فى ارتياع ، فور استعادته وعيه ، وهو يهب جالسًا ، فالتفت إليه الدكتور (حجازى) قائلاً فى توتر :

ـ نحن هنا يا دكتور (عبادة) .. لقد عدنا .

حدق فيه البيطرى برعب ، ثم تلفت حوله مذعورًا ، وهو يهتف :

ـ هل .. هل ذهب ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه ، مغمغمًا :

ـ نعم .

حنق الرجل فيه لحظة أخرى ، ثم انفجر باكيًا ، مفرغًا كل انفعالاته ، فربت الدكتور (حجازى) على كتفه ، متمتمًا فى أسى :

- ابك يا رجل .. افرغ كل ما بداخلك .. هذا أمر طبيعى ؛ لأنك لم تواجه أمرًا خارقًا كهذا من قبل .

هتف به الرجل فى انهيار :

- وهل واجهت أنت مثله ؟!

زفر الدكتور (حجازى) ، مغمغمًا :

- عدة مرات .

اتسعت عينا الدكتور (عبادة) فى رعب ، وهو يحدق فى وجهه ، فعاد الدكتور (حجازى) يربت على كتفه ، قائلًا :

- هيا .. اهدأ ، فهناك من يهمه أن يسمع ما لديك .

وتنهد فى توتر ، قبل أن يضيف :

- وبشدة .

نطقها ، وهو واثق من أن هذه القضية ستكون أخطر القضايا ، التى تولاها فريق (نور) ..

أخطرها على الإطلاق ..

* * *

« من (نسر - ١٧) إلى القاعدة .. الهدف يقترب .. دقيقة واحدة ، ونصل إلى مجاله الجوى .. »

أطلقت الطائرة المصرية ذلك النداء ، وهى تحلق فى سماء (إفريقيا) ، فى طريقها إلى تلك المنطقة ، التى تخفيها أحراش كثيفة ، فى قلب القارة السوداء ، فأجابتها القاعدة ، عبر أقمار الاتصال الصناعية :

- لا تتجه نحو الهدف مباشرة يا (نسر - ١٧) .. در حوله أولًا ، واترك أجهزتك ترصد الموقف أولًا .

قال قائد الطائرة المصرية فى آلية :

- عُلِمَ وينفذ .

دار بالطائرة ، التى تحوى عددًا من أحدث أجهزة الرصد الإليكترونية ، حول الهدف ، وضغط أزرار تشغيل الأجهزة ، فراحت تعمل كلها فى آن واحد ، وهو يبث رسالته للقاعدة ، قائلاً :

ـ الأجهزة بدأت عملها ، وننتظر الآن بدخول المجال الجوى للهدف .

مضت لحظات من الصمت ، قبل أن يأتيه صوت مسئول القاعدة ، يقول فى توتر ملحوظ :

ـ الأجهزة كلها ترسل إشارات سلبية ، كما لو أنه هناك ما يمنعها من الرصد .. حاول الاقتراب من الهدف أكثر .

أجابه قائد الطائرة ، وهو يقترب من الهدف أكثر :

ـ نحن ندخل المجال الجوى للهدف .

قال مسئول القاعدة ، فى توتر أكثر :

ـ اقترب بحذر يا (نسر ـ ١٧) .

أجابه قائد الطائرة :

ـ عُلِمَ و ...

فجأه ، انقطع الاتصال ، وتوقَّف بث أجهزة الرصد كلها دفعة واحدة ..

بل وتوقفت أجهزة الطائرة أيضًا عن العمل ..

وراحت تهوى ..

وتهوى ..

وتهوى ..

وبسرعة ، وكما تدرَّب كثيرًا وطويلاً ، جذب قائد الطائرة ذراعًا معدنية ، تمت إضافتها خصيصًا إلى طائرته ، لينتقل أسلوب القيادة إلى محرك يدوى محدود ، اشتعل على الفور ، فدفع الطيَّار طائرته خارج المجال الجوى للهدف ، ولم يكد يفعل حتى عادت كل أجهزة طائرته للعمل ، واستعاد نظام الاتصال ، فهتف فى عصبية :

ـ حدث ما يحدث فى كل مرة ..

« هذا ما رصدته أقمارنا ، فى محاولتنا الأخيرة أيضًا .. »

نطق الدكتور (جلال) العبارة ، وهو يشير إلى شاشة كبيرة ، فى حجرة القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، الذى تراجع فى مقعده ، وداعب ذقنه فى توتر ، قائلاً :

ـ عجبًا ! كيف لم نكتشف أمر هذه البقعة المظلمة إلا مؤخرًا ؟! كيف لم نرصدها بشكل كامل فيما قبل؟!

أطفأ الدكتور (جلال) شاشة العرض ، وهو يقول :

ـ مراجعتى للخرائط القديمة تشير إلى أنها موجودة منذ بدأنا عملية المسح بالأقمار الصناعية ، منذ أكثر من نصف قرن ، ولكنها غارقة فى قلب الكثافة الأحراشية الإفريقية ، فى منطقة غير مأهولة بالسكان ، منذ قرون طويلة ، ثم إن مساحتها الصغيرة المحدودة ، جعلت أحدًا لايلتفت إليها باهتمام ، حتى كانت تلك البعثة الاستكشافية .

هزّ القائد الأعلى رأسه ثانية ، وهو يتمتم مكررًا :

ـ عجبًا !

وراجع المعلومات مرة أخرى فى رأسه ، قبل أن يتابع فى حيرة :

ـ ترى ماذا يوجد فى تلك البقعة الصغيرة بالضبط؟! أقمارنا الصناعية لاترصدها ، وينبعث منها فى بعض الأحيان نشاط إشعاعى وحرارى كبير ، ثم لايلبث أن يخبو ، ويتلاشى تمامًا لوقت طويل ، وكل ما يدخل فى مجالها من أجهزة إليكترونية يتوقف عن العمل ، وعلى الرغم من هذا ، فلايمكننا أن نرصد فيها أية موجات فائقة الصغر ، أو كهرومغنطيسية .. كيف يمكن تفسير هذا اللغز بالله عليك ؟!

مطّ الدكتور (جلال) شفتيه ، قائلاً :

ـ علماؤنا عاكفون على دراسة كل التفاصيل والمعطيات ، فى محاولة لإيجاد تفسير علمى مقنع ، ولكن خبراءنا يؤكدون أن الأمر يحتاج إلى بعثة استكشافية أخرى ، أو ...

بتر عبارته بتردُّد قصير ، قبل أن يتابع :

ـ أو حملة عسكرية .

تنهَّد القائد الأعلى فى توتر ، ولوَّح بيده ، قائلاً :

ـ انس أمر الحملة العسكرية تمامًا ؛ فالدولة التى تقع تلك البقعة داخل حدودها ، ترفض بشدة وجود أى جندى أجنبى على أرضها ، ثم إن عقائدهم هناك تمنعهم من الاقتراب من تلك المنطقة ، التى يطلقون عليها اسم (العالم المحظور) مما يجعل الأمر غاية فى الصعوبة .

قال الدكتور (جلال) :

ـ ولكنهم وافقوا على حملة استكشافية علمية .

لوَّح القائد الأعلى بيده مرة أخرى ، قائلاً :

ـ هذا أمر يختلف .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يقول بلهجة خاصة :

ـ فلنرسل حملة علمية استكشافية أخرى إذن .

أدرك القائد الأعلى ما يرمى إليه الدكتور (جلال) ، فتراجع فى مقعده ، وتطلَّع إليه لحظة ، قبل أن يغمغم :

ـ نعم .. ولِمَ لا ؟!

بدت عليه علامات التفكير بضع لحظات ، قبل أن يكرِّر :

ـ ولِمَ لا ؟!

وفى تلافيف مخه ، بدأ يدرس الفكرة فى عمق ..

فكرة إرسال حملة علمية استكشافية زائفة ، إلى تلك المدينة المفقودة ، فى قلب (إفريقيا) ..

المدينة التى تضم ذلك المعبد المزدوج المخيف ..

المعبد الفرعونى ، الذى يديره كهنة أبشع سحر أسود عرفه التاريخ ..

(الفودو) ..

* * *

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يستمع إلى ما يرويه الدكتور (حجازى) والدكتور (عبادة) ، حتى انتهيا من روايتهما ، فتطلع إليهما فى صمت متوتر ، فى حين غمغم (رمزى) مبهورًا :

ـ يا لها من تجربة رهيبة !

زفرت (سلوى) فى عصبية ، قائلة :

ـ كان من المحتم أن يستعيدوا تلك الجمجمة ، بعدما كشفناه من أمرها .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ السؤال هو : من هم ؟! وكيف فعلوا هذا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى سرعة :

ـ كهنة (الفودو) .. معذرة .. أقصد سحرة (الفودو) ..

هتف (أكرم) بحدة أكثر :

ـ ما زال النصف الثانى من السؤال ساريًا .. كيف ؟!

قالت (نشوى) فى سرعة :

ـ ما كشفناه يوحى بأن كل هذا مجرد خداع هولوجرافى .

أشار (نور) إلى ذقنه ، وهو يقول :

ـ الخداع الهولوجرافى لا يلطم بهذه القوة .

قالت فى إصرار :

ـ وأى مخلوق حى ، يصدر ولو قدرًا ضئيلاً من الانبعاث الحرارى .

التقط الدكتور (حجازى) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول فى توتر شديد :

ـ هذا لو أنه مخلوق حى .

استدار إليه الكل فى دهشة ، وسأله (رمزى) فى حيرة :

ـ ما الذى تعنيه بهذا ؟!

لوّح بيده ، مجيبًا فى عصبية :

ـ أعنى أنه من الممكن أن يكون مجرد (زومبى) مثلاً .

حدّقوا في وجهه بدهشة عارمة ، قبل أن تهتف (سلوى) مستنكرة :

- (زومبى) ؟! وما هذا الـ (زومبى) ؟!

ازدرد الطبيب الشرعى لعابه فى صعوبة ، وقال فى توتر :

- الـ (زومبى) هم الموتى الأحياء ، كما تقول عنهم عقيدة سحرة (الفودو) ، وهم عبارة عن أجساد ماتت فعليًا ، وغادرتها أرواحها ، ولكنها تتحرّك بقوة عقول السحرة ، كما لو كانت مجرّد دمى آلية ، و...

قاطعه الدكتور (عبادة) ، وهو يهتف فى عصبية شديدة :

- هراء .. أسخف ماسمعته في حياتي كلها .. الموتى لايعودون إلى الحياة أبدًا .. الله (سبحانه وتعالى) وحده يعيد الروح إلى جسدها وقتما يشاء .

تنهدّ الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

- بالضبط ، وأنا لم أشر مطلقًا إلى أن سحرة (الفودو) يعيدون الروح إلى الجسد ، ولكن الأمر لايعدو عملية تحريك الأشياء عن بعد ، أو ما يطلقون عليه ، فى علوم ما فوق الطبيعيات اسم (سيكوكينيزس) ، وهو نفس ما يمكن أن يفعله شخص يمتلك هذه الموهبة ، عندما يحرك كوبًا من موضعه ، أو ينقل مطرقة ، من مكان إلى آخر ، بقواه العقلية وحدها .. وبالنسبة لسحرة (الفودو) ، فالجسد الميت يصبح مجرّد جماد بلاروح ، يمكنهم تحريكه بقواهم العقلية وحدها ، وهذا ما تقوله عقيدتهم ، وما رصده بعض الدارسين والباحثين بالفعل(*)

هزّ الدكتور (عبادة) رأسه فى شدة ، هاتفًا :

- لن أصدّق هذا قط ، حتى لو رأيته بأم رأسى .

مطّ الدكتور (حجازى) شفتيه ، وهو يقول :

- لست وحدك ؛ فمعظم الناس لايمكنهم إدراك ما تراه عيونهم بالفعل ، فكيف بما يفوق إدراكهم العقلى كله .

(*) حقيقة ..

تراجع (نور) فى مقعده، وهو يقول :

ـ تلك النظرة المخيفة، التى رأيناها جميعًا، فى عينى ذلك الكاهن الرهيب، لايمكن أن تنبعث من عينى جثة يا دكتور (حجازى)، وأنت أكثر من يدرك هذا .

قلب الطبيب الشرعى كفيه، وهو يقول :

ـ كنت أحاول إيجاد تفسير لعدم انبعاث أية حرارة من جسده .

أشار (نور) بيده، قائلاً :

ـ دعنا من التفسير الآن، حتى تكتمل المعطيات على الأقل .

ثم استدار إلى الدكتور (مينا)، الذى يجلس صامتًا شاحبًا، وأكمل فى صرامة :

ـ وأظن أن لديك جزءًا كبيرًا منها يا دكتور (مينا) .

ارتجفت شفتا الجيولوجى، وهو يغمغم :

بالتأكيد .

قال (نور) فى حزم :

ـ أخبرنا إذن ما الذى فعلتموه هناك، فى ذلك المعبد، الغارق فى قلب أحراش (إفريقيا) ؟! أى ذنب اقترفتموه هناك، حتى تستحقوا كل هذا، كما قالت الدكتورة (عبلة) قبل مصرعها، وكما قلت أنت، عندما اشتعل منزلك ؟!

ارتجفت شفتا الدكتور (مينا)، واغرورقت عيناه بالدموع، وهو يخفض وجهه، قائلاً فى مرارة :

ـ لقد ارتكبنا جريمة .. جريمة لاتغتفر .

سألته (سلوى) فى لهفة متوترة :

ـ وما هى ؟!

بكى، وهو يقول :

ـ سأخبركم .. سأخبركم بكل شىء .

ثم راح يروى ماحدث ..

وكان مايرويه رهيبًا ..

رهيبًا للغاية .

* * *

٥ـ الجريمة ..

لدقيقة كاملة ، راح جسد الدكتور (مينا) يرتجف فى قوة ، ودموعه تغرق عينيه ، ولسانه عاجز عن النطق بحرف واحد ، وعلى الرغم من هذا ، لم يحاول أحد الحاضرين حثه على الكلام ، وهم يتطلعون إليه فى صمت مشفق ، حتى مسح دموعه ، وراح ينتحب لنصف دقيقة أخرى ، قبل أن يلتقط نفسًا عميقًا ، ثم يقول فى مرارة ، وعيناه معلقتان بأرضية الحجرة :

ـ فى البداية كنا نتصوَّر أننا سنعثر على المدينة المفقودة الأسطورية ، التى تتحدَّث عنها كل الشعوب الإفريقية تقريبًا ، بناءً على بعض المعلومات ، التى استقاها الدكتور (فريد) من مخطوطات قديمة ، وحكايات تناقلتها الأجيال ، فى (إفريقيا) الوسطى ، وأسطورة قديمة ، سمعها فى (مدغشقر) .. المهم أننا وصلنا إلى ذلك البلد الإفريقى ، والتقينا هناك بعدد من العلماء

والسياسيين ، الذين قصوا علينا حكايات عجيبة ومخيفة ، عن مصير كل من حاول العثور على المدينة المفقودة ، وحاولوا جاهدين إثناءنا عن مهمتنا ، مؤكدين أن أحدًا لن يقبل معاونتنا ، مهما أغريناه بالمال أو الوعود البرَّاقة ، ولكننا كنا شديدى الإصرار واللهفة ، على وضع أسمائنا فى سجل تاريخ العلم ، باعتبارنا أوَّل من يكشف أمر المدينة الأسطورية المفقودة ، ثم إننا كنا قد اصطحبنا معنا طيارًا محترفًا ، وفريقًا من المعاونين من (مصر) .

عادت شفتاه ترتجفان ، عندما بلغ هذه النقطة من روايته ، وكأنما استعاد ذكرى بغيضة إلى نفسه ، فهزَّ رأسه فى قوة ، لينفض عنه ذلك الشعور بالاختناق ، قبل أن يتابع فى مرارة أكثر :

ـ لم تكن الرحلة هينة أبدًا ، فالهليكوبتر ، التى جئنا بها من (مصر) ، حملتنا إلى بداية الأحراش الكثيفة ، وطلبنا من الطيار أن يعود إلى البقعة نفسها ، بعد ثلاثة أيام ، أو إذا ما استدعيناه لاسلكيًا ، وأكملنا نحن الثلاثة الرحلة على أقدامنا ، بصحبة فريق المعاونين ..

اتسعت عيناه ، وبدا وكأنه يحدق فى صورة مرعبة ، رسمتها ذاكرته فى فراغ الحجرة ، وهو يكمل :

ـ كانت رحلة رهيبة ، شاهدنا خلالها أهوالاً لم تخطر ببالنا قط .. بل ولم نتصور رؤيتها ، حتى فى أحلك كوابيسنا وأبشعها .

سألته (سلوى) فى لهفة :

ـ مثل ماذا ؟!

لم يبد حتى أنه قد سمعها ، وهو يشير بيده فى الهواء ، مستطرداً فى انفعال عجيب :

ـ معاونونا انهاروا .. أعصابهم تحطمت ، من هول ما مرَّ بنا .. كانوا تسعة رجال ، لم يتبق منهم سوى أربعة ، عندما عبرنا شلال النار .

غمغمت (نشوى) فى توتر شديد :

ـ شلال النار ؟! ما الذى يعنيه هذا ؟!

مرة أخرى ، بدا الرجل وكأنما فقد حاسة السمع ،

أو كأنه غاص فى ذكرياته حتى النخاع ، فلم يعد يشعر بما حوله وبمن حوله ، وهو يقول فى انفعال :

ـ ثم فجأة ، وجدناه أمامنا .

غمغم (نور) :

ـ ذلك المعبد ؟!

تابع الدكتور (مينا) كالمأخوذ :

ـ كانت مفاجأة ما بعدها مفاجأة ، حتى إننا لم نصدق أعيننا فى البداية ، وتصورنا أن ما نراه أمامنا مجردُ وهم ، أو خداع بصرى سخيف .. لقد كان أمامنا معبد فرعونى كامل ، يختفى وسط أحراش بالغة الكثافة .. معبد ضخم ، له جدران عالية ، مزدانة بنقوش فرعونية ، و...

ازدرد لعابه بصوت مسموع ، وراح العرق يتصبب على وجهه فى غزارة ، واتسعت عيناه فى رعب عجيب ، فقال الدكتور (حجازى) ، يستحثه على المواصلة :

ـ وماذا يا دكتور (مينا) ؟! وماذا ؟!

استدار الرجل إليه، وكأنما لستعاد حاسة السمع بغتة، وحدّق فى وجهه بضع لحظات فى ارتياع عجيب، قبل أن يجيب، بصوت ارتجف كل حرف منه رعبًا :

ـ وشيطانية !

انعقد حاجبا (نور) بشدة، عند سماعه اللفظ، وتطلّعت إليه زوجته (سلوى) برعب، أدرك معه أن عقلها قد استعاد نفس ما جال بخاطره، فربّت على كتفها، محاولاً بث الطمأنينة فى نفسها، فى نفس الوقت الذى سأل فيه (رمزى) الدكتور (مينا) فى اهتمام متوتر :

ـ ماذا تعنى بنقوش شيطانية باللّه عليك ؟!

شرد الدكتور (مينا) ببصره، وراح يلوّح بكفيه فى الهواء، وكأنما يحاول وصف شىء تحمله ذاكرته، ثم لم يلبث أن خفض كفيه وعينيه فى يأس وعجز مريرين، وهو يقول :

ـ لقد التقطنا صورًا لكل شىء .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ وأين تلك الصور ؟!

لوّح بيده فى مرارة، مجيبًا :

ـ كانت فى منزلى، مع الوثائق الأخرى .

عضّ (نور) شفتيه فى مرارة وغضب، مغمغمًا :

ـ أمر طبيعى .

هزّ الدكتور (مينا) رأسه، وكأنما يؤلمه ما حدث، ثم أطلق زفرة حارة عميقة، وتابع فى توتر :

ـ لقد شعرنا بالذعر والحيرة، وفرّ اثنان من معاونينا بالفعل، قبل أن يلقى ذلك الكاهن القبض علينا، ويأسرنا جميعًا فى معبده .

سألته (سلوى) :

ـ أهو كاهن واحد ؟!

بدت عليه حيرة مذعورة، وهو يجيب :

- إنه يبدو كاهنًا واحدًا، ولكنه يظهر فى كل مكان .. كاهن واحد له ألف جسد .

كانت عبارته محيِّرة مدهشة، ولكن أحدًا لم يسأله عما تعنيه، فتابع بكل توتره :

- لم يكن وجودنا يخيفه أو يقلقه، لذا فقد أطلق سراحنا، وتركنا نتابع ما يفعله، ونسجل عاداته العجيبة، وذلك المزيج المدهش، الذى يحكم به عالمه .. مزيج من الديانة الفرعونية، وعقائد (الفودو) الأصلية .

سأله (نور) فى اهتمام شديد :

- ماذا تعنى بعالمه ؟!

توقَّف الرجل لحظة، ثم أجاب بصوت مرتجف :

- كان هناك مئات .. بل آلاف من البشر .. كلهم من زنوج القبائل الإفريقية .. كانوا يظهرون عندما يستدعيهم، ثم لانرى لهم أثرًا بخلاف هذا .. وكلهم كانوا يخشونه خشية الموت، وينحنون أمامه كما لو كان إلهًا .

سأله (رمزى) فى لهفة :

- وكيف يتعامل هو معهم ؟!

اتسعت عيناه فى ارتياع، وهو يقول :

- بمنتهى القسوة والصرامة .. لقد شاهدناه يعاقب أحدهم، على ذنب لم ندر كنهه، بصب معدن مصهور فى حلقه .

انتفض جسد (نشوى) فى عنف، وهى تحدِّق فيه برعب، فى حين هتفت (سلوى)، وهى تلتصق بـ(نور) :

- ياللبشاعة !

لوَّح الدكتور (منير) بكفه، وهو يتابع :

- كان يتركنا نفعل كل ما يحلو لنا، ونسجِّل كل ما نراه، ويتابع عملنا بنظرة عجيبة، كانت تبعث فى نفوسنا رهبة وخوفًا مبهمين .. وخلال اليومين اللذين قضيناهما هناك، رأيناه يقوم بأمور مذهلة .. أمور لا يمكن تفسيرها علميًا أو تكنولوجيًا .. أمور تنتمى إلى السحر الأسود .. (الفودو) .

غمغم (نور) فى صرامة :

- هذا إقرار سابق لأوانه .

مطَّ الدكتور (منير) شفتيه، وهزَّ رأسه، قائلاً :

- من يسمع ليس كمن يرى .

عقد (نور) حاجبيه، وقال فى صرامة أكثر :

- فليكن .. دعنى أسألك إذن، أين الجريمة فى كل هذا ؟! أين ذلك الذنب الذى اقترفتموه، والذى يستحق المطاردة والانتقام على هذا النحو ؟!

مدَّ الدكتور (مينا) ذراعه عن آخرها، وضمَّ قبضته، وفرد سبَّابته، وكأنما يحاول الإشارة إلى شىء ما، ثم راح يدير ذراعه الممدودة، من الأمام إلى الخلف، وشفتاه ترتجفان، وكأنما تبحثان عن الكلمات المناسبة، قبل أن يقول مندفعًا، وكأنما يفرغ ما بجعبته :

- هناك .. فى المتحف .

كانت إجابته مدهشة ومحيِّرة، فسأله (نور) فى توتر :

- ماذا تعنى ؟!

عادت الدموع تنساب من عينى الجيولوجى، وهو يجيب :

- تلك الآثار أيها المقدَّم .. الآثار والتحف التى أحضرناها من هناك هى جريمتنا .

سأله (رمزى) فى لهفة :

- أتعنى أنكم قد سرقتموها ؟!

هزَّ الرجل رأسه نفيًا فى عنف، وهو يجيب فى عصبية شديدة :

- ليت الأمر اقتصر على هذا .

ثم دفن وجهه فى كفيه، وهو يضيف منهارًا :

- لقد قتلنا من أجلها .

وانتفضت أجساد الكل فى عنف ..

فقد كان هذا الجزء من اعترافه خطيرًا للغاية !

وبحق ..

* * *



هزَّ الرجل رأسه نفيًا فى عنف ، وهو يجيب فى عصبية شديدة :
ـ ليت الأمر اقتصر على هذا .. ثم دفن وجهه فى كفيه ..

« لايوجد أى تفسير علمى لهذا .. »

نطق كبير خبراء مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية المصرية ، بالعبارة فى توتر ، أمام الدكتور (جلال) ، قبل أن يقلب كفيه ، متابعًا فى عصبية :

ـ لقد درسنا المعطيات من كل الأوجه ، وراجعناها على كل القواعد العلمية المعروفة ، وفحصناها ، ومحصناها ، وغذينا بها أجهزة الكمبيوتر العلمية ، ومحطات البحث الخلوية ، ولكن كل هـذا لم يسفر عن تفسير علمى ، أو حتى منطقى واحد .

بدا التوتر الشديد على وجه الدكتور (جلال) وصوته ، وهو يسأله :

ـ وماذا عما سجلته الأقمار الصناعية ؟!

هتف كبير الخبراء محنقًا :

ـ وما الذى سجلته ؟! انبعاث حرارى متغيِّر ؟! هذا يمكن أن يكون مجرَّد حرائق غابات ، أو حتى تجمع لبعض القبائل ، التى تشعل النيران فى احتفالاتها .

قال الدكتور (جلال) :

- ولكن كل الدراسات والمشاهدات تؤكِّد أن هذه المنطقة غير مأهولة .

قال كبير الخبراء فى عصبية :

- وماذا عن ذلك المعبد الفرعونى، الذى تمارس فيه عقيدة سحرة (الفودو) ؟! أكان أيضًا ضمن الدراسات والمشاهدات ؟!

ازدرد الدكتور (جلال) لعابه، مغمغمًا :

- كلاَّ .

ثم عاد يشدّ قامته، محاولاً استعادة مهابة منصبه، وهو يسأل الرجل فى حزم :

- إذن فأنتم ترون أنه من الأفضل أن ترسل بعثة علمية استكشافية أخرى ؟!

أجابه الرجل فى غضب :

- كان الأفضل لو أصررتم على الحصول على نسخة من كل الصور والوثائق، التى عادت بها البعثة الأولى .

زفر الدكتور (جلال)، قائلاً :

- ومن كان يتصوَّر ما حدث ؟!

ثم هزَّ كتفيه، متابعًا :

- حتى كشف ذلك المعبد المزدوج، لم يكن ليثير لدينا أدنى اهتمام؛ فهو أمر يهمّ الأثريين وخبراء التاريخ الطبيعى وعلوم الأجناس وحدهم، ولولا ما أكَّده العلماء الثلاثة، عن توقف كل أجهزتهم فى تلك المنطقة، وما كشفته محاولاتنا لرصدها، من ظواهر علمية عجيبة، لظللنا على عدم اهتمامنا به كمخابرات علمية .

قال كبير الخبراء :

- أضف إلى هذا ما حدث فى افتتاح قاعة المتحف الجديدة .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال)، وهو يقول :

- المقدّم (نور) وفريقه يتابعون هذه القضية بالفعل..

سأله كبير الخبراء :

ـ وماذا عن ...

قاطعه الدكتور (جلال) فى صرامة :

ـ دعك من تفنيد الموقف الآن ، وأخبرنى بشكل محدود .. هل من الضرورة أن نرسل بعثة علمية استكشافية جديدة أم لا ؟!

لم يرق هذا الأسلوب للرجل ، فأجاب فى تبرُّم :

ـ اعتقد أن هذه هى الوسيلة الوحيدة ، لجمع المعلومات المطلوبة عن المنطقة ، و ...

مرة أخرى ، قاطعه الدكتور (جلال) فى صرامة ، قائلاً :

ـ عظيم .. أريد توصية رسمية بهذا على مكتبى ، خلال ساعة واحدة .

ارتفع حاجبا كبير الخبراء فى دهشة مستنكرة ، وحدَّق فى الدكتور (جلال) ، الذى ألقى عبارته ، وغادر المكان كله ، وهو واثق من أن لمطلبه هذا غرضًا آخر ..

غرضًا غير رسمى ..

على الإطلاق ..

* * *

صمت ثقيل ، رهيب ، مهيب ، ذلك الذى خيَّم على الحجرة ، بعد أن ألقى الدكتور (مينا) عبارته الأخيرة ..

وفى ذهول مذعور مستنكر ، حدَّق الجميع فيه ، وهو يفرغ انفعالاته الجارفة فى دموعه الغزيرة ، التى أغرقت وجهه كله ، وتساقطت بين قدميه ، وهو يقطع ذلك الصمت ، قائلاً بكل مرارة وعذاب الدنيا :

ـ لم يخطر ببالنا لحظة واحدة ، أنه من الممكن أن نفعل هذا ، أو أن نرتكب نصف هذا الجرم ، ولكنه ذلك الشر الرهيب ، الذى يغلف كل شبر من ذلك المعبد ! لقد كنا نكتفى بتسجيل ما يحدث ، حتى ..

ارتجف صوته ، مع جسده كله ، وهو يتابع :

ـ حتى وقع بصرنا على (إصبع الشيطان) ..

راح جسده كله يرتجف ، عند هذه النقطة ، وهو يروى فى انفعال :

- كان مظهره رهيبًا ، بعث الرعب فى قلوبنا جميعًا ، ولكن كل هذا لم يكن شيئًا أمام مخبره .. لقد رأينا ذلك الكاهن يصنع به أمورًا مذهلة ، رهيبة .. شريرة إلى أقصى حد ..

ثم تألقت عيناه ، وهو يضيف :

- شىء ما ، فى ذلك الإصبع الشيطانى ، ملأ نفوسنا بالرغبة والطمع ، وجعلنا نضع خطة حقيرة فى المساء ، لنستولى على كل ما سال له لعابنا ، فى ذلك المعبد الأسود ..

وانتفض جسده كله فى عنف ، وهو يصرخ :

- لم نكن نحن بالتأكيد .. كانت هناك روح شريرة تتقمصنا حتمًا .. لم نكن نحن .

سأله (نور) فى صرامة شديدة :

- ماذا فعلتم يا دكتور (مينا) ؟!

رفع الرجل إليه عينين زائغتين ، وهو يقول مرتجفًا :

- استخدمنا الغاز السام .

صرخت (سلوى) :

- غاز سام ؟! ومن أين أتيتم به ؟!

بكى فى مرارة ، وهو يجيب :

- كان جزءًا من أدوات حملتنا ، نستخدمه لقتل عينات الحيوانات والحشرات السامة ، التى نصادفها فى بعثتنا .. لم نكن نتصورُ أبدًا أن نستخدمه ضد آدميين .

وتجمَّدت عيناه ، وارتسم على وجهه الرعب ، وهو يضيف :

- ولكننا فعلنا .

سأله الدكتور (حجازى) :

- كيف ؟!

هزَّ رأسه فى قوة ، وهو يجيب :

- كنا نعلم أنه لن يسمح لنا بالرحيل أبدًا .. هذا هو

التفسير الوحيد لتركه إيانا نسجل كل مايحلو لنا .. لأنه كان يعلم أن أحدًا لن يطالع هذه التسجيلات .. ولكننا كنا نريد أن نعود ، حتى نبلغ العالم كله بهذا الكشف المثير ، الكفيل بوضع أسمائنا على قمة قائمة المستكشفين فى العالم عبر التاريخ .. كنا سنصبح أكثر شهرة من (كولومبوس) نفسه(*) .. ولقد أعمتنا الفكرة ، وأعمانا الطمع ، وانتظرنا حتى انبلج الفجر ، وبدأ حراس المعبد من الزنوج يشعرون بالتعب والإرهاق ، ثم ارتدينا أقنعتنا الواقية ، وأطلقنا الغاز السام فى المكان كله .

انتفض جسد (سلوى) فى امتعاض ، فى حين تمتمت (نشوى) :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

(*) (كرستوفر كولومبوس) (١٤٥١ ـ ١٥٠٨م) : مكتشف (أمريكا) ، ولد بجنوة (إيطاليا) ، حصل على موافقة ملك (إسبانيا) ، ليبحر بثلاث سفن إلى غرب المحيط الأطلنطي ، فى أربع رحلات متتالية ، كشف خلالها (بورتريكو) ، وجزر (فيرجين) ، و(جاميكا) ، و(هندوراس) ، وعلى الرغم من كشوفه المذهلة ، مات فقيرًا ، ويكاد يكون مغمورًا .

أما الدكتور (منير) ، فقد انهمرت الدموع الغزيرة من عينيه كالسيول ، وهو يتابع :

ـ عشرات سقطوا صرعى وقتلى ، قبل أن يمكنهم حتى إطلاق صرخة واحدة .. وذلك الكاهن لم يكن هناك .. لذا فقد أسرعنا نجمع كل ما نستطيع جمعه ، وبالذات تلك الجمجمة ، التى يوليها دومًا عناية فائقة ، وإصبع الشيطان ، الذى كنا واثقين من أنه أعظم كشف فى تاريخ علم الأجناس ، عبر التاريخ كله .. ثم انطلقنا هاربين .

سأله (نور) فى توتر :

ـ وماذا عن المعاونين الباقين ؟!

لم يدر أحد الموجودين لماذا جال هذا بذهن (نور) ، إلا أن وقع السؤال على الدكتور (مينا) كان مدهشًا ومثيرًا بحق ..

لقد انفجر باكيًا فجأة بمنتهى العنف ، وراح يضرب جبهته بقبضته ، وهو يصرخ :

- كان هذا أحقر ما فعلناه .. أحقره على الإطلاق .

انعقد حاجبا (نور) بغضب شديد ، وهو يقول :

- لم تكن هناك أقنعة واقية كافية .. أليس كذلك ؟!

ضرب الرجل جبهته بقبضته ، على نحو أكثر عنفًا ، وهو يجيب :

- بلي .. بلى .. كنا نحمل ثلاثة أقنعة واقية فحسب ، ولم نفكر لحظة فى مصير معاونينا .. لقد تركناهم يلقون مصرعهم بالغاز السام مع الآخرين ، وانطلقنا نحن هاربين ، حتى يمكننا أن نبلغ موقع الطائرة ، قبل أن يدرك الكاهن ماحدث .

سأله (رمزى) :

- ولماذا لم يقتله الغاز السام كالآخرين ؟!

أدار الدكتور (مينا) عينيه إليه بحركة حادة ، وهو يهتف :

- لأنه لايموت .

بُهِتَ الكل لجوابه ، وقال (نور) فى غضب :

- اللهُ (سبحانه وتعالى) وحده حى لايموت يارجل ، أما كل مخلوقات الكون فهى فانية زائلة ، مهما طال بها الأمد .

صاح الدكتور (مينا) :

- إنه لايموت .. لاشىء يقتله .

ثم هبَّ من مقعده ، وراح يلوِّح بذراعيه فى جنون ، صائحًا :

- لقد رأيناه صريعًا وسط الآخرين ، بعد أن أطلقنا الغاز السام ، وتصوَّرنا أن أمره قد انتهى ، ولكننا فوجئنا به يطاردنا ، بعد أن عبرنا شلال النار .. ولقد نسفه الدكتور (فريد) نسفًا ، بقنبلة يدوية ، كان يحملها للطوارئ ، وعلى الرغم من هذا ، فقد كاد يلحق بنا ، قبل أن تحلِّق الطائرة ، ورأيناه يطير خلفنا ، وهو يطلق صرخة رهيبة ، فأطلق الطيار

عليه كل رصاصات مدفع الطائرة ، ثم رأيناه بعدها يحدق فينا ، ويرفع يده نحونا بعظمة فخذ آدمية ، من فوق مرتفع آخر ، ونحن نفرّ هاربين .. صدقونى .. ذلك الكاهن لايموت أبدًا .

قال (نور) فى صرامة أكثر :

ـ كل المخلوقات تموت ..

هتف الدكتور (مينا) فى عصبية :

ـ إلا هذا .. إنه ليس ..

بتر عبارته بغتة ، وارتد إلى الخلف بحركة حادة ، وهو يطلق صرخة مفاجئة ، ويضرب الهواء بذراعيه ، صارخًا :

ـ لا .. الرحمة .. ليس أنا .. ليس أنا ..

استدار الجميع فى سرعة ، إلى الجدار المقابل له تمامًا ، وسحب (نور) و(أكرم) مسدسيهما بحركة غريزية ، وشهقت (سلوى) ، واتسعت عيون

الدكتور (حجازى) ، والدكتور (عبادة) ، و(رمزى) عن آخرها ، فى حين أطلقت (نشوى) صرخة رعب مدوية ..

فهناك ، على مسافة متر ونصف فحسب منهم ، ومتر واحد من الجدار المقابل ، الذى لايحوى أية أبواب أو نوافذ ، كان يقف ذلك الكاهن الرهيب .. يقف صامتًا ، صارمًا ، قاسيًا ، بنظراته التى لاتملك معها سوى أن ترتجف ..

ولم ينطق أحد بحرف واحد ..

فقط راحوا كلهم يحدقون فى ذلك الكاهن ، الذى أدار بصره فيهم ببطء رهيب ، قبل أن يرفع كفه المضمومة ، التى حدق فيها الدكتور (مينا) ، بكل رعب الدنيا ، وهو يردد :

ـ لقد أتيت من أجلى .. أعلم أنك أتيت من أجلى .

مع آخر حروف كلماته ، فتح الكاهن يده بغتة ..

وحدّق الكل فى ذلك الشىء الأحمر الصغير ، الذى استقرّ فى راحته ، والذى لم تكد قبضته تنفرج عنه ، حتى نهض ، ورفع ذيله القصير ..

كان عقربًا ، من النوع الأحمر شديد السمية .

وبرعب هائل ، تراجع الدكتور (مينا) ، حتى التصق بالجدار ، وهو يضرب الهواء بذراعه ، ويصرخ :

ـ لا .. أرجوك .. لاتقتلنى .. أريد أن أعيش .. أرجوك .. أرجوك .

توترت كل ذرة فى كيان (أكرم) ، مع توسلات الدكتور (مينا) المنهارة ، فصاح فى حدة :

ـ لو تحركت حركة واحدة ، فسوف ..

قبل أن يتمّ عبارته ، وثب العقرب من يد الكاهن بغتة ، وارتطم بالأرض ، ليصدر عنه صوت أشبه بصوت بلّور يتحطّم ..

ثم فجأة ، وفور ارتطامه ، انقسم إلى عشرات العقارب الحمراء ، المشابهة له تمامًا ..

ومع صرخات (نشوى) و(سلوى) ، انطلقت العقارب السامة تهاجم كل من فى الحجرة المغلقة ..

بلا استثناء .

* * *



٦ ـ كل الشر ..

نهض رئيس وزراء ذلك البلد الإفريقى، ليصافح وزير داخليته، وهو يقول فى توتر ملحوظ :

ـ جميل منك أن أتيت بهذه السرعة ؛ فالأمر مهم بالفعل .

سأله الوزير بقلق بالغ :

ـ ماذا هناك بالضبط ؟!

أشار إليه رئيس الوزراء بالجلوس، وهو يُطلق من أعمق أعماق صدره زفرة حارة، قائلاً :

ـ المصريون يطلبون تصريحًا بإرسال بعثة علمية استكشافية جديدة .

امتقع وجه وزير الداخلية، وهو يهتف :

ـ ولماذا ؟!

مطّ رئيس الوزراء شفتيه، وقال :

ـ يقولون : إنها امتداد للبعثة الأولى .

حدّق فيه وزير الداخلية لحظة، قبل أن يهتف فى عصبية :

ـ إنهم كاذبون !

زفر رئيس الوزراء مرة أخرى، وقال :

ـ أعلم هذا، ولكنه كتب على أوراق رسمية، وعلى نحو يستحيل رفضه دبلوماسيًا .

هتف الوزير بتوتر زائد :

ـ ولكن سيادتك تدرك كم من المتاعب والمشكلات، التى واجهتها بلادنا، بسبب بعثتهم الأولى .

للمرة الثالثة، زفر رئيس الوزراء، مغمغمًا :

ـ أدرك هذا يا رجل .. أدركه تمام الإدراك .

ثم مال نحوه، مستطردًا فى عصبية :

ـ ولكن السؤال هو : ماذا يمكن أن نفعل ؟!

انتفض الوزير ، وهو يهتف فى صرامة :

ـ نرفض منحهم ذلك التصريح بالطبع .

هزّ رئيس الوزراء رأسه نفيًا ، وتراجع مرة أخرى فى مقعده ، وهو يقول فى مرارة :

ـ هذا مستحيل للأسف !!

هبّ الوزير من مقعده فى حدة ، هاتفًا :

ـ ولماذا ؟! أخبرهم أن وجودهم يتعارض مع أمننا القومى .

هزّ رئيس الوزراء رأسه مرة أخرى ، قائلاً فى مرارة :

ـ المشكلة أن الخطاب الذى وصلنى من (مصر) ، واحد من ثلاث نسخ ، أرسلت إحداها إلى وزير البحث العلمى ، والثانية إلى السيّد رئيس جمهوريتنا ، وهو يرّحب جدًا بمقدم البعثة العلمية الاستكشافية المصرية ، وإقناعه بالعدول عن هذا يعنى أن نخبره بالحقيقة .

ثم مال نحو الوزير ، مضيفًا فى عصبية زائدة :

ـ كلها .

اتسعت عينا الوزير ، فى ارتياع شديد ، وبدا وكأن الكلمة قد زلزلت كيانه ، وأعجزت ساقيه عن حمله ، فترك جسده يهوى مرة أخرى على مقعده ، وهو يسأل :

ـ وماذا سنفعل ؟!

زفر رئيس الوزراء ، ولوّح بكفه ، قائلاً :

ـ هذا ما سألتك إياه .

حدّق فيه الوزير بضع لحظات ، وعيناه تحملان مزيجًا من الهلع والذعر والتوتر ، قبل أن ينهض مرة أخرى ، ويدور فى الحجرة كذئب جريح ، وهو يضرب راحته بقبضته ، فى عصبية ما لها من حدود ، ثم لم يلبث أن توقّف بغتة ، هاتفًا فى حدة :

ـ لابد أن نمنع هذه البعثة ، من بلوغ هدفها .. وبأى ثمن .

مال رئيس الوزراء إلى الأمام ، يسأله فى اهتمام بالغ :

ـ هذا يتوقَّف على المدى الذى تعنيه ، بكلمة (أى ثمن) هذه !

برقت عينا الوزير فى صرامة ، وهو يجيب :

ـ أعنى أى ثمن .

تراجع رئيس الوزراء فى بطء ، قائلاً :

ـ عظيم .. هذا يحسم كل شىء .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف بمنتهى الصرامة :

ـ المصريون لم يحددوا متى ستأتى تلك البعثة الثانية بالضبط ، ولكننا سنفترض أنها ستأتى غدًا ، وهذا يعنى أنه أمامك يوم واحد ، لتضع خطتك ، وكل ما يلزم لتنفيذها .

وعاد يميل إلى الأمام ، مستطردًا فى صرامة أكثر :

ـ المهم ألا تصل هذه البعثة إلى هدفها .. أبدًا .

وتألقت عينا الوزير فى ظفر وحشى ..

فهذا أفضل مصطلح سمعه ، منذ بدأ الحوار .. على الإطلاق ..

* * *

موجة رعب هائلة سادت المكان ، عندما انطلقت العقارب الحمراء السامة فى كل اتجاه ..

صرخات قوية ترددت ، بين الجدران الأربعة ، والكل يحاول الابتعاد عن ذلك الزحف الأحمر القاتل ..

وبكل غضبه ، صرخ (أكرم) ، وهو يطلق النار نحو الكاهن :

ـ أيها الوغد الحقير .

خُيِّل إليه أن الكاهن قد اختفى بغتة ، قبل أن تبلغه رصاصاته ، ثم عاد للظهور فى الركن ، وهو يتطلع إلى ما يحدث بعينين تتألقان شرًا ..

وأدار (أكرم) فوهة مسدسه نحوه بسرعة ..

ولكنه لم يطلق رصاصاته هذه المرة ..

العقارب الحمراء السامة انقضت عليه ، كما انقضت

على الجميع، وراحت تتسلق جسده فى سرعة، فتراجع صارخًا :

ـ لا .. لا ..

كان أمرًا بشعًا، أن تغمر جسدك كل هذه العقارب، وأن تشعر بأقدامها المفصلية الصغيرة، وهى تتسلقك، وتسمع صرخات الآخرين فى الوقت ذاته، وتراهم يضربون العقارب بأيديهم، فى محاولة يائسة للنجاة، فى نفس الوقت الذى راح الدكتور (مينا) فيه يصرخ ..

ويصرخ ...

ويصرخ ...

ثم فجأة، اختنق صوته، وجحظت عيناه، وانتفخ وجهه على نحو رهيب مخيف، قبل أن تنطلق من حلقه حشرجة رهيبة ..

حشرجة، اقترنت بأمر بالغ الغرابة والحيرة ..

ففى نفس اللحظة، التى انطلقت فيها حشرجته، التى

بدت وكأنها تأتى من مركز الشعور بالألم مباشرة، اختفت كل العقارب الحمراء دفعة واحدة ..

كلها إلا عقربًا واحدًا ..

ذلك الذى تعلّق بعنق الدكتور (مينا)، وغرس ذنبه فيه، وبدا مشرئبًا، ظافرًا، قويًا، لامعًا كتمثال من العقيق الأحمر النادر ..

وكالحجر، هوى الدكتور (مينا) جثة هامدة، ووجهه مسودّ على نحو رهيب ..

رهيب للغاية !

وفى ذهول مذعور حائر، حدّق الكل فى جثته، قبل أن تدور العيون كلها إلى الكاهن الرهيب، الذى تألقت عيناه أكثر وأكثر، فى ظفر لامحدود، قبل أن يمدّ يده إلى الأمام، ويفتح كفه ..

وهنا، وثب العقرب الأحمر من عنق الدكتور (مينا)، وانطلق بسرعة نحو الكاهن، و ...

ووثب (أكرم) بغتة، ليسحق ذلك العقرب بقدمه، هاتفًا فى غضب :

ـ محال !



اختفت كل العقارب الحمراء دفعة واحدة .. كلها إلا عقربًا واحدًا .. ذلك الذى تعلّق بعنق الدكتور (مينا) ..

سمع الكل صوتًا أشبه بزجاج يتحطّم ، فى نفس اللحظة التى انعقد فيها حاجبا الكاهن فى شدة ، وارتسم عليه غضب هائل بلا حدود ..

ولكن (نور) هتف ، وهو يرفع مسدسه الليزرى نحوه :

- أيها الحقير .

بحركة آلية ، رفع (أكرم) مسدسه أيضًا ..

وأطلق الإثنان فى آن واحد ..

(نور) أطلق أشعته الليزرية ..

و(أكرم) أطلق رصاصاته ..

و(سلوى) و(نشوى) أطلقتا صرختيهما ..

وبكل الرعب ..

فما إن أصابت رصاصات (أكرم) ، وأشعة (نور) جسد الكاهن ، حتى تفجّر بغتة ، وتناثرت أشلاؤه فى كل مكان ..

ولكن ليس هذا ما أصابهما بالرعب ..

بل ما حدث فى اللحظة التالية مباشرة ..

فما إن تفجّرت تلك الأشلاء ، والتصقت بالجدران والسقف والأرضية ، حتى دبت فيها الحياة بغتة ، وانطلقت تزحف كلها ، نحو الموضع الذى كان يقف فيه الكاهن ، بسرعة مدهشة ..

وأمام العيون الذاهلة ، والقلوب الواجفة ، التقت كل الأشلاء ، وعادت تمتزج ، ليقف الكاهن مرة أخرى أمامهم ، سليمًا معافى ، وعيناه المخيفتان تبرقان على نحو رهيب ..

وفى هدوء عجيب ، استدار ، واتجه نحو الجدار مباشرة ، بكل الثقة ..

وكما حدث فى منزل الدكتورة (عبلة) ، اخترق الجدار ، وذاب داخله تمامًا ..

ولثوان ، كادت تقترب من الدقيقة الكاملة ، ظلّ الكل يحدقون فى تلك الجدار ، الذى اختفى داخله الكاهن ، قبل أن يقطع الدكتور (عبادة) ذلك الوجوم الصامت ، وهو يهتف :

- مستحيل !

انتزع هتافه الكل من ذهولهم ، فاندفع (نور) نحو الدكتور (مينا) ، هاتفًا :

- رباه ! هل ..

سبقه إليه الدكتور (حجازى) ، الذى انحنى يفحص جثة الجيولوجى فى اهتمام بالغ ، قبل أن يقول فى أسى :

- مسكين .. لقد قتله ذلك العقرب العجيب .

رفع (أكرم) قدمه فى تلك اللحظة ، عن العقرب الذى سحقه ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى عصبية :

- أكان عقربًا حقًا ؟!

استدار الكل إليه ، وتطلعوا فى دهشة بالغة إلى تلك المادة الحمراء اللزجة ، الملتصقة بنعل حذاء (أكرم) ، قبل أن تهتف (نشوى) :

- ولكن هذا مستحيل ! لقد كان عقربًا قاتلاً ، وكلنا رأيناه يقتل الدكتور (مينا) بسمه .

أجابها الدكتور (حجازى) فى حزم :

ـ الذى قتل الدكتور (مينا) ليس سم عقرب يا بنيتى.. بل وليس هناك دليل واحد على أنه قد لقى مصرعه بنوع من السم ؟ فما من سم أعرفه، يجعل الوجه مسودًا على هذا النحو الرهيب، وبهذه السرعة !

سأله (نور) فى توتر :

ـ ما سبب مصرعه فى رأيك إذن ؟!

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه فى توتر، قائلاً :

ـ هذا يحتاج إلى فحص شامل .

سأله (نور) :

ـ هل يمكنك القيام به فورًا ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ بالتأكيد .. لو أنه لدينا الاستعدادات الكافية .

التقط (نور) جهاز الاتصال، قائلاً فى حزم :

ـ سأطلب إعداد كل شىء فورًا .

نقل (أكرم) بصره بين الجميع، وانتزع حذاءه؛ ليزيل منه تلك المادة اللزجة، الملتصقة به، وهو يقول فى عصبية :

ـ ولكن لماذا حدث كل هذا ؟! لقد هاجمتنا جيوش العقارب، التى تفجّرت من العقرب الأوّل، ثم اختفت فجأة، دون أن تمسنا بسوء، مكتفية بما فعله زعيمها بالدكتور (مينا) ! لماذا كل هذا بالله عليكم ؟!

أجابه (رمزى) :

ـ لتشتيت انتباهنا .

أشار (نور) بيده، بعد أن انتهى من اتصالاته، وقال مؤمنًا على كلام (رمزى) :

ـ بالضبط .

هتف (أكرم) فى دهشة :

ـ ولماذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- حتى لانحاول حماية الدكتور (مينا)، بسبب انشغالنا فى الدفاع عن أنفسنا، ضد هجوم وحشى وهمى.

تساءلت (سلوى):

- وهل كان بإمكاننا حمايته ؟!

أجابها (نور):

- بالتأكيد.

ثم ألقى نظرة آسفة على جثة الرجل، قبل أن يتابع:

- من الواضح أن (أكرم) قد نجح فى حمايته بالفعل بوسيلة ما، عندما أحرق ذلك الكاهن الرهيب منزله بالوثائق، وحاول قتله هناك.

قال (أكرم) فى حيرة متوترة:

- ولكن كيف ؟! إننى لم أفعل شيئًا تقريبًا .. صحيح أننى أطلقت النار على ذلك الكاهن، إلا أن هذا لم يؤذه قط .. حتى النيران لم تلتهم ذرة واحدة منه، أو حتى من ثيابه.

سأله (نور) فى اهتمام:

- ألم تفعل شيئًا آخر عندئذ ؟!

هزّ (أكرم) رأسه فى قوة، مجيبًا:

- مطلقًا .. إننى لم أدر حتى ماذا أفعل .. لقد كان الدكتور (مينا) منهارًا، يردّد ذلك الاعتراف بالخطأ، الذى أخبرتكم به، فأخفيت عينيه بكفى، حتى أبعد ذلك الكاهن عن بصره، و...

تألقت عينا (رمزى)، عند هذه النقطة، وهتف (نور):

- ربما كان هذا ..

سأله (أكرم) فى حيرة:

- وما هذا ؟!

أجابه (رمزى) فى سرعة:

- أنك أخفيت عينيه.

هتف (أكرم) فى حدة:

- وماذا فى هذا ؟!

قال (نور) فى اهتمام :

- يبدو أن تأثير ذلك الكاهن يكمن فيما يسببه من رعب بالغ لضحاياه ، أو أن قدراته ترتبط برؤيته ، وعندما حجبت أنت تلك الرؤية عن الدكتور (مينا) ، لم يعد بإمكان الكاهن القضاء عليه ، على نحو أو آخر .

قال الدكتور (عبادة) :

- إنه مجردُ استنتاج أيها المقدَّم .

التفت إليه (نور) ، قائلاً فى حزم :

- لسنا نملك سواه ، فى الوقت الحالى ، يا دكتور (عبادة) .

قالها ، وانعقد حاجباه بشدة ، قبل أن يتابع :

- ولكننا نستطيع القيام بما هو أكثر .

أدركت (سلوى) و(نشوى) ما يعنيه بقوله هذا ، فسألته الأولى :

- ما الذى تريده بالضبط يا (نور) ؟!

أشار إلى الجدار ، الذى اختفى عنده ذلك الكاهن ، وهو يقول :

- أريد فحص هذا الجدار بمنتهى الدقة ، وفحص كل بقعة تناثرت عندها أشلاء ذلك الكاهن .. أريد التأكد مما إذا كان ما رأيناه أمامنا حقيقة ، أم هو نوع من الوهم ، الذى يستخدم تقنية لا قبل لنا بها .

ثم اتجه نحو الباب ، مستطرداً :

- أما أنا ، فسأبحث الموقف الرسمى ، بالنسبة لما يحدث .

سأله (أكرم) فى توتر :

- وماذا عنى ؟!

التفت إليه (نور) ، قائلاً :

- لا تتعجل يا صديقى .. كل منا سيأتى دوره حتماً .

انعقد حاجبا (أكرم) فى ضيق ، ولم ينبس ببنت شفة ،

حتى غادر (نور) المكان ، فغمغم محنقًا :

ـ عظيم .. يمكننى أن أكتفى بالمشاهدة إذن .

ربَّت الدكتور (حجازى) على كتفه ، قائلاً :

ـ لو أنك ترغب فى مشاهدة شىء جديد ، يمكنك أن تصحبنى ، عندما أفحص جثة الدكتور (مينا) .

هتف الدكتور (عبادة) فى سرعة :

ـ أنا سأفعل .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وهزَّ كتفيه ، قائلاً :

ـ إنه لن يكون حتمًا بالمشهد الجميل ، ولكن ..

صمت بضع لحظات ، ثم عاد يهزّ كتفيه ، مستطردًا :

ـ ولِمَ لا ؟!

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (نور) يدلف إلى حجرة مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ويؤدى التحية العسكرية فى قوة ، فأشار إليه القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ تقدَّم أيها المقدَّم .. لقد كنا نتوقَّع حضورك .

نقل (نور) بصره ، بين القائد الأعلى والدكتور (جلال) ، قبل أن يقول فى حذر :

ـ من الواضح أنكما تعلمان كل شىء ياسيِّدى .

هزَّ الدكتور (جلال) كتفيه ، قائلاً :

ـ إلى حد ما .

ثم تحرك فى الحجرة ، متابعًا فى توتر :

ـ صحيح أن ما نعرفه يفوق ما تعرفونه أنتم ، إلا أن مجموع معارفنا لايكفى لكشف غموض الموقف كله .

أقلقت العبارة (نور) ، وهو يقول :

ـ ما نعرفه قليل وغامض يا دكتور (جلال) .

زفر الدكتور (جلال) ، قائلاً :

ـ ما نعرفه أيضًا قليل وغامض ، ومخيف أيها المقدَّم .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فتراجع القائد الأعلى فى مقعده ، قائلاً :

- أعتقد أنه من حقك أن تعلم كل ما لدينا يا (نور) .

غمغم (نور) :

- هذا كل ما أتمناه ..

وصمت لحظة، قبل أن يضيف بحزم :

- فى الوقت الحالى .

أومأ الدكتور (جلال) برأسه متفهمًا، فى حين نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه، وعقد كفيه خلف ظهره، وهو يتحرك فى الحجرة، قائلاً :

- الواقع أن الأمر كله لم يكن يثير اهتمامنا أيها المقدّم، حتى حادث القاعة الجديدة، ومحاولتنا رصد الموقع، الذى عثروا فيه على ذلك المعبد الفرعونى المزدوج، الذى تمارس فيه عقيدة (الفودو)، و ...

راح يشرح له كل الظواهر الغامضة، التى ارتبطت بموقع المعبد، و(نور) ينصت إليه فى اهتمام، حتى بدأ يقول :

- الشىء الذى علمناه مؤخرًا، وربما منذ ساعة واحدة فحسب، هو أن حكومة ذلك البلد الإفريقى، الذى يوجد المعبد المزدوج داخل حدوده، على علم بوجود أمر غامض، فى تلك البقعة بالتحديد .

غمغم (نور) فى دهشة حذرة :

- وما الذى يعلمونه بالضبط ؟!

أجابه الدكتور (جلال) هذه المرة :

- معلوماتنا لم تبلغ هذا القدر بعد .. ربما لايعرفون كل التفاصيل، ولكنهم حظروا اقتراب قواتهم من تلك البقعة، ومنعوا الطيران فوقها، وهذا منذ فترة طويلة، ولدينا ما يوحى بأن هذا يحدث منذ الأزل .

تمتم (نور) :

- رباه ! الأمر بهذا يزداد غرابة وغموضًا .

أشار الدكتور (جلال) بيده، قائلاً :

- الأمر غامض منذ البداية أيها المقدّم؛ فلم يحدث

من قبل قط ، أن تم العثور على معبد فرعونى كامل ، فى قلب (إفريقيا) ، أو حتى فى أى مكان آخر ، خارج حدود (مصر) .. صحيح أن التاريخ يشير إلى وجود علاقات تجارية ، بين (مصر) الفرعونية ، وذلك البلد الإفريقى ، ولكن إقامة معبد كامل ، فى منطقة وسط أحراش كثيفة كهذه ، أمر آخر .. ثم إن هذا المكان ليس منبع عقيدة (الفودو) ، حسبما يؤكد التاريخ .. بل ولم يعرف قط سحرة (الفودو) القساة ، خلال تاريخه الطويل ، فكيف تهيمن تلك العقيدة الوثنية الشيطانية على معبد فرعونى عريق هناك ؟!

قال القائد الأعلى ، وكأنه يكمل الحديث :

- ليس هذا فحسب يا (نور) ، ولكن تحرياتنا كشفت لنا أسطورة محلية تتردد هناك ، فى ذلك البلد الإفريقى ، عن كاهن مخيف ، يحكم عالم الأحراش ، منذ آلاف السنين ، ويحمى منطقة عجيبة ، يطلقون عليها اسم (فو - كا) .. وهو اسم مركب ، مشتق من اللهجة المحلية لبعض القبائل هناك ، بالإضافة

إلى اللغة الهيروغليفية القديمة(*) ، فى مزيج لا يمكن أن تجده ، إلا فى تلك البقعة بالتحديد ، وبالنسبة للسكان المحليين ، فالاسم يعنى (أرض الأرواح الخالدة) ..

قال (نور) فى تفكير عميق :

- اسم مثير للاهتمام بالفعل .

استعاد الدكتور (جلال) دفة الحديث ، وهو يقول :

الكل يتناقل هذه الأسطورة ، التى يعود ترديدها إلى زمن سحيق للغاية ، وكلهم يتحدثون عنها بخوف ومهابة ، ولا أحد يجرؤ على الذهاب إلى هناك ، أو حتى الاقتراب من المكان ، الذى تحرسه وحوش رهيبة ، ويحميه شلال من نار كما يقولون .

تمتم (نور) ، وهو يستعيد حديث الدكتور (مينا) الأخير :

- العجيب أنها حقيقة .

(*) كلمة (كا) بالهيروغليفية تعنى (الروح) ..

تبادل الرجلان نظرة دهشة عارمة ، قبل أن يهتف الدكتور (جلال) فى لهفة :

ـ وكيف عرفت هذا ؟!

روى لهما (نور) ما حدث مؤخرًا ، وما رواه الدكتور (مينا) قبل مصرعه ، فتملكتهما دهشة عارمة ، وقال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ الأمر أصبح كتلة من الغموض المخيف يا (نور) ، ولا توجد وسيلة واحدة لكشفه ، سوى ...

صمت لحظة ، فأكمل (نور) فى سرعة :

ـ سوى الذهاب إلى هناك .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ بالضبط .

شدّ (نور) قامته ، وهو يقول :

ـ أنا وفريقى مستعدون للقيام بكل ما يقتضيه واجبنا يا سيّدى .

أشار إليه القائد الأعلى ، قائلاً فى حزم :

ـ الأمر ليس بهذه البساطة أيها المقدّم ؛ ففريقك وحده لا يكفى للقيام بهذه المهمة .. أنت تحتاج إلى عدد آخر من الخبراء .. خبير آثار مثلاً ، وخبير فى علم الحيوان ، وآخر فى الظواهر فوق الطبيعية ، وربما لعدد من رجال القوات الخاصة أيضًا .

أجابه (نور) فى حسم :

ـ كل ما نحتاج إلى البحث عنه هو خبير الآثار المصرية يا سيّدى ، فلدينا بالفعل الدكتور (عبادة) ، رئيس نقابة الأطباء البيطريين ، وهو خبير فى التشريح المقارن ، والدكتور (محمد حجازى) ، بكل اهتماماته وخبرته ، فى الظواهر غير الطبيعية ، وبمعلوماته الفائقة عن عقيدة (الفودو) ، ويمكننا اصطحاب أربعة من رجال القوات الخاصة ، التابعين لنا .

قال القائد الأعلى :

ـ بقيت نقطة أكثر أهمية أيها المقدّم ..

ثم مال إلى الأمام، وأضاف فى صرامة :

ـ فمن الضرورى أن يدرك كل شخص، سينضمّ إلى هذه الحملة، أنه من المحتمل أن تكون الرحلة فى اتجاه واحد، وألا يعود منها أحد على قيد الحياة، ففى هذه المرة، سيكون هناك من ينتظركم ..

وانعقد حاجباه، وهو يكمل :

ـ باختصار .. إنكم ستذهبون مباشرة إلى الجحيم .. جحيم لا يعلم مداه إلا الله (سبحانه وتعالى) ..

ولم ينبس (نور) ببنت شفة ..

فقد كان كل ما يقوله القائد الأعلى صحيحًا .. ومخيفًا ..

إلى أقصى حد ..

* * *

على الرغم من أن (أكرم) قد شاهد جثة الدكتور (مينا)، بوجهها المنتفخ المسود، عندما كانت ملقاة

فى الحجرة هناك، إلا أن مرآها هنا، على منضدة التشريح، فى حجرة الطب الشرعى، كان له فى نفسه وقعًا مختلفًا للغاية ..

لقد أورثه هذا توترًا بالغًا، جعله يتحسّس مسدسه كل لحظة وأخرى، وهو يتطلّع إلى الوجه، الذى بدا بكل علامات الرعب المحفورة عليه، أشبه بنحت على قطعة من خشب الأبنوس الأسود، وكأنما ستهب الجثة جالسة، لتنقض عليه بلا رحمة ..

وربما كان هذا بسبب تجربة سابقة، لم يمكنه نسيانها بعد(*) ..

أما الدكتور (حجازى) والدكتور (عبادة)، فقد بدا الأمر لهما تقليديًا، والأوّل يسجل ملاحظاته عن العلامات الظاهرية على الجثة، قبل أن يتوقّف عند الوجه المسود، ليتطلّع إليه بضع لحظات، ثم يواصل :

ـ الوجه أسود منتفخ، على نحو لايتشابه مع أية

(*) راجع قصة (الظلال الرهيبة) ... المغامرة رقم ١٢٢ ..

أعراض لسموم معروفة ، أو حروق مسجّلة ، فى أية مراجع رسمية ، والعينان جاحظتان ، ضمن ملامح الرعب ، التى تجمّدت على الجثة لحظة الوفاة ..

تنهّد فى توتر ، وهزّ رأسه ، وكأنما لا يروق له الأمر كله ، ثم سحب محقنًا ، وغرسه فى الوريد العنقى للجثة ، وراح يسحب بعض الدم منها ، فغمغم الدكتور (عبادة) فى انفعال ، وهو يشير إلى الدماء ، التى تنسحب إلى المحقن :

- يا إلهى ! انظر .. هل رأيت يومًا شيئًا كهذا ؟!

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) بشدة ، وهو يحدّق بدوره فى ذلك السائل الأسود اللزج ، الذى ملأ المحقن ، قبل أن يهتف :

- يا إلهى ! يا إلهى !

قال (أكرم) ، فى توتر شديد :

- كيف يمكن أن يحدث هذا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) ، وهو يفرغ ذلك السائل فى قارورة خاصة ، ويضعها داخل جهاز الفحص :

- ستعرف الآن .

ترك الجهاز يدير العينة فى سرعة ، بقوة الطرد المركزية ، فى حين التقط هو مشرطًا ، وقال وهو يهبط به على صدر الجثة :

- الآن سنبدأ عملية التشريح ، لمعرفة أية تغيرات داخلية بالجسم .

غرس المشرط فى صدر الجثة ، ثم جذبه إلى أسفل بقوة ، ليشق منطقتى الصدر والبطن ، و ...

وفجأة ، انتفضت الجثة كلها فى عنف ، وانتقلت انتفاضتها إلى أجساد الرجال الثلاثة ، والدكتور (عبادة) يصرخ :

- إنه حى .. إنه لم يمت بعد .

لم يكد يتم صرخته ، حتى انطلق أزيز قوى من جهاز فحص العينات ، فى نفس اللحظة التى انشقت فيها بطن الجثة بعنف ، دون أن يلمسها أحد ..

ثم فجأة ، تدفّق منها سائل عجيب ..

سائل أسود لزج ، يشبه إلى حد كبير ذلك الذى سحبه المحقن من الجسد ، ولكنه أكثر كثافة ..

سائل تدفق من البطن المشقوق ، وسال على منضدة التشريح ، فتراجع الرجال الثلاثة بحركة سريعة ، و(أكرم) يسحب مسدسه ، صائحًا :

ـ ماذا يحدث هنا ؟! ماذا يحدث هنا ؟!

انسكب السائل السميك ، فى تلك اللحظة ، على أرضية الحجرة ..

ولكن انسكابه كان أكثر عجبًا من هيئته نفسها ..

فهو لم ينسكب بالمعنى المعروف ، وإنما سقط من المنضدة ، ليتجمّع مع بعضه ، ويصنع كتلة هلامية عالية ..

ثم تموّجت تلك الكتلة السوداء ، وراحت تكتسب شكلاً عجيبًا ، والثلاثة يحدقون فيها فى ذهول ..

وانطلقت فى المكان زمجرة وحشية رهيبة ..

زمجرة وحش مخيف ..

وحش لم يكن له وجود ..

منذ لحظة واحدة ..

وحش بدا أشبه بصورة مجسّمة للشر ..

كل الشر .

* * *



٧ ـ أرض الأرواح ..

حلقت الطوّافة التى تحمل وزير خارجية الدولة الإفريقية ، فوق منطقة الأحراش الكثيفة ، وقال قائدها فى قلق ، وهو يدور بها حول المنطقة المحرّمة :

لا يمكننا أن نتقدّم أكثر من هذا يا سيادة الوزير ، وإلا سقطنا فى الـ (فو ـ كا) ..

ـ انعقد حاجبا الوزير ، وهو يقول فى عصبية :

ـ اهبط هنا إذن .

تساءل الطيّار فى توتر :

ـ أين ؟! لا توجد منطقة واحدة هنا صالحة للهبوط .

أشار إليه الوزير ، قائلاً :

ـ اتجه إلى تلك الأشجار العالية هناك .

اتجه الطيّار إلى حيث أشار الوزير ، ولم يكد يبلغ تلك المنطقة ، حتى ارتفع حاجباه فى دهشة ..

فعلى الرغم مما تبدو عليه هذه المنطقة من بعيد ، وكأن أشجارها العالية كثيفة للغاية ، كان الاقتراب منها يكشف عن مساحة مستديرة خالية فى منتصفها ، على نحو يبدو أشبه بمهبط خاص للطوّافات ..

وبكل دهشته ، هتف الطيّار :

ـ كيف يمكن أن يحدث هذا ؟!

زمجر الوزير فى عصبية ، قائلاً :

ـ اهبط هناك فحسب .

أطاعه الطيار ، وراح يهبط مباشرة فى تلك المكان ، بين الأشجار العالية ، حتى استقرّ على الأرض ، فالتفت حوله ، قائلاً :

ـ لا يوجد مخرج أرضى هنا .

تجاهل الوزير قوله تمامًا ، وهو يغادر الطوافة ، قائلاً فى صرامة متوترة :

- انتظر عودتى .

هتف به الطيّار فى قلق :

- ولكن أين ستذهب ؟!

مرة أخرى ، تجاهله الوزير تمامًا ، وهو يبتعد عن الطوافة ، متجهًا نحو بقعة تشابكت عندها الأغصان الكثيفة ، والأوراق العريضة ، فغمغم الطيار فى عصبية شديدة :

- تُرى ما الذى .....

قبل أن يتمّ تساؤله ، برز من بين الأوراق والأغصان ثلاثة من الزنوج ، الذين امتلأت أجسادهم نصف العارية ، بالأصباغ والرسوم ، ورفع أحدهم يده فى وجه الوزير ، وأصابعه تقبض على عظمة ذراع آدمية ، فرفع الوزير يده ، ومسّ العظمة بأصابعه ، فاستدار الرجال الثلاثة وغاصوا وسط الأغصان والأوراق ، وغاص الوزير خلفهم ..

وبكل دهشة وتوتره ، غمغم الطيّار :

- رباه ؟ وكأنه جاء إلى هنا ألف مرة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى عصبية :

- أو أنه جاء من هنا .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان الوزير يتبع الزنوج الثلاثة ، خارج تلك الأغصان المتشابكة ، إلى ممر ضيق ، تحيط به الأغصان ، بحيث لا يمكن أن تلمحه الأعين من خارج المكان ..

وفى نهاية ذلك الممر ، كانت ألسنة اللهب تتراقص فى عنف ..

وكان لفحها يبلغهم ، ويرفع حرارة أجسادهم ، فيسيل العرق عليها غزيرًا ، وهم يقتربون من تلك الألسنة النارية أكثر ..

وأكثر..

وأكثر..

كان الممر يمتدّ وسطها ، فتحيط هى به على نحو عجيب ، وكأنها تخشى الاقتراب منه ..

ووسط ألسنة اللهب ، عبر الوزير خلف الزنوج الثلاثة ..

ثم توقَّف الزنوج ، وكأنما لم يعد بوسعهم الاستمرار ، وأشاروا إليه بالتقدم وحده ..

وأكمل الوزير مسيرته ، حتى بلغ جدارًا حجريًا ، ارتسمت فوقه بعض النقوش العجيبة ..

نقوش ليست فرعونية ، بأى حال من الأحوال ..

نقوش تنتمى حتمًا لعقيدة سحرية شيطانية قديمة .. (الفودو) ..

وتوقَّف الوزير أمام ذلك الجدار ..

كان قد ابتعد كثيرًا عن ألسنة اللهب ولفحاتها ، وعلى الرغم من هذا ، كان العرق يتصبَّب على وجهه بشدة وغزارة ، وحلقه جاف على نحو مخيف و ...

وفجأة ، انشق ذلك الجدار ..

انشق كاشفًا فجوة سوداء مظلمة ، برز منها ذلك الكاهن الرهيب ، الذى تقدَّم نحوه ، حتى صار على قيد ثلاثة أمتار منه ، فتوقَّف ، وتألقت عيناه بذلك البريق المخيف ..

ودون أن يدرى ، وجد الوزير نفسه يخرّ ساجدًا على ركبتيه ، ويهتف فى رعب شديد :

ـ روحى ملك لـ (كا) العظيم .

وتألَّقت عينا الكاهن أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

هزّت (نشوى) رأسها فى توتر ، وهى تراجع كل البيانات والنتائج ، على شاشة الكمبيوتر ، قبل أن تقول :

لا شىء .. كل الفحوص تقود إلى لا شىء .



ودون أن يدرى ، وجد الوزير نفسه يخرّ ساجداً على ركبتيه ، ويهتف فى رعب شديد :

ـ روحى ملك لـ (كا) العظيم ...

قالت (سلوى) فى حيرة :

ـ عندى أيضًا كل النتائج سلبية .

قال (رمزى) فى دهشة :

ـ ما معنى هذا بالضبط ؟!

قالت (سلوى) ، وهى تراجع نتائجها للمرة الثالثة :

ـ معناه أن قطرة دم واحدة لم تتناثر هنا .. المكان كله نظيف تمامًا ، وكل ما رأيناه كان مجرَّد خداع بصرى .

هتف بدهشة عارمة :

ـ مستحيل !

أجابته زوجته :

ـ ليس مستحيلاً ، بل هو الواقع نفسه .. ربما كانت التقنية المستخدمة عالية للغاية ، ولكن ما رأيناه جميعًا هنا ، من انفجار ذلك الكاهن الرهيب ، نتيجةً لرصاصات (أكرم) وأشعة أبى ، ثم تلك الأشلاء التى زحفت لتلتقى ببعضها ، وتعيد تكوينه ، مجرَّد وهم ، لم يحدث فى الواقع أبدًا .

قال فى توتر :

ـ هذا يعنى أن الرصاصات وأشعة الليزر لم تؤثرا به قط .

أجابته (سلوى) :

ـ بل ربما يعنى أنه لم يكن هنا بالفعل قط .

هتف معترضًا :

ـ وماذا عن ذلك العقرب الأحمر ؟!

قالت (نشوى) فى توتر :

ـ إنه لم يكن عقربًا حقيقيًا .

لوّح بيده ، قائلاً :

ـ أيًا كانت طبيعته .. المهم أنه كيان مادى وحسب ، وهذا الكيان قتل أحدنا ، وهذا يعنى أنه ليس وهمًا .

تبادلت المرأتان نظرة حائرة متوترة ، قبل أن تقول (سلوى) ، فى استسلام عصبى :

ـ هناك شىء نعجز عن فهمه إذن .

ران الصمت على ثلاثتهم ، لأكثر من دقيقتين كاملتين ، بعد عبارتها هذه ، وكل منهم يتطلّع إلى الجدار ، الذى غاص فيه ذلك الكاهن الرهيب ، قبل أن تقطع (نشوى) ذلك الصمت الثقيل ، قائلة :

ـ هل قام أحد بفحص تلك المادة الحمراء اللزجة ، التى نتجت عن سحق (أكرم) لذلك العقرب ؟!

أجابها (رمزى) :

ـ الدكتور (حجازى) حصل على عينة منها .

هزّت رأسها ، وهى تقول فى رهبة :

ـ ما الذى يحدث ؟! أى هول هذا الذى نواجهه .

غمغم (رمزى) :

ـ (الفودو) .

سألته (سلوى) :

ـ هل تؤمن بوجود هذا الشىء ؟!

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ ما واجهناه خلال تاريخنا كله، يؤكد أن الكون يحوى من الأسرار ما لم تنجح عقولنا وعلومنا عن فهمه أو تفسيره بعد .. والله (سبحانه وتعالى) يقول: إننا ما أوتينا من العلم إلا قليلا(*).. ربما تبدو عقيدة (الفودو) أشبه بالخرافات، إذا ما قمنا بقياسها، استنادًا إلى علومنا المعروفة، وقوانيننا الطبيعية المتاحة، ولكن من يدرى ؟ ربما هى نوع آخر من القوة، لم ندرك كنهه، أو نسبر أغواره بعد .. نوع له قوانينه وقواعده، التى يعرفها كهنته، ويؤدونها على نحو يجعلها تبدو بالنسبة لنا أشبه بالخوارق.

قالت (نشوى) معترضة:

ـ لو طبقنا هذه القاعدة، لقلنا: إنه هناك قوانين لكل الخوارق.

قال فى بساطة:

(*) بسم الله الرحمن الرحيم « قل الروح من أمر ربى، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » صدق الله العظيم.

[القرآن الكريم ـ سورة الإسراء ـ الآية ٨٥ ..]

ـ ولِمَ لا ؟! جهلنا بأى شىء لا يعنى عدم وجوده، فالناس كانت تجهل كل شىء عن الجاذبية، حتى وضع (نيوتن) قوانينها(*)، فى القرن الثامن عشر، ولكنها موجودة منذ الأزل.

مطّت (سلوى) شفتيها، قائلة:

ـ نظريتك مقنعة يا (رمزى)، ولكن كيف تفسّر جهل كل العلماء بأمر كهذا، على الرغم من وجوده منذ آلاف السنين ؟!

هزّ كتفيه مرة أخرى، قائلاً:

ـ ربما لأن هذه الأمور يصعب إثباتها، من خلال العلوم التجريبية التقليدية، تمامًا مثل قراءة الأفكار (التليباثى)، وتحريك الأشياء عن بعد (السيكو كينيزس)، والتنبؤ

(*) سير (إسحق نيوتن) (١٦٤٢ ـ ١٧٢٧ م): فيزيقى إنجليزى، من أعظم علماء القرن الثامن عشر، فى الفيزياء والرياضيات، استطاع تحليل الضوء العادى إلى ألوان الطيف المعروفة، بوساطة منشور ثلاثى زجاجى .. اخترع التليسكوب العاكس، ووضع قانون الجاذبية العام، وقوانين الحركة، واختير لمنصب رئيس الجمعية الملكية بإنجلترا، تقديرًا لمنجزاته.

بالمستقبلات (البرى كوجنيشن) .. تلك العلوم ، التى يعتبرونها من الخوارق ، لم تحظ قط باهتمام العلماء التجريبيين ، عبر التاريخ ، باعتبارها حالات نادرة ، لايمكن اعتبارها قوانين عامة .. هذا ينطبق أيضًا على (الفودو) ،وكل مايشبهه من العقائد والمعتقدات الغريبة ، فى قلب (إفريقيا) ، وأعماق (أمريكا الجنوبية)(*) .

تنهدت (نشوى) ، وهى تقول فى توتر :

ـ أتعشّم أن يكون ما تقوله صحيحًا يا (رمزى) ، فهو سيعنى أنه هناك قواعد لذلك الشىء على الأقل .

قالتها ، فعاد الصمت يخيّم عليهم جميعًا ، قبل أن تسأل (نشوى) مرتجفة :

ـ هل تعتقدون أنه سيعود ؟!

سألتها (سلوى) فى رعب :

ـ أتعنين ذلك الكاهن الرهيب ؟!

قالت فى خفوت ، وكأنما تخشى أن يسمعها :

(*) من الظواهر العجيبة ، انتشار مثل هذه الأمور ، فى مناطق شتى من العالم ، تقع كلها على خط عرض واحد تقريبًا .

ـ نعم .. هو ..

تلفّت (رمزى) حوله ، مجيبًا فى حذر :

ـ لست أعتقد هذا .

هتفت (نشوى) فى لهفة :

ـ حقًّا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، على الرغم من مواصلته تلفته حوله ، وكأنما يتوقّع ظهوره فى أية لحظة ، وهو يقول :

ـ لقد حققت حملته نتائجها ، على أكمل وجه .. كل الوثائق ، والأوراق والصور ، والتسجيلات ، والأفلام تم تدميرها ، والثلاثة الذين رأوا كل شىء لقوا مصرعهم ، وبأبشع وسيلة ممكنة ، وهذا يعنى أن السر قد دُفِنَ معهم ، واختفى إلى الأبد .

قالت (سلوى) :

ـ ولكننا نعرف موقع ذلك المعبد على الأقل ، وكل ما علينا أن نفعله هو أن ..

قاطعها صوت أنثوى ، يقول فى حماسة ظافرة :

ـ نرسل بعثة علمية استكشافية جديدة .

التفت الكل إلى مصدر الصوت بحركة حادة ، وهتفت (سلوى) فى دهشة مستنكرة :

ـ (مشيرة) ؟! كيف أمكنك الدخول إلى هنا ؟!

تقدمت (مشيرة) داخل الحجرة بخطوات واثقة ، وهى تقول فى خبث :

ـ أنسيت أننى صحفية شهيرة ، ويمكننى دخول كل مكان ؟!

أجابتها (سلوى) فى صرامة :

ـ إلا هنا .

أشارت (مشيرة) بسبابتها ، قائلة :

ـ لاحظى أنكم هنا فى قاعة الاستقبال المدنية ، ولستم فى قسمكم الخاص .

قالت (نشوى) :

ـ حتى هذه القاعة ، لايمكنك دخولها دون تصريح .

رفعت (مشيرة) أحد حاجبيها ، قائلة :

ـ بالتأكيد .

ثم أبرزت بطاقة مغنطيسية ، تحمل صورة (أكرم) ، وهى تكمل :

ـ لذا فقد استخدمت هذه .

هتفت (سلوى) :

ـ هذا تزوير .. لقد استوليت على بطاقة من بطاقات (أكرم) الأمنية .

أعادت (مشيرة) البطاقة إلى جيبها ، قائلة :

ـ يمكنكم إبلاغ الأمن لو أردتم .

تبادل ثلاثتهم نظرة متوترة ، قبل أن تسألها (سلوى) فى صرامة :

ـ ماذا تريدين بالضبط يا (مشيرة) ؟!

جلست (مشيرة) فى بطء ، على المقعد المواجه لهم مباشرة ، ووضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى فى ثقة ، وهى تجيب :

- كل شىء .

سألها (رمزى) فى صرامة :

- وما الذى يعنيه هذا ؟!

مالت إلى الأمام فى لهفة ، لم تستطع كتمانها أو السيطرة عليها ، وهى تجيب :

- أريد كل شىء يادكتور (رمزى) .. كل المعلومات والأخبار ، عما حدث هنا .. كل التفاصيل .. أريد الفوز بالسبق ، قبل أن تحصل عليه قناة صحفية أخرى .

قال (رمزى) فى بطء حذر :

- لاتوجد أية أخبار جديدة .

أطلقت (مشيرة) ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن تقول :

- حقًا ؟!

انعقد حاجبا (سلوى) فى غضب ، وهى تهتف فى صرامة :

- اسمعى يا (مشيرة) .. هذا الأسلوب السخيف لن

يجدى شيئًا هنا ، حتى ولو أمكنك الدخول بأسلوب متحايل .. وربما لو كنا فى قاعتنا ، حيث يستوجب الأمر وسائل فحص وأمن أكثر تقدمًا وتعقيدًا ، لما كنت أمامنا الآن تتبجحين ، وإنما فى منزلك ، تضربين أخماسًا فى أسداس ، ولو أنك تسعين خلف المعلومات ، فهذا ليس الأسلوب التى تنشدينها به هنا .. هل تفهمين هذا ؟!

انعقد حاجبا (مشيرة) فى شدة ، وبدا لحظة وكأنها ستنفجر فى وجه (سلوى) ، إلا أنها لم تلبث أن استرخت فى مقعدها ، وكأنما أعادت حساباتها ، قبل أن تقول فى هدوء :

- حسنًا .. كل ما أريده هو أن أكون أول من يعلن كل ما يمكن إعلانه .

ابتسم (رمزى) ، قائلاً :

- أنت تحصلين على هذا دومًا يا (مشيرة) .

أجابته فى سرعة :

ـ فى هذه المرة أنشد المزيد يا دكتور (رمزى) .

سألتها (نشوى) فى حذر :

ـ وما المزيد الذى تنشدينه ؟!

برقت عيناها فى لهفة ، وهى تقول :

ـ أريد أن أصحبكم فى البعثة القادمة .

وكان مطلبها هذا مفاجئًا ..

إلى أقصى حد ..

* * *

وحش عجيب هذا ، الذى تكوَّن داخل حجرة التشريح ، فى قبو المبنى التابع للمخابرات العلمية ..

وحش أشبه بفم ضخم ، ذى أسنان حادة طويلة ، فوق جسد هلامى صغير ، وأطراف قصيرة عجيبة ..

وبصوت قوى مخيف ، زمجر ذلك الوحش ، وهو يدير عينين كبيرتين فى الحاضرين ، فغمغم الدكتور (عبادة) ، فى صوت مختنق مذعور :

ـ ما هذا الشىء ؟!

صوَّب (أكرم) مسدسه إلى الوحش ، مجيبًا فى توتر شديد :

ـ أيًا كان .. يمكنكم فحص جثته فيما بعد .

قالها ، وضغط زناد مسدسه ، وأطلق النار مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

وغاصت الرصاصات الثلاث فى جسد الوحش ورأسه ..

غاصت كلها ، كما لو أنها تغوص فى كرة من المطاط القوى ..

ولم يتأثر ذلك الوحش قط ..

فقط أطلق زمجرة أخرى ، ثم انقضَّ بغتة ..

لم ينقضَّ على الدكتور (حجازى) ..

أو الدكتور (عبادة) ..

أو حتى (أكرم) ..

لقد انقضَّ على جهاز فحص العينات ، الذى يحوى عينة السائل الأسود ، الذى سحبه الدكتور (حجازى) ، من عروق جثة الدكتور (مينا) ..

وأمام العيون المندهشة ، التهم الوحش العجيب تلك العينة ، كما لو أنها طعامه الرئيسى ، ثم وثب بغتة إلى منتصف الحجرة ..

إلى منضدة التشريح ، التى استقرَّت فوقها جثة الدكتور (منير) ..

وبحركة حادة ، تراجع الرجال الثلاثة ، وهتف (أكرم) :

ـ ما الذى يسعى إليه هذا الشىء بالضبط ؟!

اتسعت عينا الدكتور(حجازى) ، وهو يهتف :

ـ رباه ! أخشى أن ....

قبل أن يتم عبارته ، اشتعلت النيران بغتة ..

اشتعلت فى ذلك الوحش العجيب ..

وفى جسد الدكتور (مينا) ..

اشتعلت على نحو لايشبه اشتعال أية نيران أخرى ، تحت أية ظروف طبيعية ..

أو غير طبيعية ..

ففى ثانية واحدة أو أقل ، ودون أية مقدمات أو تمهيد ، سرت النيران فى الجسدين دفعة واحدة ، وكأنما نبتت من كل خلية منهما ..

وعلى الفور ، انطلقت أجهزة إطفاء الحريق الإليكترونية تعمل ..

وانهمرت المياه فى المكان ..

ومع انهمارها ، اتسعت عيون الرجال الثلاثة مرة أخرى عن آخرها ، أمام ظاهرة جديدة مدهشة ..

فالمياه كانت تنهمر فى غزارة على النيران ، المشتعلة فى الجسدين .



قبل أن يتم عبارته ، اشتعلت النيران بغتة .. اشتعلت فى ذلك الوحش لعجيب .. وفى جسد الدكتور (مينا) ..

ولكنها لم تطفئها ..

لقد واصلت تأجُجها ، متجاهلة المياه تمامًا ، ومواصلة التهامها للجسدين فى سرعة مذهلة ، جعلت (أكرم) يغمغم ذاهلاً :

ـ أهذه نيران حقيقية ؟!

تمتم الدكتور (حجازى) ، فى ذهول مماثل :

ـ لست أدرى .

مدّ الدكتور (عبادة) أصابعه فى حذر ، ليلمس تلك النيران ، متصورًا أنها مجردُ وهم ..

ولكن أصابعه شعرت بلسعة النيران ، فجذبها فى سرعة ، صارخًا :

ـ رباه ! إنها حقيقية .

هتف (أكرم) :

ـ ولكن كيف ؟! كيف ؟!

مع قوله ، كانت النيران قد التهمت جثة الدكتور (مينا)

مع جسد ذلك الوحش العجيب ، وبدأت تخبو ، فتراجع الدكتور (حجازى) ، ليضغط زر إيقاف المياه المنهمرة ، وهو يغمغم فى عصبية :

ـ لولا التطوير الذى أجروه ، فى وسائل ونظم الحماية من الحريق ، لوجدنا كل رجال أمن المبنى هنا الآن .

تمتم (أكرم) ، وهو يتطلع إلى الجثة ، التى تحولت إلى هيكل عظمى محترق ، وإلى ذلك الوحش ، الذى تلاشى تقريبًا مع النيران :

ـ الواقع أننى كنت أفضّل ذلك الأسلوب القديم .

هتف الدكتور (عبادة) :

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا حدث هذا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى سرعة ، وكأنما كان السؤال يدور فى ذهنه أيضًا :

ـ من الواضح أن الهدف الأساسى هو إخفاء كل

المعلومات والأدلة ، فذلك الشىء جاء فقط ليلتهم عينة الدماء السوداء ، ويحرق الجثة ، بكل ما تحويه ، وذلك لمنعنا من معرفة السبب الفعلى لمصرع الدكتور (مينا) .

قال الدكتور (عبادة) ، فى حيرة عصبية :

ـ ولماذا لم يلتهم العينة الأخرى أيضًا ؟!

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) وهو يقول :

ـ أتقصد عينة تلك المادة الحمراء اللزجة ، التى تخلّفت عن سحق العقرب ؟! هذا صحيح .. لماذا لم يسع لالتهامها أيضًا .

ثم استدار إلى جهاز فحص العينات ، وضغط أزراره فى سرعة ، ليراجع نتيجة فحص عينة المادة الحمراء اللزجة ، وقال :

ـ عجبًا ! إنها مجرّد مزيج من الجلاتين والبروتين ، وبعض الأحماض الأمينية المعروفة .. إنه مزيج عادى ، يمكننا تركيبه فى المعمل .

قال (أكرم) فى اهتمام :

ـ ربما لهذا لم يهتمَ ذلك الشىء بالتهامها .

قلب الدكتور (حجازى) كفيه فى حيرة ، قائلاً :

ـ ولكن كيف كان ذلك المزيج البسيط يتحرك أمام أعيننا ، فى صورة عقرب أحمر سام ؟!

قالها ، وعاد يضغط أزرار جهاز الفحص ، وكأنما يبحث عن الجواب ، و ... وفجأة ، انطلقت من حلقه شهقة قوية ..

شهقة جعلت (أكرم) يسحب مسدسه مرة أخرى ، بحركة غريزية محضة ، فى حين دفعت الدكتور (عبادة) إلى أن يهتف :

ـ ماذا حدث ؟!

قال الدكتور (حجازى) فى انفعال ، وهو يشير إلى جهاز فحص العينات الإليكترونى :

ـ يبدو أن ذلك الشىء لم يتحرك فى الوقت المناسب ،

فقد كان لدى الجهاز الوقت الكافى ، ليفحص عينة الدماء السوداء ، ويخرج بالنتائج .

اندفع (أكرم) والدكتور (عبادة) نحوه فى حركة غريزية ، وتطلّعا معًا إلى شاشة جهاز فحص العينات ، وهو يضغط أزراره فى سرعة ولهفة ، و ...

وظهرت النتائج دفعة واحدة على الشاشة ..

واتسعت العيون كلها فى دهشة عارمة ..

فقد كانت نتائج فحص الدماء السوداء مذهلة ..

مذهلة تمامًا .

* * *



٨ ـ الغمـوض ..

« سبع عناصر مجهولة يا (نور) .. »

نطق الدكتور (حجازى) العبارة فى حماسة وانفعال ، داخل تلك القاعة ، التى شهدت الأهوال ، منذ ساعات قليلة ، وهو يلوّح بذراعيه فى قوة ، قبل أن يتابع ، وهو يكاد يلهث :

ـ وكلها غير معروفة على الإطلاق ، بين كل العناصر المسجلة على كوكب (الأرض) ، والعجيب أنه ليس بينها عنصر واحد ، من عناصر الدم البشرى .

ـ هتفت (نشوى) مبهورة :

ـ ولكن كيف ؟! أين ذهبت دماء الدكتور (مينا) ؟!

أجابها بنفس الانفعال :

ـ من الواضح أن مادة مجهولة قد سرت فى دمه ، وحوَّلت عناصره إلى تلك العناصر المجهولة بوسيلة ما ، وربما كان هذا هو سبب تورُّم الوجه وانتفاخه واسوداده ..

تنهَّد (نور) وقال :

ـ من الواضح أننا أمام أمر عجيب ، لا يشبه أى شىء آخر عرفناه يا رفاق .

تردَّدت (سلوى) لحظة ، قبل أن تقول فى حذر :

ـ ولكنه يذكرنى بشىء عرفناه بالفعل يا (نور) .

استدار إليها معقود الحاجبين ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فأكملت بصوت مرتجف ، ووجه حمل شحوب ذكريات الماضى :

ـ شىء شيطانى(*) .

مطَّ (رمزى) شفتيه ، وشعر الدكتور (حجازى) بقشعريرة باردة تسرى فى جسده ، فى حين غمغم (أكرم) فى حيرة :

(*) راجع قصة (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم ٧٢

- أى شىء هذا ؟!

لم يجب أحدهم سؤاله ، ولكن (نور) قال فى حزم :

- أعتقد أننا نواجه أمرًا مختلفًا تمامًا هذه المرة .

سألته بتوتر شديد :

- هل تعتقد هذا ؟!

هتف (أكرم) فى عصبية :

- أيمكن أن يخبرنى أحدكم عم تتحدثون ؟!

مرة أخرى لم يجب أحدهم سؤاله ، و(نور) يجيب فى صرامة :

- نعم .. أعتقد هذا .

صاح (أكرم) فى حدة :

- أتعتبروننى جزءًا من الفريق أم ماذا ؟!

لكزه (رمزى) فى صدره ، قائلاً :

- اصمت الآن ، وسأخبرك بالأمر كله فيما بعد .

شعر الدكتور (عبادة) بالحيرة ، وهو ينقل بصره بينهم ، فى حين غمغمت (مشيرة) فى اهتمام :

- أعتقد أن لدى فكرة عن هذا الأمر .

تجاهل (نور) قولها ، وهو يقول فى صرامة :

- الشىء الذى أثق به تمامًا ، هو أن ما نواجهه هذه المرة يختلف تمام الاختلاف ، عن كل ما واجهناه من قبل .

أشار الدكتور (حجازى) بسبابته ، قائلاً فى حماسة :

- أتفق معك تمامًا فى هذا .

قال (نور) :

- ولهذا ، فنحن مضطرون لمواجهته على نحو مباشر .

هتفت (مشيرة) :

ـ البعثة الجديدة .. أليس كذلك ؟!

التفت إليها ، متسائلاً :

ـ كيف أمكنك استنتاج فكرة البعثة الأخرى هذه ؟!

هزت كتفيها ، مجيبة :

ـ طبيعتى الصحفية جعلتنى أتصور أن هذا هو أفضل إجراء ممكن .

انعقد حاجباه ، وهو يغمغم :

ـ هذا يجعل الأمر خطيرًا إلى حد كبير .

سألته (سلوى) فى قلق :

ـ ماذا تعنى يا (نور) ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ـ أعنى أنه مادامت الحاسة الصحفية لـ (مشيرة) جعلتها تستنتج هذا ، فمن الطبيعى أن تتوصل جهات الأمن ، فى البلد الذى سنذهب إليه ، إلى النتيجة

نفسها ، ومن الطبيعى أيضًا ألا يشعرهم هذا بالارتياح .

قال (أكرم) فى توتر :

ـ ولكنك تقول : إنهم وافقوا على ذهاب البعثة .

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ الموافقة الرسمية شىء ، والتعامل المباشر شىء آخر يا (أكرم) .

قالت (مشيرة) فى قلق :

ـ ولكنكم ستصحبوننى معكم .. أليس كذلك ؟!

أجابها (نور) فى صرامة :

ـ إنها ليست نزهة يا (مشيرة) .

قالت فى حدة :

ـ وعملى لا يمنحنى رفاهية الخروج فى نزهات أيها المقدّم .

شدّ (نور) قامته ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أعتقد أنه من الأفضل أن تدركوا طبيعة الموقف جيدًا .

روى لهم باختصار ، كل ما علمه هناك ، فى مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، عن منطقة المعبد المزدوج ، وكل ما يحيط به من أساطير ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ البعثة التى اقترحها سيادة القائد الأعلى ، تتكوّن من فريقنا ، بالإضافة إلى الدكتور (حجازى) والدكتور (عبادة) ، والدكتور (رمسيس) ، الأثرى المعروف ، ولكنه طلب توضيح الأمر للجميع ، قبل بدء العمل فعليًا ، بحيث يصبح الجميع على بينة بما سيواجهونه هناك ، فبعثتنا ستختلف حتمًا عن البعثة السابقة ، التى خسرت ثلاثة أرباع طاقمها ، والتى فقدنا كل وثائقها ، ولكننا نعلم أنها واجهت أهوالاً رهيبة هناك .. نحن سنواجه حتمًا أضعاف هذه الأهوال ؛ لأننا لا نذهب للبحث عن

مجهول ، وإنما لتعقبه .. وكلكم تعلمون أنه يعرف كل شىء عنا تقريبًا .. بل وربما كان ينتظرنا هناك أيضًا .

صمت لحظة ، ليدرس تأثير كلماته على الجميع ، قبل أن يضيف :

ـ باختصار ، نحن ذاهبون فى رحلة ، قد تكون بلا عودة ، ولكن الهدف منها هو المعرفة أولاً ، وتأمين سلامة وطننا ثانيًا .

تساءل الدكتور (عبادة) فى حيرة :

ـ وما شأن تأمين الوطن هنا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ ذلك الكاهن قتل علماءنا بالفعل .

قال الدكتور (عبادة) :

ـ لأنهم سرقوه .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

- بل لأنه شر خالص ياسيدى .. إنه كاهن من كهنة (الفودو) .. أشرس أنواع السحر الأسود ، التى عرفها التاريخ .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

- كاهن لايموت .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى صرامة :

- هذا ما سنسعى للتحقُّق منه .

ثم عاد يشدّ قامته ، مستطردًا :

- بإرادتنا الحرة .

تبادل الجميع نظرات صامتة ، قبل أن تتساءل (نشوى) :

- ماذا تعنى بهذا يا أبى ؟!

أجابها بكل الحزم :

- أعنى أن ما سنفعله أشبه بالعمليات الانتحارية ، وفى كل الأحوال ، وحتى وسط القوات الخاصة ، اعتدنا ألايخرج مخلوق واحد ، فى عملية قد تحمل له الموت الخالص ، إلا متطوّعًا .. لا التزام أمنى ، أو إجبار ، أو أوامر بالعمل .. لابد من موافقة كل شخص ، على نحو واضح جلى .

قالت (سلوى) فى سرعة :

- كلنا موافقون يا (نور) .

انعقد حاجباه فى صرامة أكثر ، وهو يقول :

- لا أحد يعبّر عن آراء الآخرين ، فى أمر كهذا يا (سلوى) .

قالت فى حزم :

- فليكن .. سأعبّر عن رأيى وحده .. أنا معك ، حتى ولو ذهبت إلى الجحيم نفسه .

غمغم :

- ربما كنا ذاهبين إليه بالفعل يا عزيزتى .

ثم أدار عينيه إلى (نشوى) ، فرفعت كفها ، قائلة :

- سأجد من يتولّى أمر (طارق) و(محمود) الصغيرين ، فلن تذهبوا بدونى أبدًا .

قال (رمزى) فى حسم :

- زوجتى لن ترحل بدونى .

تطلّع (نور) إلى الدكتور (حجازى) فهزّ كتفيه ، وابتسم ابتسامة متوترة ، وهو يقول :

- أتظن أنه من الممكن أن أضيع فرصة كهذه يا (نور) ؟!

تمتم (نور) :

- كلاّ بالتأكيد .

ثم التفت إلى الدكتور (عبادة) ، قائلاً :

- وماذا عنك يا سيّدى ؟!

غمغم الرجل :

- إننى لم أخض شيئًا كهذا من قبل قط .

ثم استدرك فى سرعة :

- ولكننى أتوق لخوضه .

سأله (نور) فى حزم :

- مهما كانت المخاطر ؟!

ازدرد الدكتور (عبادة) لعابه فى صعوبة ، من حلقه شديد الجفاف ، وبدا شاحبًا ممتقعًا ، على الرغم من الحزم الشديد ، الذى كسا صوته ، وأطلّ من عينيه ، وهو يجيب :

- مهما كانت المخاطر أيها المقدّم .

هتفت (مشيرة) ، قبل أن يسألها :

- أنا سأذهب ، حتى ولو اعترضتم جميعًا .

تجاوزهـا (نـور) ، واستدار إلى (أكرم) ، الذى انعقد حاجباه ، وقال فى عصبية صارمـة ، قبل أن ينطق (نور) بحرف واحد :

ـ إياك أن تفعلها .. لو ألقيت السؤال ، فسأعتبر هذا إهانة لا تغتفر يا (نور) .

ابتسم (نور) ، وربّت على كتفه ، قائلاً :

ـ بالتأكيد يا صديقى .. بالتأكيد .

ثم شدَّ قامته مرة أخرى ، وتنهَّد فى عمق ، قائلاً بمنتهى الحزم والحسم :

ـ على بركة الله (سبحانه وتعالى) إذن .

لم يـدر أحدهم ، وهو ينطق عبارتـه ، أنـه كـانت هناك أذن أخرى تنصت لكل حرف نطقوه ..

أذن تختفى داخل الجدار المقابل لهم مباشرة ..

فهناك ..

ووسط مادة الجدار كان ذلك الكاهن الرهيب ..

جسده أشبه بالطيف ..

عيناه تلتمعان بذلك البريق المخيف ..

المخيف للغاية ..

وعقله ينصت لما قالوه ..

فى تلك اللحظة ، أدرك أنهم قادمون إليه ..

إلى معبده ، الذى يجمع بين العقائد المصرية القديمـة ، وعقيدة سحرة (الفودو) الرهيبة ..

وفى أعماقه ، ارتسمت ابتسامة رهيبة ..

مخيفة ..

وحشية ..

وفى هدوء ، انسحب جسده الطيفى مـن موقعه ، وغاص عبر الزمان والمكان ، عائدًا إلى أرض الأرواح الخالدة (فو ـ كا) ..

وقبل أن تمضى لحظـات ، كـان كل شىء مستعدًا لاستقبال القادمين ..

والتعامل معهم ..

بكل سحر (الفودو) ..

وكل الشر ..

بلا استثناء .

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى بإذن الله

(الأحراش الفسفورية)

ڤودو

- كيف نشأت عقيدة سحرة (الڤودو)، فى قلب (إفريقيا) السوداء ؟!
- لماذا بدأت تلك الأحداث الخارقة المخيفة، فى متحف الآثار الجديد ؟!
- ترى كيف يواجه (نور) وفريقه شياطين السحر هذه المرة .. سحر (ڤودو) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع الفريق .. فريق (نور).



العدد القادم
الأحراش الفسفورية



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

135

الثمن فى مصر ٢٥٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

برئ جدًا !!

د. نبيل فاروق

الأحراش الفسفورية

136

المؤسسة العربية الحديثة

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ البعثة ..

كل شىء بدا هادئًا أكثر مما ينبغى ، فى ذلك الصباح ، فى مبنى المخابرات العلمية المصرية ..

العمل كان يدور فى نشاط جم ، فى كل طوابق المبنى الكبير ، فى جو من السرية التامة ، والكفاءة المدهشة ، لجمع سيل لاينقطع من المعلومات ، من كل أنحاء الأرض ، ومن بعض الأماكن فى الفضاء الخارجى أيضًا ..

وفى إدارة الأبحاث العلمية ، التابعة للجهاز ، كان فريق من أفضل علماء (مصر) منهمك بكل حواسه واهتمامه ، فى إعادة فحص بقعة صغيرة ، فى قلب (إفريقيا) ، عجزت كل وسائل الرصد التقليدية والمتطوّرة عن جلب أية معلومات واضحة عنها ، باستثناء تلك الظاهرة المدهشة ، التى تبطل عمل أى جهاز إليكترونى أو كهرومغنطيسى يدخل إلى نطاقها ..

أما هناك ، فى الطابق الثالث تحت الأرض ، حيث مكتب القائد الأعلى ، فقد كان من الواضح أن كل ذلك الهدوء فى الطوابق العليا متعمَّد ، لإخفاء ذلك النشاط المضاعف ، والتوتر الشديد ، فى غرفة العمليات الخاصة ، التى تم إنشاؤها على نحو عاجل هناك ..

ولأوّل مرة ، منذ فترة طويلة ، راح القائد الأعلى يتابع ويشرف بنفسه ، على كل ما يدور فى تلك الغرفة ، ويراجع شخصيًا كل ما يصلها من بيانات ، عبر وسائل دقيقة للغاية ، وبالغة السرية إلى أقصى حد ..

وفى اهتمام بالغ ، اندفع نحوه الدكتور (جلال) ، قائلاً فى انفعال :

ـ البعثة وصلت إلى تلك الدولة الإفريقية .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يغمغم فى توتر :

ـ حقًا ؟!

والتقط البرقية الشفرية القصيرة من يد الدكتور (جلال) ، وذهنه يسترجع فى سرعة البدايات المثيرة

لتلك العملية العجيبة ، التى تختلف عن كل ما واجهه (نور) وفريقه ، فى حياتهم كلها ، باستثناء فترة شيطانية رهيبة ، لايمكن أن يتخيَّل أحد إمكانية تكرار حدوثها ، بأى حال من الأحوال(*) ..

ومن يصدِّق أن كل هذا قد بدأ بحفل ..

حفل افتتاح قاعة بمتحف الآثار الجديد ، عند هضبة أهرامات الجيزة ..

الحفل الذى عُرضت فيه الآثار النادرة ، التى أحضرتها بعثة علمية فى (إفريقيا) ..

وكانت تلك الآثار مدهشة وعجيبة بحق ..

كانت مزيجًا من الآثار الفرعونية القديمة ، وآثار سحرة وكهنة (الفودو) ، بالإضافة إلى أشياء مذهلة ومخيفة ..

إلى أقصى حد ..

(*) راجع قصة (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم ٧٢

ففى واقعة نادرة ، لامثيل لها عبر العلم والتاريخ ، عثرت تلك البعثة على معبد فرعونى كامل ، وسط أحراش (إفريقيا) ..

معبد مازال يضمّ كهنته القدامى ، الذين امتزجت عندهم العقائد الفرعونية بعقيدة كهنة (الفودو) ، ذلك السحر الأسود الرهيب ، الذى نشأ فى (إفريقيا) ، وانتقل إلى أمريكا الجنوبية ، والشمالية معًا ..

ومن بين تلك الأشياء المذهلة جمجمة غير آدمية ، وإصبع واحد ..

إصبع الشيطان ..

أو هكذا يطلقون عليه ، فى تلك البقعة الغامضة ، المخيفة ، الرهيبة ، فى قلب (إفريقيا) ..

ثم فجأة ، وبينما الكل يحدّق فى تلك المعروضات المخيفة ، بدأت الأحداث كلها دفعة واحدة ..

كاهن فرعونى رهيب ، يرتدى تلك الحلى العظمية لكهنة (الفودو) ، برز فجأة من العدم ، وراح يلتهم أرواح

علماء البعثة بأساليب سحرية رهيبة ، ملأت قلوب الكل رعبًا وهلعًا وارتياعًا وذعرًا ..

علماء البعثة قتلهم رعب هائل ، وانتزع قلوبهم فزع رهيب ، وضاعت حياتهم وسط أحداث كفيلة بتمزيق قلب أعتى الرجال وأشجعهم ، من فرط الفزع والذعر ..

ولأن (نور) وفريقه لم يمكنهم أبدًا إيجاد تفسير علمى ، أو دليل مادى واحد ، يمكنه تفسير مايحدث ، فقد اشتعل الفضول فى أعماقهم حتى النخاع ، وهم يقاتلون لحماية من تبقى من علماء البعثة ، و ..

ولكن الكاهن انتصر فى النهاية ..

وفى الوقت ذاته ، كانت إدارة الأبحاث العلمية ، بكل طاقم علمائها وباحثيها ، تجاهد لمعرفة سر هذا الغموض المفزع الرهيب .

ولكن كل مايتوصلون إليه كان يزيد الأمر اشتعالاً ..

والنتائج التى توصّل إليها الدكتور (حجازى) ، ونظيره البيطرى الدكتور (عبادة) ، كانت كافية لتأكيد أن الأمر يفوق كل إدراك بشرى ممكن ..

وخاصة مع تحليل عينة من مادة عجيبة ، حلت محل دماء آخر عالم لقى مصرعه ، من علماء البعثة ..

العينة التى حوت عدة عناصر ، لامثيل لأى منها على كوكب الأرض ..

وهنا ، تم اتخاذ أخطر قرار ، فى تاريخ المخابرات العلمية المصرية ..

قرار إرسال بعثة جديدة ، إلى تلك الدولة الإفريقية ، لمواجهة ذلك الغموض القاتل الرهيب وجهًا لوجه ، فى البقعة التى تعجز كل الأجهزة عن رصدها ..

ولكن البعثة الجديدة لم تكن بعثة علمية ، إلا من الناحية الرسمية والظاهرية فحسب .. فالواقع أنها كانت بعثة أمنية خاصة ، تضمّ فريق (نور) إلى جوار عدد من الخبراء ، وفريقًا من الانتحاريين ..

ولكن الخطر الحقيقى كان يكمن فى أن رئيس وزراء تلك الدولة الأجنبية ، ووزير خارجيتها ، ووزير داخليتها ،

كانوا يعلمون الكثير عن تلك المنطقة ، التى يطلق عليها المحليون هناك اسم (فو ـ كا) ، أو (أرض الأرواح الخالدة) ..

لا يعلمون فحسب ، ولكن يخضعون لسيطرتها أيضًا بوسيلة ما ..

ولأنهم يعلمون حقيقة بعثة (نور) ، فقد علمها ذلك الكاهن الرهيب أيضًا ..

وعندما انطلقت البعثة الثانية إلى (أرض الأرواح الخالدة) ، كان فى انتظارها خصم عنيد ، لم ينهزم قط ، منذ بدء الخليقة ..

الموت(*) ..

وحتى القائد الأعلى نفسه ، على الرغم من كل مايصله من تقارير ومعلومات ، لم يكن يعلم شيئًا عن ذلك الجزء الأخير ، وهو يقول فى توتر :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجز الأول (فودو) .. المغامرة رقم ١٣٥

ـ لقد استقبلوهم استقبالاً رسميًا حاراً هناك ، وعلى الرغم من هذا ، فلست أشعر بالارتياح أبدًا .

وافقه الدكتور (جلال) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ وأنا كذلك ، خاصة أن صور أقمارنا الصناعية تشير إلى أن رجال الأمن هناك قد قاموا بفحص الطوافة ، التى أرسلناها مع البعثة ، للتأكد من أنها لا تحوى أجهزة تصوير أو مراقبة .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، قائلاً :

ـ إنهم يعلمون .

مرة أخرى وافقه الدكتور (جلال) بإيماءة ، قائلاً :

ـ بكل تأكيد ، فالعالم أجمع يعرف من هو (نور الدين) ، منذ انتصاره الساحق على الغزاة ، إبانٍ احتلال الأرض(*) ، ووجوده على رأس البعثة ، يؤكد أن لها أغراضًا أخرى ، بخلاف البحث العلمى .

تنهَّد القائد الأعلى ، قائلاً :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم ٧٦

ـ هذا أمر طبيعى ، ولكننى أعتقد أن مهمة البعثة علمية محضة ، حتى وإن رأسها رجل مخابرات شهير مثل (نور) ، فالغرض الفعلى لها هو المعرفة .

ابتسم الدكتور (جلال) ، وهو يقول :

ـ المعرفة هى الهدف الرئيسى للعلم .. ولأعمال المخابرات أيضًا .

أشار القائد الأعلى بسبَّابته ، قائلاً فى حزم :

ـ بالضبط .

ثم عاد حاجباه ينعقدان ، وهو يضيف :

ـ ولكن ما يقلقنى الآن هو أن فريقنا سينطلق وحده ، نحو ذلك الموت الكامن فى أحراش (إفريقيا) ، وأنه ما إن يتجه إليه ، حتى لا يعود بوسعنا الاتصال به ، أو حتى مد يد العون إليه ، مهما واجه من متاعب ومخاطر .

قال الدكتور (جلال) فى حماسة :

ـ لا تنس يا سيدى أن الفريق يضمّ المقدّم (نور) ،

و(أكرم) ، مع أربعة من أقوى مقاتلينا .

تنهدَ القائد الأعلى مرة أخرى ، وهو يتطلع إليه ، قائلاً فى قلق شديد :

ـ بالتأكيد ، ولكن السؤال هو : هل يكفى هذا فى مواجهة ذلك الشىء ؟!

نعم .. هذا هو السؤال الحقيقى ..

هل يكفى هذا ؟!

هل ؟!

* * *

« كلاً بالتأكيد .. » ..

نطقها وزير داخلية ذلك البلد الإفريقى بابتسامة زائفة كبيرة ، وهو يواجه (نور) وفريقه ، قبل أن يلوّح بيده ، مستطردًا :

ـ لن نتدخل فى عملكم على الإطلاق ، ولن نحاول حتى معرفة ما تسعون إليه .

وتسلل شىء من السخرية إلى لهجته ، وهو يضيف :

ـ أيًا كان .

رمقه (نور) بنظرة باردة صامتة ، وشعر (أكرم) بشىء من التوتر يسرى فى كيانه ، وبرغبة عارمة فى أن ينقضّ على الرجل ، ويلكمه فى أسنانه مباشرة ، ليمحو ابتسامته السخيفة ، فى حين بدا الدكتور (حجازى) هادئًا مبتسمًا ، وهو يقول :

ـ لن يزعجكم شىء مما سنفعله بإذن اللّه ياسيادة الوزير ، فهدف بعثتنا علمى بحت ، وكل مانهدف إليه هو متابعة ماتوصل إليه الزملاء ، فى البعثة السابقة .

بدا صوت وزير الداخلية غامضًا ، وهو يقول :

ـ رحمهم اللّه .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، فيما عدا (نور) ، الذى قال فى حزم :

- من الواضح أن الأخبار تصل إليكم بسرعة ياسيادة الوزير .

مال الوزير إلى الأمام ، قائلاً فى صرامة :

- بأسرع مما تتصورّ أيها المقدّم .

قالها ، وتراجع فى مقعده الوثير على الفور ، متابعًا بلهجة متحدية ، ذات رنة ساخرة :

- وربما لاينطبق هذا عليكم هنا ، فمن المؤكّد أنك لن تجد لدينا احتلالاً فضائيًا آخر ، يمكنك التغلّب عليه ، وتحرير الأرض منه .

نهض (نور) ، وهو يبتسم ابتسامة باردة ، قائلاً :

- من يدرى يا سيادة الوزير ؟! من يدرى ؟!

انعقد حاجبا الوزير في غضب مباغت ، ونهض يمد يده إلى (نور) ، قائلاً فى صرامة :

- مرحبًا بكم فى بلادنا أيها المقدّم .. ستجدون منا كل تعاون وترحيب ، ولكن عليكم أن تتذكروا أمرًا واحدًا ، غير مسموح لكم بنسيانه قط ، تحت أية ظروف .

وتطلّع إلى عينى (نور) مباشرة ، وهو يضيف ، بكل حزم الدنيا :

- أنكم داخل حدودنا .. وتحت سيادتنا .

صافحه (نور) ، وهو يتطلّع بدوره إلى عينيه مباشرة ، قائلاً :

- لن ننسى هذا أبدًا .

لم يكن ذلك اللقاء الأوّل مريحًا بأى حال من الأحوال ، لذا فقد غادر الكل مكتب وزير الداخلية الإفريقى فى توتر شديد ، جعل الدكتور (عبادة) ، نقيب الأطباء البيطريين يقول فى عصبية :

- يبدو لى أنهم يبغضون وجودنا هنا أشدّ البغض .

وهتف خبير الآثار الدكتور (رمسيس) :

- إنهم يتمنون لو تلتهمنا أحراشهم ، فلانعود منها أبدًا .

تمتم (نور) :

- هذا صحيح .

قال (أكرم) فى حنق ، وهم يدلفون إلى الحافلة الخاصة ، التى منحتهم إياها السفارة المصرية :

- لماذا قبلوا وجودنا إذن ، ما داموا يبغضونه إلى هذا الحد ؟!

أجابه (نور) ، والسيارة تنطلق بهم :

- التعقيدات الديبلوماسية .

أشار (رمزى) بسبّابته ، قائلاً :

- هذا الرجل يعرف حقيقة الأمر .. أراهن على هذا بسمعتى كخبير نفسى .

غمغمت (سلوى) :

- الأمر لايحتاج إلى خبير نفسى ، لإدراك هذا .

أشار إليهم (نور) بيده ، يدعوهم إلى الصمت ، وهو يقول فى حزم :

- من قبل أن نأتى إلى هنا ، ونحن نتوقّع بعض المصاعب والعقبات ، من بعض المسئولين هنا ، الذين

تتعارض مصالحهم مع كشفنا لتلك المنطقة ، التى يطلق عليها المحليون اسم (فو ـ كا) ، أو (أرض الأرواح الخالدة) ، لذا فأفضل ما نفعله ، حتى نتفادى الكثير من المتاعب ، هو أن نبدأ بعثتنا الاستكشافية فورًا .

قالت (نشوى) بدهشة مستنكرة :

- فورًا ؟! ألن نقضى ليلة واحدة فى الفندق على الأقل ؟!

أجابها فى حزم :

- ولا ساعة واحدة .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف بحزم أكثر :

- منذ هبطنا هنا ، وقائد الطوّافة لديه أمر بالاستعداد للإقلاع ، فور تلقيه إشارة منى ، ولولا أن القواعد تحتّم ضرورة لقاء المسئولين هنا ، قبل أن نبدأ عملنا ، لما أضعنا لحظة واحدة .

غمغم الدكتور (رمسيس) فى قلق :

- وما الذى يمكن أن يفعلوه بنا ، لو انتظرنا بضع ساعات ، للحصول على قدر من النوم والراحة ؟!

أجابه (نور) فى حزم صارم :

- الكثير .

ثم رفع يده ، وضغط زرًا فى ساعته ، مضيفًا ، وهو يدير عينيه فى وجوههم جميعًا :

- لذا فسنقلع فورًا .

وفى مطار تلك الدولة ، تلقّى قائد الطوّافة إشارة (نور) ، فهبّ من رقاده فورًا ، وشدّ قامته فى اعتداد ، قائلاً :

- على بركة الله .

كان واحدًا من الطيارين القلائل ، الذين يحملون وسام الشجاعة ، قبل أن يتجاوزوا الخامسة والثلاثين من العمر ، وكان يدرك جيدًا طبيعة مهمته ، وما تنطوى عليه من صعوبة وخطورة ، وعلى الرغم من هذا فقد تحرك بنشاط وحماسة ، وهو يرتدى زى القيادة ،

ويدس مسدسًا ليزريًا فى حزامه ، ثم يلتقط حقيبته الصغيرة ، و ...

وفجأة ، انتفض جسده كله فى عنف ..

فأمامه مباشرة ، وعلى مسافة متر واحد منه ، انشقّ الجدار ، دون أدنى صوت ، وانبعث منه لسان من اللهب ، كاد يمس وجهه ، مما جعله يتراجع بقفزة خلفية غريزية ..

وفجأة أيضًا ، تحوّل لسان اللهب إلى رجل ..

إلى كاهن أصلع ، يرتدى زيًا فرعونيًا قديمًا ، ويتحلّى بقطع من العظام البشرية ، كما يفعل سحرة (الفودو) ..

واتسعت عينا الطيّار عن آخرهما ، وهو يحدّق فى عينى الكاهن الرهيبتين ، اللتين بدتا كما لو أنهما جمرتين من الجحيم ، تغوصان فى أعمق أعماق كيانه ..

وأراد الطيّار أن يسحب مسدسه الليزرى ..

أن يقاوم ..

أو حتى يصرخ ..

ولكن الكاهن لم يتحرك من مكانه قيد أنملة ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد شلّت نظراته الرهيبة الطيّار تمامًا ، وإرادته تغوص فى كل ذرة من كيانه ..

وتغوص .. وتغوص ..

حتى النخاع ..

أو أكثر عمقًا ..

* * *

لم يكد وزير داخلية الدولة الإفريقية يدخل مكتب رئيس الوزراء ، حتى نهض هذا الأخير من خلف مكتبه ، يسأله فى لهفة :

- هل رحلوا ؟!

أشار الوزير بيده مجيبًا فى صرامة ، لا تتفق مع أصول اللياقة ، فى تعامله مع رئيسه :

- إنهم فى طريقهم إلى هذا .

اتسعت عينا رئيس الوزراء فى شىء من الارتياع ، قبل أن يعود إلى مقعده ، وجسده كله ينتفض فى انفعال عجيب ، مغمغمًا :

- كان ينبغى ألا نسمح بقيام البعثة الأولى أبدًا .

مطّ الوزير شفتيه ، قائلاً فى توتر :

- لم نكن نتصوّر قط أنهم سيصلون إلى هناك .. لم ينجح مخلوق واحد فى هذا قبلهم قط .

كرّر رئيس الوزراء ، فى لهجة أقرب إلى الانهيار :

- كان ينبغى ألا نسمح بقيامها قط .

انعقد حاجبا الوزير ، وهو يقول فى توتر شديد :

- كان الأجدى أن نمنع قيام البعثة الثانية .

لوّح رئيس الوزراء بذراعه ، هاتفًا :

- ليت هذا باستطاعتنا .

التقط الوزير نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

- لقد فعلنا ما بوسعنا .

مال رئيس الوزراء نحوه ، قائلاً فى توتر شديد :

- الأمر أخطر كثيرًا هذه المرة ، فهم يعرفون إلى أين يذهبون بالضبط .

بدا صوت الوزير حازمًا أكثر مما ينبغى أو يليق ، وهو يقول :

- هو أيضًا يعرف أنهم قادمون إليه .

ثم تألقت عيناه على نحو عجيب ، مع استطرادته :

- ويعرف كيف يتعامل معهم .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى انفعال :

- فى مملكته .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان الطيّار

يحلق بالطوّافة ، التى تحمل (نور) وفريقه ، وطاقم الخبراء ، والانتحاريين ، وكل المعدات الخاصة بالرحلة ، و(نور) يقول له فى حزم :

- حاول أن تهبط بنا فى أقرب نقطة ممكنة من الهدف .

أومأ الطيّار برأسه إيجابًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وانطلق بالطوّافة نحو منطقة الأحراش ، فغمغم الدكتور (عبادة) بصوت مرتجف :

- هل بدأت البعثة بالفعل ؟!

أجابه (نور) :

- بالتأكيد .

انفرجت شفتاه ليقول شيئًا ما ، ثم لم يلبث أن تراجع ، فأطبقهما ، واستند بظهره إلى مقعده فى قوة ، وكأنما يحاول التيقن من أنه داخل طوّافة آمنة ، فى حين تمتم الدكتور (رمسيس) ، فى لهفة عجيبة :

- لست أحتمل الانتظار ، لرؤية ذلك المعبد ، الذى يتحدثون عنه .

أمسك (أكرم) مقبض مسدسه بحركة غريزية ، وهو يتمتم :

- هذا لو وصلنا إليه أحياء .

صاحت به (مشيرة) فى عصبية :

- هل تحاول إحباطنا أم ماذا ؟!

أشاح بوجهه ، مغمغمًا فى توتر :

- لست أحاول شيئًا .

نقلت (سلوى) بصرها بينهما ، قبل أن تقول :

- إنها بعثة علمية ، تمامًا كأية مهمة قمنا بها من قبل .

غمغمت (نشوى) مرتجفة :

- هل تعتقدين هذا ؟!

ربّت (رمزى) على كتف زوجته فى حنان ، قائلاً :

- الأعصاب كلها مشدودة ؛ لأن الرحلة فى بدايتها ، والأمور لم تتضح بعد ، ولكننى واثق من أنه ما إن نصبح فى قلب الأحداث ، حتى ننسى كل هذا ، ونغوص فى مهمتنا حتى النخاع كالمعتاد .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، ولوّح بيده ، وهو يقول فى هدوء :

- هذا ما يحدث لى دومًا ، كلما بدأت فحص حالة جديدة .

تبادل المقاتلون الأربعة نظرة صامتة ، وراح كل منهم يتشاغل بفحص سلاحه ومعداته ، فى حين قال (نور) فى حزم ، وهو يدير عينيه فى وجوه الجميع :

- أتفق مع (رمزى) فى أن الأعصاب كلها مشدودة ، ولكن هذا أمر طبيعى فى مهمتنا هذه ، فنحن ذاهبون لمواجهة خطر مبهم عجيب ، يبعث فى النفس كل مايمكن أن ينبت من مخاوف ، فى مواجهة المجهول ..

أى مجهول .. وفى حالتنا هذه بالذات ، نواجه مجهولاً

شاهدنا الأهوال التى يصنعها بالفعل .. شاهدناه يقوم بأعمال وأفعال شيطانية رهيبة ، كان من جرائها ، مصرع ثلاثة من العلماء ، بأساليب لايجد العلم المعروف تفسيرًا واحدًا لها ..

سألته (مشيرة) بغتة :

- هل كنت جادًا فى افتراضك يا (نور) ؟!

سألها فى حذر :

أى افتراض ؟!

قالت بصوت منفعل :

- افتراض أن يكون ذلك الكاهن ، بكل ما يفعله من خوارق ، مخلوقًا من عالم آخر ؟

هتف فى دهشة :

- أنا افترضت هذا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى سرعة :

- إنها تقصد كلمتك لوزير الداخلية ، عندما أشار إلى احتلال من عالم آخر ، فقلت أنت : (ربما) .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

- إنه مجردُ قول ، رددت به على أسلوبه الفظ فحسب .

قالت (سلوى) فى توتر :

- أعتقد أنه احتمال وارد يا (نور) ، على الرغم من غرابته ؛ فهو يفسِّر على الأقل أمر تلك الجمجمة غير البشرية ، وإصبع الشيطان ، الذى أكَّد الدكتور (حجازى) أنه من المستحيل أن ينتمى إلى أى كائن معروف على وجه الأرض .

تنهَّد (نور) ، وهزَّ رأسه ، قائلاً :

- ليس لدينا ما يؤكِّده أو ينفيه ، ولكن بعض المعطيات الأخرى تتعارض مع فكرة القادم من عالم آخر هذه ، وعلى رأسها وجوده المزعوم منذ آلاف السنين ، كما يروى السكان المحليون هناك .

قال الدكتور (رمسيس) فى سرعة واهتمام :

ـ لم نتأكدْ من هذا بعد .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ لم نتأكدْ من أى شىء بعد .

كادت (نشوى) تقـول شيئًا مـا ، إلا أنهـا عقدت حاجبيها ، واشرأبّت بعنقها ، لتلقى نظرة عبر النـافذة ، من فوق كتف (نور) مغمغمة فى قلق :

ـ عجبًا !

سألها (نور) فى اهتمام :

ـ ماذا هناك ؟!

لوّحت بيدها ، وكأنها لاتجد ما تقول ، ثم لم تلبث أن اندفعت قائلة فى توتر ملحوظ :

ـ وفقًا للخرائط ، كان ينبغى أن ننطلق نحو الجنـوب الغربى ، ولكن موقع الشمس يوحى بأننا نتجـه نحـو الجنوب الشرقى .

انعقد حاجبا (نور) ، مع ملاحظتها المهمة ، فـى حين هتف الدكتور (عبادة) ، فى شىء من الذعر :

ـ أأنت واثقة ؟!

ودون أن تجيب ، استدار (نور) إلى الطيّار ، وسـأله فى صرامة :

ـ إلى أين تتجه بالضبط ؟!

لم يبد على الطيّار أنه قد سمع حرفًا واحدًا ممـا قالـه (نور) ، وهو يرتفع بالطوّافة أكثر ، ويميل بها نحـو الشرق ، فصاح به (نور) فى حدة :

ـ ألى أين تذهب بالضبط يا رجل ؟!

مرة أخرى ، تجاهله الطيّار تمامًـا ، وهو يواصل الانحراف نحو الشرق ، فسحب (نور) مسدسه بحركـة حادة ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

ـ أريد جوابًا صريحًا ومباشرًا ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، اتسعت عيون الجميع فى ذهول

مذعور ، وهم يحدقون فى قائد الطوّافة ، وقلوبهم تعزف سيمفونية رعب هائلة ..

فما رأته عيونهم ، على مسافة سنتيمترات منهم كان رهيبًا ومذهلاً ..

إلى أقصى حد ممكن .

* * *



٢ ـ وبدأت المواجهة ..

أمام العيون الذاهلة ، داخل الطوّافة الكبيرة ، تموّج جسد الطيّار ، كما لو أنه صورة تهتزّ على شاشة عرض سيئة ..

ثم فجأة ، انقسم إلى قسمين ..

أو جسدين ..

فعلى نحو رهيب ، خرج جسد آخر ، من جسد الطيّار ..

جسد ذلك الكاهن الرهيب ..

خرج منه ، وكأنما يشق طريقه عبر قطعة من الزبد ، ليقف أمام الجميع صامتًا ، وعيناه المخيفتان تتألقان بذلك البريق الشيطانى المرعب ..

أما جسد الطيّار ، فلم يكد الكاهن يخرج منه ، حتى

انهار دفعة واحدة ، وسقط رأسه على صدره ، وقد اتسعت عيناه ، وتدلى لسانه خارج فكيه ، وشحب وجهه معلنًا موته منذ فترة من الزمن ..

ولثانيه أو اثنتين ، حدّق الكل فى ذلك الكاهن الرهيب ، الذى يقف على مسافة سنتيمترات قليلة منهم ، ثم سحب (نور) و(أكرم) مسدسيهما فى آن واحد ، والأخير يهتف :

أيها الوغد .

انطلقت أشعة مسدس (نور) ، مع رصاصة مسدس (أكرم) ، فى اللحظة ذاتها ، التى مال فيها جسد الكاهن إلى اليسار ، بزاوية مستحيلة منطقيًا وتشريحيًا ، فتجاوزته الطلقتان ، واخترقتا جدار الطوّافة ، فى حين هبّ المقاتلون الأربعة بأسلحتهم ، و ...

وفى تحوّر آخر ، أكثر عجبًا ، ووسط صرخات (سلوى) و(نشوى) ، وشهقات الرعب التى أطلقها الدكتور (رمسيس) والدكتور (عبادة) ، ونظرات الذهول

على وجوه الباقين ، بدا وكأن جسد الكاهن قد تحوّل ، فى جزء من الثانية ، إلى سحابة من الدخان ، وثبت على نحو عجيب نحو أحد ثقبى جدار الطوّافة ، وعبرته كما لو أن شفاطًا قويًا يسحبها من الخارج ، قبل أن تتحوّل خارج الطوّافة إلى شكل هلامى متموّج لذلك الكاهن الرهيب ، انطلق إلى أسفل ليختفى عن أنظارهم تمامًا ..

وفى نفس اللحظة ، بدأت الطوّافة سقوطها ..

مع مصرع قائدها ، وفقدان السيطرة التام على أجهزتها ، مالت على نحو مخيف ، وراحت تهوى بسرعة كبيرة ، نحو قمم الأشجار الضخمة ..

ومرة أخرى ، تعالت صرخات وشهقات الرعب داخل الطوّافة ..

وبسرعة مدهشة ، حلّ (نور) حزام مقعده ، واندفع بكيانه كله نحو مقعد القيادة فى محاولة أخيرة لإنقاذ الموقف كله ..

وكرد فعل غريزى ، حلّ (أكرم) بدوره حزام مقعده ،



بدا وكأن جسد الكاهن قد تحوّل ، فى جزء من الثانية ، إلى سحابة من الدخان ، وثبت على نحو أحد ثقبى جدار الطوّافة .

واندفع لمعاونة (نور) ، وراح المقاتلون الأربعة يحلون أحزمة مقاعدهم بدورهم ، فهتف بهم (نور) ، فى عصبية صارمة :

ـ الزموا مقاعدكم .. ستفقد الطوّافة توازنها أكثر ، لو زاد الثقل فى بقعة واحدة .

لزم المقاتلون الأربعة مقاعدهم مرغمين ، والتوتر يسرى فى أجسادهم ، فى حين راح (نور) و(أكرم) يعملان بسرعة الصاروخ ، فى محاولة يائسة للسيطرة على الموقف ، والطوّافة تهوى ..

وتهوى ..

وتهوى ..

(أكرم) حلّ أحزمة مقعد الطيّار القتيل ، وجذبه بعيدًا بكل قوته ، وهو يهتف فى (نور) بعصبية زائدة :

ـ أسرع يا (نور) .. أسرع بالله عليك .

صرخت (نشوى) مرة أخرى فى رعب ، وقد بدا لها

أن قمم الأشجار الكثيفة تقترب بسرعة مذهلة ، فى حين احتبست صرخة (سلوى) فى حلقها ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، من فرط الرعب ، وتشبث الباقون بمقاعدهم فى قوة مبعثها الذعر والانفعال ، والكل يتوقَّع الاصطدام فى أية لحظة ..

وبأقصى سرعة ممكنة ، ألقى (نور) نفسه على مقعد القيادة ، ودون أن يربط أحزمة المقعد ، أمسك عصا القيادة ، وضغط الدوّاسة السفلية فى قوة ، وهو يدير العصا ، فى محاولة لإعادة التوازن إلى الطوّافة ، التى تواصل سقوطها المخيف بسرعة كبيرة ..

كانت مائلة على جانبها الأيسر ، ومروحتها العلوية تدور بسرعة مخيفة ، وتقترب من قمم الأشجار الكثيفة ، فى منطقة الأحراش ، ولكن جذبة (نور) لعصا القيادة جعلتها تعتدل قليلاً ، وترتفع عن الأشجار لمترين أو ثلاثة ، ثم تدور إلى اليمين ، قبل أن ترتفع مرة أخرى بحركة حادة ..

تلك المناورة بدت شديدة العنف ، بالنسبة لركاب الطوّافة ، حتى إن كلاً منهم قد شعر بآلام انقباضية فى معدته ، فى نفس اللحظة التى ارتطم فيها (أكرم) بجدار الطوّافة ، صائحًا :

ـ رويدك يا (نور) .

ولم يبال (نور) بكل ما يحدث عنه ..

أذناه تجاهلتا الصراخ ، والشهقات ، وعبارات الفزع ، وآهات الألم ، وهو يضع تركيزه كله فى أجهزة قيادة الطوّافة ، التى لم تستعد توازنها الكامل بعد وهى ترتفع ، وتميل إلى الجنوب ، و ..

وفجأة ، انبعثت تلك القرقعة المخيفة ..

قرقعة عالية ، قوية ، عنيفة ، أتت من أعلى ، وارتجّ معها جسم الطوّافة كله بمنتهى العنف ، قبل أن تصرخ (سلوى) ، بكل رعب الدنيا :

ـ المروحة ..

ومع صرختها ، وأمام عيون الجميع ، طارت المروحة

الرئيسية للطوّافة بعيدًا ، منفصلة عن جسمها ، وراحت ترتطم بقمم الأشجار فى عنف ..

ثم هوت الطوّافة نفسها كقطعة من الصخر ..

وعلى الرغم من هول الموقف ، لم تنطلق داخل الطوّافة صرخة واحدة ..

أو حتى شهقة ..

لقد تجمّدت كل المشاعر فى العيون ، والحلوق ، والأفئدة ، و ...

وحدث الارتطام ..

بعنف ..

* * *

« طوّافة (نور) وفريقه سقطت .. »

هتف الدكتور (جلال) بالعبارة فى اضطراب شديد ، وهو يندفع إلى مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فهبّ الأخير من خلف مكتبه ، هاتفًا فى هلع :

ـ سقطت ؟!

لهث الدكتور (جلال) فى انفعال شديد ، وهو يقول :

ـ أقمارنا الصناعية سجّلت الرحلة منذ بدايتها ، وسجّلت انحرافًا ملحوظًا فى مسارها ، أقلق كل خبرائنا ، الذين يتابعون الموقف لحظة فلحظة ، ثم فجأة ، فقدت الطوّافة توازنها ، وراحت تهوى من حالق ، فى نفس اللحظة التى انبعثت منها سحابة عجيبة من الدخان ، اتخذت مسارًا سفليًا عجيبًا ، على عكس ما ينبغى علميًا ، واختفت وسط الأحراش ..

امتقع وجه القائد الأعلى ، وهو يتمتم :

ـ إنه هو .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ هو أو أى شىء آخر .. ليس هذا ما يهمّ الآن ، فلقد حاول أحدهم استعادة السيطرة على الطوّافة ، إلا أن محاولته لم تفلح تمامًا ، خاصة وأن المروحة العلوية لها قد انفصلت فى عنف ، فهوت الطوّافة وسط

الأحراش ، واختفت هناك تمامًا ، ولم يعد باستطاعة وسائلنا رصدها ..

تراجع القائد الأعلى ، حتى سقط على مقعده ، وهو يردِّد :

- إنه هو .. هو .. كان فى انتظارهم منذ البداية .

أشار الدكتور (جلال) بسبابته ، قائلاً فى انفعال :

- هناك فريق من أفضل خبراء الرصد ، يدرس كل لقطة صوَّرتها أقمارنا الصناعية ، لتحديد ما حدث بالضبط ، ولإيجاد تفسير لتلك الظاهرة الخارقة أيضًا .

حدَّق القائد الأعلى فى وجهه لحظة ، قبل أن يسأله فى قلق عارم :

- أية ظاهرة خارقة ؟!

لوَّح الدكتور (جلال) بيده ، وهو يجيب بكل توتره :

- تلك البقعة غير القابلة للرصد .. لقد .. لقد اتسعت .

غمغم القائد الأعلى فى ذهول مذعور :

- اتسعت ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى انفعال :

- نعم .. اتسعت ، وفور سقوط الطوَّافة .. لقد اتسعت لتحيط بالبقعة التى سقطت فيها الطوَّافة .

وارتجف صوته ، وهو يضيف :

- إنه يحتويهم داخل دائرة نفوذه .

واتسعت عينا القائد الأعلى مرة أخرى ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

فمن الواضح أن المواجهة قد بدأت فعليًا ..

وبمنتهى العنف ..

وأن ذلك الكاهن الغامض الرهيب قد قرَّر أن يربح المعركة كلها بضربة قاضية مباشرة ..

ومن الجولة الأولى ..

* * *

من الطبيعى أن يؤدى سقوط طوَّافة كبيرة كهذه ، من ارتفاع كهذا ، إلى مصرع كل ركابها بلا استثناء ..

ولكن طبيعة المنطقة ساعدت على تغيير النتائج ، على نحو مدهش ..

فالطوافة قد ارتطمت أولاً بمجموعة من الأغصان والأوراق العريضة الكثيفة ، المتشابكة ، على نحو خفف من الاصطدام الأول إلى درجة كبيرة ..

وعندما بدأت سقوطها ، وسط أكوام الأشجار ، راحت تحتك بالجذوع فى عنف ، وترتطم بكل ما يقابلها من أغصان وأفرع كبيرة ..

كل هذا خفف من عنف السقوط أكثر وأكثر .

حتى ارتطم جسمها بأرض المنطقة ..

ومن حسن الحظ أنها لم تكن أرضاً صخرية صلبة ، وإنما كانت طبقة سميكة من الطمى ، والأغصان الذابلة ، والأوراق العريضة المتساقطة على مر السنين ..

لذا فقد كان الارتطام محتملاً إلى حد كبير ..

أو على الأقل ، لم يكن قاتلاً ..

وعلى الرغم من الجرح الدامى فى جبهته ، والآلام المبرحة ، التى يشعر بها فى كتفيه وظهره ، راح (نور) يتحرك فى سرعة ولهفة وقلق ؛ لرصد نتائج السقوط ..

ودون أن ينبس ببنت شفة ، شاركه (أكرم) مهمته ، وهو يعضّ شفته السفلى فى قوة ، وكأنما يكتم آلاماً رهيبة ، تعربد فى جسده بلارحمة ..

(رمزى) أيضاً انضمّ إليهما والدماء تغرق الذراع اليسرى لقميصه ..

كانت (مشيرة) فاقدة الوعى ، دون أية إصابات ظاهرة ، وكذلك (نشوى) ، أما (سلوى) فقد راحت تبكى بحرقة ، هاتفة :

ـ ساقى يا (نور) .. ساقى تؤلمنى بشدة .. لقد كُسِرَتْ حتماً .

أسرع (نور) يفحص ساقها ، فى نفس اللحظة التى هتف فيها (أكرم) فى حنق :

- رباه ! لقد فقدنا أحد المقاتلين .. السقطة دقّت عنقه دقًا .

كان المقاتلون الثلاثة الآخرون يتحركون بأسلحتهم وعتادهم فى عصبية ، متحفزين لمواجهة أى خطر ، فى منطقة السقوط ..

أما الدكتور (حجازى) ، فقد ظلّ راقدًا على ظهره ، فى محاولة لالتقاط أنفاسه ، والسيطرة على أعصابه المتوترة بشدة ، وإلى جواره جلس الدكتور (عبادة) ، يهتف فى ألم مذعور :

- رأسى مصاب .. الدماء تغرق وجهى .. النجدة .. فليسعفنى أحدكم .

أسرع إليه (رمزى) بحقيبة الإسعافات الأوّلية ، هاتفًا :

- أنا قادم .

حاول الدكتور (رمسيس) أن يعتدل من سقطته ، ولكن ساقه أطلقت صرخة ألم رهيبة من بين شفتيه ، وهو يصيح :

- آه .. الألم لا يطاق .

هتف به (رمزى) ، وهو يضمد جرح رأس الدكتور (عبادة) :

- لا تتحرك يا دكتور (رمسيس) .. سأنتهى من عملى ، وأهرع إليك فورًا .

فى اللحظة نفسها ، كان (نور) يقول لزوجته فى توتر :

- ليس كسرًا .. إنها كدمة بسيطة فحسب .

لهثت متمتمة :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

قال أحد المقاتلين فى عصبية ، وهو يتلفت حوله :

- بداية غير مشجعة .. لقد فقدنا أحد زملائنا ، وسقطت بنا الطوّافة بعيدًا عن الهدف ، ولم تعد لدينا وسيلة للعودة .

قال آخر فى توتر ، وهو يتلفت حوله بدوره ، مسترجعًا تلك الأحداث الرهيبة فى الطوّافة :

- أما زلت تثق بأننا سنعود .

اعتدل (نور) ، هاتفًا فى صرامة :

ـ كفى .

ثم شدّ قامته ، مستطردًا فى اعتداد :

ـ على عكسكما تمامًا ، يلوح لى أننا محظوظون .

اعتدل الدكتور (حجازى) ، هاتفًا بدهشة مستنكرة :

ـ محظوظون ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ بالتأكيد .. كان من الممكن أن تقتلنا السقطة جميعًا .

تأوّهت (سلوى) ألمًا ، وهى تحتوى ابنتها بين ذراعيها فى حنان ، قائلة :

ـ الواقع أننى أتساءل يا (نور) ، بعد ما حدث فى الطوّافة ، أيهما أكثر حظًا .. أن تقتلنا السقطة ، أم يقتلنا شر نجهل كل شىء عنه ؟!

أجابها فى حزم :

ـ الله (سبحانه وتعالى) يفعل دومًا الأصلح لعباده .

لم يعترض أحدهم على عبارته ، وانهمك المقاتلون الثلاثة مع (أكرم) فى دفن زميلهم الصريع ، فى حين راح (رمزى) يحيط ساق الدكتور (رمسيس) المكسورة بدعامة بدائية وبعض الشاش والقطن ، فى حين تمتم الدكتور (حجازى) :

ـ من الواضح أن الصراع قد بدأ منذ اللحظة الأولى يا (نور) .

غمغم (نور) ، وهو يدير عينيه فيما حوله فى حذر :

ـ وبمنتهى العنف .

استعادت (مشيرة) وعيها فى تلك اللحظة ، فانتفض جسدها فى عنف ، وهتفت مذعورة مرتاعة :

ـ ماذا حدث ؟! أين نحن ؟! هل .. هل لقينا مصرعنا ؟!

إسرع إليها زوجها (أكرم) ، يحتويها بين ذراعيه ، ويربّت عليها مغمغمًا فى توتر ، لم يستطع كبحه :

ـ كلا يا عزيزتى .. كلا .. القدر انتخبنا لنواصل البقاء ، فى سجل الأحياء ..

حدقت فى وجهه لحظة ، وكأنها لا تذكر حتى من هو ، ثم أدارت عينيها فيما حولها فى توتر ، قبل أن تهتف فى ذعر :

ـ المعدات .. أين معدات التصوير ؟! لابد من تسجيل هذه اللحظة .

تراجع محدقًا فيها بدهشة ، فقفزت من مكانها ، واندفعت نحو الصندوق ، الذى يحوى معدات التصوير ، هاتفة :

ـ آه .. ها هو ذا الصندوق .

هزّ (أكرم) رأسه فى قوة ، مغمغمًا فى سخط :

ـ يا للنساء !

ونهض يدير ظهره إليها ، قبل أن يضيف فى حنق :

ويا للسخافة !

استعادت (نشوى) وعيها فى تلك اللحظة ، فحدقت فيما حولها ، ثم تطلعت إلى أمها فى ذعر ، قبل أن تجهش بالبكاء بين ذراعيها ، فاحتوتها (سلوى) فى حنان ، وقبّلت رأسها لتهدئتها ، فى نفس الوقت الذى صرخت فيه (مشيرة) ، فى غضب عصبى :

ـ ماذا أصاب هذه الآلات ؟! كلها سليمة ، ولكنها لاتعمل قط !! ماذا أصابها ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، عندما سمع عبارتها ، وألقى نظرة سريعة على ساعته الإليكترونية ، قبل أن يلتفت إلى (سلوى) ، هاتفًا :

ـ افحصى معداتك .

ربّتت (سلوى) على كتف (نشوى) ، فمسحت هذه الأخيرة دموعها ، وقالت فى توتر وهى تنهض معها :

ـ سأفحص أجهزتى أيضًا .

التفت الدكتور (حجازى) إلى (نور) ، قائلاً فى قلق :

ـ ما الذى تخشاه بالضبط يا (نور) ؟!

لم يجب (نور) السؤال ، وهو يتطلع فى اهتمام إلى (سلوى) و(نشوى) ، حتى قالت الأولى بدهشة بالغة :

- أجهزتى كلها لا تعمل .

وهتفت (نشوى) بدورها :

- وأجهزتى أيضًا .

اتسعت عينا (مشيرة) ، وهى تقول فى عصبية :

- هل تعطلت كل الأجهزة دفعة واحدة ؟!

التفت الدكتور (حجازى) مرة أخرى إلى (نور) بحركة حادة ، فانعقد حاجبا هذا الأخير فى شدة ، وهو يقول فى حزم واضح التوتر :

- هذا ما كنت أخشاه يا دكتور (حجازى) .

ثم تلفت حوله فى بطء ، مضيفًا :

- نحن فى منطقة نفوذه .

لثوان ، هبط على الكل صمت رهيب ، وكلهم يحدقون فى (نور) ، قبل أن تقطع (سلوى) هذا الصمت فى عصبية ، قائلة :

- مستحيل يا (نور) .. كلنا نعلم أن الطوافة كانت تنحرف ناحية الشرق ، قبل أن تبدأ سقوطها ، وهذا يعنى أننا نبعد كيلومترين على الأقل ، عن الهدف الذى كنا ننشده .

أشار بسبابته ، قائلاً فى حزم واثق :

- لقد مدّ منطقة نفوذه إلى هنا .

هتف الدكتور (عبادة) فى عصبية ، وهو يتحسس ضمادة رأسه :

- ليس باستطاعته هذا .

استدار إليه (نور) ، قائلاً :

- حقًا ؟!

امتقع وجه البيطرى ، وانكمش فى مكانه بخوف مبهم ، وهو يغمغم :

- ربما ..

لم يجد ما يقوله ، وذهنه يستعيد كل ما فعله ذلك الكاهن من قبل ، من أمور خارقة للطبيعة ، والعقل ، والمنطق ، وحتى قواعد العلم ..

كل العلوم المعروفة ..

ومرة أخرى ، خيّم عليهم صمت مطبق ثقيل مهيب ، وهم يديرون عيونهم فيما حولهم ، متصورين أن ذلك الكاهن سيبرز فجأة ، من وسط الأحراش ، و ...

« هذا غير طبيعى .. » ..

قطع الدكتور (عبادة) الصمت هذه المرة ، وهو يهتف بتلك العبارة العصبية ، فاستدار إليه الجميع بحركة حادة مستنكرة ،وكأنما أفزعتهم عبارته ، فأكمل بنفس العصبية ، التى بدت واضحة فى ملامحه ، ونبراته ، وأسلوبه :

ـ هذه الأحراش صامتة ، على نحو يستحيل حدوثه فى الطبيعة ..فأى عالم بيولوجى يدرك أن الغابات والأحراش

لا تصمت قط[*]، هناك حتمًا صوت ما ، ينبعث من مكان ما .. أنثى حشرة فى موسم تزاوج .. زقزقة طائر ما .. أجنحة تضرب الهواء .. خرير ماء ، أو حتى حفيف أوراق أشجار ، يداعب بعضها البعض ، بفعل نسمات الهواء الهادئة .. وهذا لا ينطبق قط على الأحراش التى تحيط بنا .. أصمتوا مرة أخرى ، وستدركون أن لا شىء يتحرك فيما حولنا .. حتى الأغصان والأوراق .

لاذوا بالصمت لدقيقة أو يزيد ، قبل أن تغمغم (نشوى) فى قلق :

ـ هذا صحيح .

وتساءل الدكتور (حجازى) فى توتر :

ـ ولكن ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

هزّ الدكتور (عبادة) رأسه ووجهه الشاحب ، وهو يجيب فى خفوت قلق متوتر :

ـ لست أدرى .

(*) حقيقة ..

ثم استدرك فى توتر شديد :

ـ ولكنه يعنى أن هذه الأحراش غير طبيعية بالتأكيد .

عبارته الأخيرة غرست فى نفوسهم خوفًا مبهمًا غامضًا ، وقلقًا بلا حدود ، جعلهم يعودون للتطلُّع فيما حولهم فى توتر بالغ ، قطعه (نور) ، وهو يقول فى حسم :

ـ فليكن .. أيًا كانت الأمور ، وأيًا كانت طبيعة هذه الأحراش ، فنحن لم نأت إلى هنا لنجلس ونخاف ونرتجف .. لقد أتينا لمهمة محدودة ، وسنؤديها ، أيًا كانت العقبات أو المشكلات ..

ثم استدار إلى المقاتلين الثلاثة ، مستطردًا فى صرامة :

ـ استعدوا للتحرك فورًا .. سنستخدم الأدوات التقليدية الاحتياطية ، التى أحضرناها معنا ، وعلى رأسها

البوصلة(*) ، التى سنحدِّد بوساطتها اتجاهنا ، حتى نبلغ الهدف الأساسى .

تبادل الكل نظرات قلقة متوترة ، فيما عدا (أكرم) والمقاتلين الثلاثة ، الذين بدءوا فى تنفيذ أوامر (نور) على الفور ، وفى إخراج الأدوات التقليدية من الحقائب ..

وفى مرارة عصبية ، غمغم الدكتور (رمسيس) :

ـ أعتقد أن هذا لن يناسبنى أيها المقدَّم .

قالها ، وهو يشير إلى ساقه المكسورة ، والدعامة البدائية التى تحيط بها ، فقال (نور) فى صرامة :

ـ لن نترك أحدًا خلفنا يادكتور (رمسيس) .. سنتناوب حمله طوال الطريق .

(*) البوصلة : جهاز عتيق ، يستخدم لتحديد الاتجاه ، وهى ـ فى أبسط صورها ـ عبارة عن إبرة مغنطيسية معلَّقة تتحاذى مع المجال المغنطيسى المحيط بالكرة الأرضية ، أى أنها تشير إلى القطبين المغنطيسيين ، وهما لا ينطبقان على القطبين الجغرافيين .



قالها ، وهو يشير إلى ساقه المكسورة ، والدعامة البدائية التى تحيط بها ..

هزَّ الرجل رأسه فى عصبية ، قائلاً :

ـ خطأ أيها المقدم .. خطأ .. قائد مثلك لاينبغى أن يتخذ قرارًا عاطفيًا كهذا .. إنكم تبدءون رحلة رهيبة ، لايعلم حدودها إلا الله (سبحانه وتعالى) ، و ...

قاطعه (نور) ، ليكمل فى صرامة :

ـ وأنت خبير الآثار الوحيد بيننا ، الذى يمكنه تحديد وحسم أمر ذلك المعبد المزدوج ، فى قلب الأحراش .

بدت دهشة حائرة على وجه الرجل ، فأضاف (نور) فى حزم :

ـ ليس قرارًا عاطفيًا إذن .. أليس كذلك ؟!

خفض الرجل عينيه ، مغمغمًا :

ـ كنت أتصوَّر أن ..

لم يستطع إكمال عبارته ، فمطَّ شفتيه ، اللتين ارتجفتا فى انفعال ، وخفض عينيه أكثر ، فربَّت الدكتور (حجازى) على كتفه ، وقال بابتسامة باهتة :

ـ من الواضح أنك لم تعمل مع (نور) من قبل .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اندفع أحد المقاتلين الثلاثة نحو (نور) ، وهو يقول فى انفعال :

ـ أمر عجيب يحدث أيها القائد .

قالها وهو يرفع بوصلته أمام وجه (نور) ، فى توتر ملحوظ ..

وكرد فعل غريزى ، اندفع معظم الآخرين نحو (نور) ، وتطلّعوا إلى البوصلة بدورهم ..

واتسعت عيونهم عن آخرها فى دهشة بالغة ..

فإبرة البوصلة لم تكن تتجه نحو الشمال المغنطيسى كما ينبغى ..

بل ولم تكن تتجه نحو أية بقعة ثابتة ..

لقد كانت تدور حول نفسها فى سرعة عجيبة ، وكأنما أصابها مسّ من الجنون ..

أو كأنها لم تعد قادرة على تحديد اتجاهها بعد ..

وكان هذا يعنى أن الدكتور (عبادة) كان دقيقًا للغاية ، فى كل حرف نطق به ..

هذه الأحراش ليست طبيعية ..

على الإطلاق .

* * *



٣ ـ الظلام ..

اتسعت خطوات الدكتور (جلال) وتسارعت ، وهو يقطع ذلك الممر الطويل ، الذى يقود إلى قاعة الأبحاث ، التى يفحصون فيها ما سجلته الأقمار الصناعية فى (إفريقيا) ..

وما إن دلف الدكتور (جلال) إلى القاعة ، حتى هتف به أحد العلماء ، فى انفعال ملحوظ :

ـ لن تصدق أبدًا ما رصدناه .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يتخذ مكانه وسط فريق العلماء ، مغمغمًا :

ـ يبدو أننى قد اعتدت تصديق أشياء كثيرة ، فى الآونة الأخيرة ..

ضغط العالم أحد أزرار شاشة العرض ، قائلاً :

ـ حاول أن تصدق هذا أيضًا إذن .

تطلَّع الدكتور (جلال) ، فى اهتمام وانتباه شديدين إلى الشاشة ، التى عرضت صور سحابة الدخان ، وهى تخرج من ذلك الثقب فى جدار الطوّافة ، ثم تهبط فى سرعة نحو الأحراش ..

وفى توتر ، أشار بيده ، قائلاً :

ـ هذا ما شاهدته فى أول مرة .

أجابه عالم آخر فى حماسة :

ـ بالتأكيد ، ولكننا الآن سنعيد عرض المشهد ، بسرعة منخفضة نسبيًا .

قالها ، وضغط زرًا آخر ، ليتم عرض المشهد ثانية فى بطء ..

وفى هذه المرة ، بدت سحابة الدخان أشبه بجسد آدمى مطاطى ، انزلق مضغوطًا عبر ثقب جدار الطوّافة ، ثم عاد يتشكل خارجها ..

وفى عصبية ، تمتم الدكتور (جلال) :

ـ هذا ما كنت أتوقعه .

سأله العالم الأوَّل ، فى لهفة عجيبة :

ـ وما الذى كنت تتوقَّعه .

أشار إلى سحابة الدخان على الشاشة ، مجيبًا فى عصبية أكثر :

ـ أن ذلك المخلوق يمتلك قدرات مذهلة ، تفوق قدرات أى بشرى آخر عرفه التاريخ .

ارتسمت ابتسامة على وجوه العلماء ، وهم يتبادلون نظرة صامتة لم ترق له ، فقال فى حدة :

ـ حسن .. ما الذى لم أنتبه إليه ؟!

قال عالم آخر :

ـ ربما تنتبه إليه ، إذا ما خفضنا سرعة العرض إلى أدنى حد ممكن .

قال فى عصبية زائدة :

ـ فليكن .

ضغط العالم الأوَّل عدة أزرار ، قبل أن يتراجع على مقعده ، قائلاً فى حماسة :

ـ انتبه جيِّدًا هذه المرة .

ركَّز الدكتور (جلال) انتباهه كله على سحابة الدخان ، على شاشة العرض التى راحت تدير المشهد ببطء شديد ، كما لو أنه يُعرض لقطة بعد الأخرى ، على نحو مستفزّ ..

وبدا له وكأن العرض قد استغرق دهرًا كاملاً ، بدا فيه جسد ذلك الكاهن مرنًا إلى حد مذهل ، وهو ينزلق كسحابة دخان ، ويهبط نحو الأحراش مباشرة ، و ...

« عظيم .. مرونته تبدو أكثر وضوحًا بهذه السرعة المنخفضة .. »

نطق الدكتور (جلال) العبارة فى عصبية ، وهو ينهض من مقعده ؛ تمهيدًا للانصراف ، فهتف أحد العلماء بدهشة بالغة :

ـ مرونتـه ؟! ما الـذى كنت تتطلّع إليـه بالضبط يا دكتور (جلال) ؟!

أجابه فى حيرة حذرة :

ـ سحابة الدخان الآدمية بالطبع .

هتف رئيس الطاقم ، وهو يعيد المشهد إلى الخلف :

ـ كلا يا رجل .. انظر إلى الأحراش نفسها .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى دهشـة متوترة ، وهو يتطلّع إلى الأحراش هذه المرة ، و ...

وفجأة ، انتفض جسده كله بمنتهى العنف ، واتسعت عيناه حتى كادتا تلتهمان وجهه كله ، وهو يدفع رأسـه إلى الأمام فى ذهـول ، حتى يكاد يخترق بـه شاشـة العرض البلّورية ..

لقد كانوا على حق تمامًا فيما قالوه ..

المشهد لايمكن تصديقه ، بأى حال من الأحوال ..

حتى وأنت تراه بعينيك ..

لقد تمايلت قمم الأشجار العالية ، فى تلك الأحراش الكثيفة ، التى تهوى السحابة الآدمية نحوها ، وتراقصت أغصانها المتشابكة ، مع أوراقها الكبيرة العريضـة ، وتضـافر كل هذا ، ليرسم صورة شديدة الوضـوح لوجه كبير ..

وجه بدا وكأنـه يشمل منطقـة الأحـراش كلهـا ، ويتطلّع إلى المشاهد مباشـرة بنظرة ناريـة مخيفـة ، وهو يبتسم ابتسامة شيطانية ، التهمت تلك السحابة الآدمية كلها ..

وجه لابد أن يبعث فى أعماقك رعبًا بلا حدود ..

وجه ذلك الكاهن ..

الرهيب ..

* * *

« مستحيل ! »

هتف القائد الأعلى بالكلمـة فى ذهول ، وهو يحدّق

فى شاشة العرض ، التى نقلت إليه ذلك المشـهد الرهيب ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يتراجع فى مقعده فى بطء ، فأشار الدكتور (جلال) إلى الشاشة ، قائلاً فى انفعال :

- تحوّر طبيعى مذهل ، سجلته أقمارنا الصناعية لثانية واحدة ، وعلى نحو تستحيل معه نظرية المصادفة .

لوّح القائد الأعلى بذراعه ، وهو ينهض من مقعده بحركة حادة ، مكررًا :

- مستحيل ، وألف مستحيل !

ثم اتجه نحو الشاشة الكبيرة ، متابعًا فى توتر :

- لو قلنا وسلمنا باحتمال المصادفة ، فى أن تكوّن الأشجار والأغصان فيما بينها ما يشبه الوجه ، فمن المستحيل أن تمتدّ المصادفة إلى كون ذلك الوجه نسخة من وجه الكاهن ..

وهزّ رأسه فى قوة ، مضيفًا :

- لقد فعلها عامدًا متعمدًا .

تساءل الدكتور (جلال) فى حذر :

- هل تعنى أنه كان يعلم أننا سنرصدها ؟!

أشار القائد الأعلى بيده مرة أخرى ، مجيبًا فى حزم :

- دون أدنى شك .

ثم استطرد فى صرامة :

- الأمر الوحيد المؤكَّد ، هو أن خصمنا ليس مجرَّد شخص .. إنه قوى هائلة ، تفوق كل ما علمتنا إياه الطبيعة ، طوال قرون من العلم والحضارة .. قوى مجهولة ، فوق طبيعية ، تحكم ذلك الجزء من العالم ، الذى ظلّ مجهولاً أو محظورًا ، لسنوات لا يعلمها إلا الله (سبحانه وتعالى) .

ردّد الدكتور (جلال) ، وكأنما لم يسمع حرفًا مما قاله القائد الأعلى :

- إذن فقد كان يعلم أننا سنرصد هذا .

أجابه القائد الأعلى بكل الحزم :

ـ علينا أن نحدِّد أمرًا مهمًا أولًا ، فإما أنه يتحكَّم فى كل ما يحدث بقوة ما ، تفوق علومنا وإدراكنا ، أو أن تلك الأحراش حية ، ذات كيان مستقل ، ولكنها تخضع له فى الوقت ذاته .. أيهما تميل إلى هضمه أكثر ؟!

غمغم الدكتور (جلال) ، فى حذر متوتر :

ـ الاحتمال الأوَّل بالطبع .

مال القائد الأعلى نحوه ، قائلًا فى صرامة :

ـ إذن فهو يعلم .

اتسعت عينا الدكتور (جلال) ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

اعتدل القائد الأعلى ، متابعًا فى حزم :

ـ لقد فعلها ، قبل أن يمدّ نفوذه الكامل إلى المنطقة ، فتنقطع منها الاتصالات .. لقد فعلها ليبلغنا رسالة محدودة حاسمة ، قبل أن يسقط فريقنا بين فكيه .

سأله الدكتور (جلال) فى قلق شديد :

ـ أية رسالة ؟!

اعتدل القائد الأعلى ، وشدّ قامته ، وهو يتطلّع إلى شاشة العرض مرة أخرى فى صمت ، قبل أن يجيب فى حزم حزين :

ـ إننا لن نربح المعركة ، ولن نستعيد فريقنا .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى عصبية :

ـ أبدًا .

واتسعت عينا الدكتور (جلال) فى ارتياع .. فقد كان القائد الأعلى مصيبًا فى استنباطه .. تمامًا ..

* * *

لدقيقة كاملة أو يزيد ، حدّق الكل فى إبرة البوصلة ، وهى تدور حول نفسها فى جنون ، قبل أن يغمغم الدكتور (عبادة) :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

قالت (سلوى) فى توتر :

- يعنى أن هذه المنطقة لاتخضع للقواعد الجغرافية والمغنطيسية ، التى ينتمى إليها العالم الذى نعرفه .

تمتم الدكتور (حجازى) :

- أو أنها لاتنتمى للعالم الذى نعرفه .

أدار (نور) عينيه إليه بحركة حادة ، قائلاً :

- ماذا تعنى يا دكتور (حجازى) ؟!

زفر الرجل ، ولوّح بذراعه ، قائلاً فى عصبية :

- مجردُ عبارة يا (نور) .. مجردُ عبارة .

قال (رمزى) فى توتر :

- ولكنها قد تعنى الكثير يا دكتور (حجازى) .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يقول :

- هل لى أن أفهم ما يعنيه كل هذا ؟!

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

- لا أعتقد أن أحدًا يمكنه أن يفسّر لك شيئًا ياصديقى ، فالأمر مازال يتجاوز حدود إدراكنا بكثير .

قال أحد المقاتلين فى حزم :

- سيّدى القائد .. لست أظننا نحتاج إلى البوصلة ، لمعرفة طريقنا إلى الهدف .

سأله (نور) فى اهتمام :

- وكيف ؟!

أجابه المقاتل فى حماسة ، وهو يشير بيده :

- سنتبع ما ترشدنا إليه الشمس أيها القائد .. سنحددُ موقع غروبها ، ومنه نضع جهاتنا الأصلية كلها ، ولأن الهدف يقع إلى الغرب منا بالضبط ، فسنتبع الشمس طوال الوقت ، حتى نصل إليه .

هتف (نور) :

- بالضبط !

ثم رفـع عينيه إلى فتحة بين الأشجار العالية ، تطلع منها إلى السماء المشرقة ، مستطردًا :

– سنتبع الشمس .

لم يكد يتم عبارته ، حتى خُيِّل للجميع أن سحابة سوداء داكنة قد برزت فجأة ، وراحت تزحف فوق قمم الأشجار ، ثم تتسلل فيما بينها إلى الأعماق ، كما لو أنها قطعة من قلب الليل ، تحولت إلى سحابة سوداء هلامية ، جعلت الرعب يدب فى قلوب الجميع ، وصرخت (نشوى) :

– أبى .. ماذا يحدث ؟! ماذا يحدث ؟!

انعقد حاجبا (نور) بشدة ، وهو يبحث عن جواب لسؤالها ، ورفع (أكرم) والمقاتلون الثلاثة أسلحتهم بحركة غريزية ، فى حين اتسعت عينا (سلوى) فى رعب ، وارتجفت أجساد الدكتور (حجازى) والدكتور (عبادة) ، والدكتور (رمسيس) ، دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة ، على عكس (رمزى) ، الذى هتف فى عصبية زائدة :

– أى ليل شيطانى هذا ؟!

كان الظلام ينسكب من بين الأشجار ، كحبر أسود داكن ، سقط فى كوب من اللبن ، وراح يحيط بهم ، ويغرقهم فى ليل مخيف رهيب ، ورعب قاس عنيف ، حتى هيمن على كل ما يحيط بهم ، والكلمات معقودة فى حلوقهم ، من فرط الذهول والارتياع ، وبخاصة المقاتلون الثلاثة ، الذين واجهوا الأهوال الطبيعية فى حياتهم ، ولكنها لأول مرة يواجهون ظواهر شيطانية كهذه ..

ولدقائق طويلة ، بدت أشبه بدهر بلا حدود لم ينبس أحدهم ببنت شفة ، والظلام الرهيب يحيط بهم ، ويطبق على أنفاسهم وعقولهم ، حتى هتف الدكتور (عبادة) فجأة فى ارتياع :

– إنه هنا .

استدار إليه الكل فى ذعر ، فتابع فى هلع ، وهو يلوِّح بذراعيه فى حدة :

ـ إنه يراقبنا طوال الوقت .. لقد سمع ما قلناه بشأن الاهتداء بالشمس لتحديد اتجاهنا ومسارنا ، فحجبها عنا .. إنه هنا .. هنا .

بحركة غريزية ، راحوا يتلفتون حولهم فى خوف وقلق وذعر ، قبل أن تتسع عينا (نشوى) عن آخرهما ، ثم تطلق صرخة قوية ..

ومع صرختها ، وعلى الرغم من الظلام ، استدار الكل إلى حيث تنظر ..

وسرت ارتجافة عنيفة فى القلوب والأجساد ..

فهناك ، من بين الأغصان المتشابكة ، ووسط الظلام المحيط بكل شىء ، كانت هناك عيونٍ ..

عشرات العيون ، التى تتطلع إليهم ، وتتألق ..

بل تضىء ببريق خاص ..

بريق وحشى ..

للغاية ..

* * *

التقط رئيس وزراء ذلك البلد الإفريقى نفسًا عميقًا ، قبل أن يدلف إلى مكتب رئيس جمهوريتها ، ويستبدل قلقه أمامه بابتسامة كبيرة زائفة ، وهو يقول :

ـ سيدى الرئيس .. إنه لمن دواعى فخرى أن ألتقى بسيادتكم اليوم ، ومن دواعى سعادتى أنـ ...

قاطعه الرئيس فى عصبية :

ـ ماذا حدث للبعثة المصرية يا رجل ؟!

قلب رئيس الوزراء شفتيه وكفيه ، ورسم الحزن والأسى على وجهه ، وهو يجيب :

ـ حادث مؤسف يا سيادة الرئيس .. طوّافتهم اختل توازنها ، وسقطت وسط الأحراش .

سأله الرئيس فى توتر :

ـ وماذا فعلتم إزاء هذا ؟! أى إجراء اتخذتم ؟!

تردد رئيس الوزراء بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حذر :

- وماذا يمكننا أن نفعل يا سيادة الرئيس ؟!

صاح الرئيس فى غضب :

- ماذا تعنى بهذا القول السخيف ؟! كيف يمكننى أن أبلغ به المصريين ، الذين يطالبوننا رسميًا باتخاذ أى إجراء ، للبحث عن بعثتهم ، وإنقاذ الناجين المحتملين منها ؟! ماذا أقول لهم ؟!

تردَّد رئيس الوزراء بضع لحظات أخرى ، ثم قال فى حذر أكثر :

- لقد سقطوا فى منطقة الـ (فو ـ كا) يا سيادة الرئيس .

اتسعت عينا الرئيس فى ارتياع ، وبدا كمن تلقَّى صدمة قاسية ، وهو يقول :

- الـ (فو ـ كا) ؟! (أرض الأرواح الخالدة) ؟! أحقًا ما تقول ؟!

هزَّ رئيس الوزراء رأسه ، مصطنعًا الأسف ، وهو يجيب :

- مهما فعلنا أو حاولنا ، لن نجد شخصًا واحدًا ، يوافق على الذهاب إلى هناك ، حتى ولو كان الهدف إنقاذ أمه نفسها .

لوَّح الرئيس بيده ، وهو يقول فى عصبية :

- لايمكننى أن أبلغ المصريين هذا رسميًا ؛ فسوف يعرضون فورًا إرسال فريق منهم للقيام بالمهمة على أرضنا .

هتف رئيس الوزراء فى انزعاج شديد :

- لايمكن أن نسمح لهم بهذا .

أجابه الرئيس فى سرعة :

- بالتأكيد .

ثم عاد يلوِّح بذراعيه ، مستطردًا :

- ولكن كيف نجيبهم رسميًا ؟!

صمت رئيس الوزراء بضع لحظات ، وهو يفكِّر فى عمق ، قبل أن يقول فى حذر :

ـ بأننا قد أرسلنا فريق بحث بالفعل .

حدّق الرئيس فيه لحظة ، باستنكار مندهش ، قبل أن يهتف :

ـ هل نخدعهم ؟!

هتف رئيس الوزراء فى سرعة :

ـ رسميًا .

احتفظ الرئيس بنظرته المندهشة المستنكرة بعض الوقت ، قبل أن يعقد حاجبيه فى تفكير ، ويتراجع فى مقعده ، ويحك ذقنه بسبّابته فى توتر ، ثم يسأل فى حذر زائد :

ـ هل يمكن أن يفلح هذا ؟!

أجابه رئيس الوزراء ، وقد أدرك أن محاولته قد بدأت تؤتى ثمارها :

ولِمَ لا ؟!

مطّ الرئيس شفتيه ، ولوّح بأصابعه ، قائلاً فى خفوت :

ـ المصريين لديهم أقمار رصد صناعية قوية .

هزّ رئيس الوزراء كتفيه ، وهو يقول :

ـ دعهم يرصدون ما يحلو لهم .. سنرسل طوافة حربية خالية ، لتهبط وسط الأشجار الكثيفة ، ثم تعود إلينا بعد دقائق معدودة ، وسنخبرهم أنها كانت تحمل فريق البحث .

سأله الرئيس ، فى خفوت أكثر :

ـ وهل سيصدقون ؟!

مال رئيس الوزراء نحوه أكثر ، وهو يجيب :

ـ لن يكون أمامهم سوى هذا .

رمقه الرئيس بنظرة قلقة طويلة ، فأضاف فى حزم :

ـ ولن يمكنهم إثبات العكس ، أو التيقّن منه أبدًا .

عض الرئيس شفتيه ، وهو يجاهد لاستيعاب ذلك المنطق الثعلبى ، ثم لم يلبث أن أدرك أنه ليس أمامه بديل ، فهزّ رأسه ، متمتمًا :

ـ على بركة الله ..

وهنا تراجع رئيس الوزراء فى بطء ، وعيناه تتألقان ببريق ظافر قوى ..

لقد حسم على الفور ، أعقد نقطة فى العملية كلها ..

والآن ، يمكن أن ينسى أمر تلك البعثة المصرية ..

عمليًا ..

ورسميًا ..

* * *

لم يتحرك أحد ..

لامن فريق (نور) ، ولامن تلك العيون المتألقة الصغيرة ..

الموقف كله تجمَّد ، كما لو أنه لوحة مخيفة ، على جدار أسود ..

ولدقائق لايعلم عددها إلا الله (سبحانه وتعالى) ،

راح الطرفان يحدقان فى بعضهما وسط الظلام ، فى صمت وسكون ، قبل أن تهتف (سلوى) :

- إلى متى ؟!

نسف هتافها جدار الصمت المذعور ، فقال (رمزى) فى سرعة :

- إلى أن يقتلنا الخوف .

سأله (نور) فى اهتمام ، دون أن يرفع عينيه عن تلك العيون الصغيرة المتألقة :

- هل تعتقد أن هذا هو الهدف ؟!

غمغم (رمزى) :

- بالتأكيد .

أطلق الدكتور (حجازى) زفرة عصبية ، قبل أن يقول :

- لو أن هذا هو الهدف ، فقد نجحوا بالتأكيد .. الخوف يكاد يقتلنى بالفعل .

سحب (أكرم) مسدسه فى حذر قائلاً :

ـ ومن سيسمح لهم بهذا !

حذا المقاتلون الثلاثة حذوه ، ورفع كل منهم فوهة مدفعه ، نحو تلك العيون الصغيرة ، فقال (نور) فى صرامة ، وهو يشير بيده :

ـ ليس الآن .

هتف به (أكرم) فى عصبية :

ـ متى إذن ؟!

أخرج (نور) مصباحًا يدويًا من جيبه ، وهو يجيب بنفس الصرامة :

ـ بعد أن نجرى اختبارًا بسيطًا .

ضغط زر مصباحه اليدوى ، وصوّب شعاع الضوء إلى المنطقة المظلمة بين الأشجار ، والتى تطلّ منها تلك العيون الصغيرة المتألقة ..

وشهقت (نشوى) فى دهشة بالغة ..

فوفقًا لما أظهره ضوء المصباح اليدوى ، لم يكن هناك أى شىء فى تلك البقعة !!

شعاع الضوء كان يسقط على أغصان وأوراق وجذوع أشجار فحسب ..

لا عيون أو أجساد ، أو حتى كائنات صغيرة ..

ثم أطفأ (نور) ضوء مصباحه اليدوى ..

وعادت تلك العيون للظهور ، صغيرة ، متألقة ، تحدّق فى الكل بشراسة عجيبة ، جعلت الدكتور (عبادة) يغمغم فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أشعل (نور) مصباحه اليدوى مرة أخرى ..

واختفت كل العيون الصغيرة ..

وعندما أطفأه مجددًا ، عادت العيون للظهور والتألق !!

وفى حيرة عصبية خائفة تمتمت (سلوى) :

- أهذا نوع من الخداع البصرى أم ماذا ؟!

مع آخر حروف عبارتها ، سمع الكل فى وضوح صوت أقدام ثقيلة ، تطأ وتسحق أوراق الأشجار الجافة ، التى تكسو المكان ..

أقدام عديدة ، توحى بأن أجسادًا ضخمة تتجه نحوهم ..

ومن كل صوب ..

وفى توتر ، راح (نور) يدير مصباحه اليدوى فيما حوله ، و(أكرم) يهتف فى عصبية بالغة :

- رباه !! الصوت يوحى بأنها قريبة للغاية منا ، وعلى الرغم من هذا فلسنا نرى شيئًا .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) فى ارتياع ، وهو يهتف :

- هل .. هل يمكن أن يكون خصمنا خفيًا .

انعقد حاجبا (نور) بشدة مع العبارة ، وخفض ضوء مصباحه بحركة آلية نحو أرضية المكان ، و ...

وصرخت (مشيرة) بكل رعب الدنيا ..

فالأوراق الجافة ، التى تنسحق بحركة منتظمة ، فى الطريق إليهم ، دون جسد مرئى ، كانت تؤكد أن ارتياع الدكتور (حجازى) كان صحيحًا ..

تمامًا ..

إنهم يواجهون خصومًا غير مرئية ..

خصوم لا يعلمها إلا الخالق (عزّ وجلّ) ، و ...

وفجأة ، انطلقت زمجرات رهيبة من حولهم ..

ثم صرخ أحد المقاتلين الثلاثة ، وذراعه تتمزّق على نحو بشع ، كما لو أنها قد تلقّت ضربة هائلة ، من يد ذات مخالب رهيبة ..

وكان هذا يعنى أن الموت قد انقضّ عليهم بلا رحمة ..

الموت الخفى .

* * *

٤ـ الطريق إلى الموت ..

موجة هائلة مـن الذعر والاضطراب أصـابت تلك البقعة المظلمة ، من أحراش (إفريقيا) ، إثر تمـزّق ذراع ذلك المقاتل ..

(سلوى) و(نشوى) و(مشيرة) أطلقن صرخـات رعب هائلة ، وهن يعدون على غير هدى ، فرارًا من خصم وحشى ، خفى ، مجهول ..

الدكتور (حجازى) ، تراجع فـى رعـب ، حتـى التصق بجذع شجرة ضخم ، وهو يهتف :

ـ مستحيل ! مستحيل !

والدكتور (عبادة) راح يضرب الهواء بذراعيه ، فى محاولة للدفاع عن نفسه ، وهو يصرخ :

ـ لا .. ليس أنا .. ليس أنا .

وإلى جواره ، شحب وجه الدكتور (رمسيس) ، حتى بات أشبه بالموتى ، وارتجفت شفتاه فى شدة ، وهو عاجز عن الفرار من ذلك الخطر الخفى ..

أما (أكرم) و(نور) ، والمقاتلون الثلاثة ، بما فيهم ذلك الذى تمزّقت ذراعه ، فقد راحوا يطلقون النار نحو هدف مجهول ، لاتراه عيونهم ، أو ترصده عقولهم ..

ووسط كل هذا ، انبعثت زمجرة رهيبة ..

زمجرة ، ارتجّت لها الأحراش كلها ، وانسحقت معها مساحة كبيرة من أوراق الشجر الجافة ، قبل أن يطلق الدكتور (عبادة) صرخة ألم ورعب بلاحدود ، وساقه تتمزّق على نحو مخيف ، وتتفجّر منها الدماء فى عنف ..

وبكل انفعاله ، صرخ (نور) :

ـ تراجعوا .. تراجعوا جميعًا .

صاح به (أكرم) ، وهو يطلق رصاصـات مسدسه فى كل اتجاه :

ـ إلى أين ؟!



أدار (نور) ضوء مصباحه اليدوى فيما حوله ، فى توتر شديد ، حتى لمح طريقًا بين الأشجار الكثيفة ..

أدار (نور) ضوء مصباحه اليدوى فيما حوله ، فى توتر شديد ، حتى لمح طريقًا بين الأشـجار الكثيفـة ، فصاح وهو يندفع نحو الدكتور (رمسيس) ، ويحمله على كتفيه :

- إلى ذلك الطريق هناك .. أسرعوا .

النساء أوّل من أطعن هتافه ، وانطلقن يعدون بكل قوّتهن نحو ذلك الطريق ، الذى بدا وكأنّه المخرج الوحيد من تلك المنطقة ، التى يهاجمهم فيها الوحش الخفى بلارحمة ، ثم تبعهن الدكتور (حجازى) ، و(رمزى) ، ثم (أكرم) ، الذى حمل الدكتور (عبادة) ، ثم (نور) بحمله ، وأخيرًا المقاتلون الثلاثة ، أحدهم يعاون زميله ممزّق الذراع ، والآخر يطلق النار خلفهم في سخاء ، فى محاولة لمنع ذلك الشىء الخفى من تعقّبهم ..

ولكن يبدو أن ذلك الوحش المجهول لم يكن ينوى حتى هذا ؛ فهو لم يحاول أن ينطلق خلفهم ، وإنما

راح يطلق زمجراته المخيفة ، وكأنما يعلن انتصاره عليهم جميعًا ..

ولقد واصل الكل العدو ، عبر ذلك الطريق ، الذى يكشفه ضوء مصباح (نور) ، والذى بدا أشبه بممرّ مدروس ، تم صنعه خصيصًا لهروبهم ، و ...

« قفوا .. » ..

لم يدر أحدهم متى أطلق (نور) هذه الصيحة الآمرة ، ولكنهم أطاعوها جميعًا بحركة غريزية ، وتوقّفوا دفعة واحدة ، وهم يلهثون بشدة ، والدكتور (عبادة) يصرخ :

ـ ساقى تنزف بشدة .. إننى أموت .. أموت ..

على الرغم من إرهاقه وتوتره الشديدين ، اندفع (رمزى) نحوه ، قائلاً :

ـ لقد أحضرت حقيبة الإسعافات .. سأفعل كل ما يمكننى .

هتفت (مشيرة) فى عصبية :

ـ أنت الوحيد الذى أحضر شيئًا إذن ، فكلنا تركنا معداتنا خلفنا ، من فرط الرعب .

انضمّت (نشوى) إلى زوجها ، وراحت تضمّد ذراع المقاتل الممزّقة ، فى حين عقد (نور) حاجبيه ، وهو يتمتم :

ـ ربما كان هذا هو المقصود .

التفت إليه الدكتور (حجازى) ، يسأله فى توتر :

ـ ماذا تعنى يا (نور) ؟!

أشار (نور) بسبّابته ، مجيبًا فى حزم :

ـ منذ سقوطنا هنا ، والأمور تبدو كما لو أنها تسير وفق منهج مدروس ، يدفعنا فى اتجاه واحد ، لا خيار فيه .. حتى سقوطنا نفسه ، يبدو لى وكأن قوة خارقة قد تدخلت فيه ، لنسقط فى بقعة بعينها .. وعندما أردنا الاسترشاد بالشمس ، أحاط بنا هذا الظلام المبهم .. ولما طال مكوثنا فيها ، ظهرت تلك العيون المخيفة ، وهاجمنا ذلك الوحش الخفى ، حتى يدفعنا إلى الطريق الوحيد أمامنا ..

سألته (سلوى) مرتجفة :

- هل تعنى أنه هو الذى دفعنا إلى هنا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، ثم استدار فى سرعة :

- وفى كل الأحوال ، لم يكن أمامنا سوى هذا الطريق .

التقط (أكرم) مصباحه اليدوى ، وأضاءه نحو امتداد الطريق ، الذى بدا وكأنه بلا نهاية ، فغمغم فى عصبية :

- السؤال هو إلى أين يقودنا هذا الطريق ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى انفعال :

- إلى المصير نفسه ، الذى يقودنا إليه كل شىء هنا ..

واتسعت عيناه فى رعب ، وهو يضيف :

- الموت .

أصابت كلمته الكل فى مقتل ، فخيّم عليهم الوجوم ،

وتطلّعوا إلى بعضهم البعض فى خوف ويأس ، كاد يسيطر على كيانهم ، لولا أن قال (نور) فجأة فى حزم :

- لابد أن نستعيد معداتنا .

نجحت عبارته الحازمة فى انتزاعهم من يأسهم ، وإن فجّرت فيهم دهشة ، جعلت (سلوى) تقول :

- ولماذا ؟! كل الأجهزة لا تعمل فى دائرة نفوذه !

أجابها بلهجة صارمة :

- علماء البعثة السابقة قالوا : إنه تركهم يسجلون كل ما يحدث ، عندما كانوا فى منطقة المعبد المزدوج ، وهذا يعنى أن الأجهزة الإليكترونية يمكنها أن تعمل هناك .

قالت (سلوى) فى اهتمام :

- هذا صحيح .

هتف الدكتور (عبادة)، وهو يعض شفته ألمًا:

- هذا بافتراض أننا سنصل إلى هناك.

تجاهل الكل عبارته دون اتفاق، وقال الدكتور (حجازى) فى حزم:

- (نور) على حق.. إننا بعثة علمية بالدرجة الأولى، ولا معنى لتقدُّمنا بدون معداتنا.

أشار (نور) بيده، قائلاً:

- انتظروا هنا.. سأعود إلى حيث تركنا المعدات، وأحاول إحضار كل ما يمكننى حمله.

اتجه (أكرم) إليه، قائلاً فى حزم:

- سآتى معك.

أراد (نور) أن يعترض، ولكن (أكرم) استطرد فى حدة:

- اثنان أفضل من واحد، ويمكنهما حمل ضعف ما سيحمله وحده.

تساءل (نور):

- ومن سيبقى لحمايتهم.

رفع المقاتل المصاب مدفعه، وهو يقول فى حزم:

- هل نسيتنا أيها القائد ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا، وهو يبتسم ابتسامة باهتة، قائلاً:

- كلاَّ بالتأكيد.. احموهم بأرواحكم، لو اقتضى الأمر.

أجابه مقاتل آخر فى حزم مماثل:

- اطمئن أيها القائد.. إنه واجبنا.

بدأ (نور) و(أكرم) تحرّكهما، فهتفت (سلوى):

- (نور).

استدار إليها بعينين متسائلتين، فغمغمت بصوت مرتجف، أقرب إلى البكاء:

- لا تجازف كثيرًا، واجتهد لتعود إلينا سالمًا.

أضافت (نشوى) فى سرعة :

ـ ولو بدون المعدات .

ابتسم لهما مطمئنًا ، وهو يقول :

ـ سأبذل قصارى جهدى .

ثم غاب هو و(أكرم) وسط الظلام ..

ولثوان ، تابع الكل ضوء مصباحيهما ، قبل أن يختفى وسط الأحراش المتشابكة ، فتمتم الدكتور (حجازى) :

ـ أعدهما إلينا سالمين يا إلهى !

لم يسمع (نور) و(أكرم) عبارته ، وهما يعدوان عائدين إلى حيث سقطت الطوّافة ، والثانى يسأل فى توتر :

ـ كم ابتعدنا فى رأيك ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ ما بين ثلاثمائة وخمسمائة متر تقريبًا .

هتف (أكرم) :

ـ كنت أتصورّ أننا قد عدونا دهرًا .

قال (نور) ، وضوء مصباحه يشقّ الطريق أمامه :

ـ ليس إلى هذا الحد .

ثم أشار بيده ، وهو يتوقّف بغتة ، مستطردًا فى صرامة آمرة :

ـ انتظر .

كاد (أكرم) يسقط على وجهه ، مع توقّفه المباغت ، وهو يتساءل بأنفاس لاهثة :

ـ ماذا هناك ؟!

قال (نور) فى حزم متوتر :

ـ ربما كان ذلك الشيء الخفى بانتظارنا هناك ؛ لضمان عدم عودتنا مطلقًا .

ثم عاد يشير بيده ، مضيفًا فى صرامة ، وهو يطفئ مصباحه اليدوى :

ـ أطفئ مصباحك .

أطاعه (أكرم) وهو يقول فى عصبية :

- وكيف سنرى فى هذا الظلام ؟!

قبل أن يجيبه (نور) ، تألقت فجأة تلك العيون الصغيرة من حولهم ، فهتف (أكرم) فى حدة ، وهو يرفع مسدسه :

- يا إلهى !

أسرع (نور) يضىء مصباحه اليدوى مرة أخرى ، وهو يهتف :

- رويدك .. لا تفزع .

كان الممر الذى يعدوان فيه من الضيق ، بحيث لاحظ هذه المرة ما لم ينتبه إليه ، وعندما طالعتهم تلك العيون المتألقة ، فى منطقة سقوط الطوافة ، فاستطرد فى حزم عصبى ، وهو يعيد إطفاء مصباحه :

- انتظر .. هناك شىء ما .

قال (أكرم) فى حدة :

- أى شىء ؟!

مال (نور) فى حذر ، ومس إحدى تلك العيون المتألقة ، فهتف به (أكرم) ، وهو يقفز نحوه :

- احترس يا (نور) .

ولكن (نور) أمسك تلك العين المتألقة ، وأضاء مصباحه فيها مباشرة ، وهو يقول :

- عجبًا ! انظر يا صديقى .. ما أخافنا حتى الموت هناك ، لم يكن قط كما تصورنا .

هتف (أكرم) بدهشة شديدة التوتر ، وهو يحدق فيما أمسك به (نور) :

- ولكن .. ولكنها مجرد ورقة شجر !!

أشار (نور) إلى دائرة بيضاء تميل إلى الزرقة ، فى منتصف ورقة الشجر ، وهو يقول :

- انظر .. هذه ما بدت لنا فى الظلام أشبه بعيون

متألِّقة .. إنها مادة فسفورية ، تضيء فى الظلام بما اكتسبته واختزنته من ضوء النهار ، أو الأضواء الصناعية ، أو ما يطلق عليه اسم (الفسفرة)(*).

حدَّق (أكرم) فى الورقة ، قائلاً :

- (نور) .. لقد كنت طالبًا مجتهدًا ، فى المرحلة الثانوية ، ولكننى لست أذكر نباتًا له هذه السمة !

هزَّ (نور) رأسه ، قائلاً :

- لست خبيرًا فى علم النبات لأجزم بهذا ، ولكننا نعلم جميعًا أن هذه ليست أحراشًا طبيعية .

تلفَّت (أكرم) حوله فى توتر ، مغمغمًا :

- ليس لدى أدنى شك فى هذا .

ترك (نور) أوراق الشجر ، وعاد يطفئ مصباحه اليدوى ، وهو يقول فى حزم :

(*) الفسفرة : ضوء ينبعث من مواد مضاءة بألوان لا توجد فى الإشعاع المضىء ويطلق على الضوء المنبعث من الكائنات الحية مصطلح (الفسفرة) ، إلا أن المصطلح الأكثر دقة هو (الاستضاءة الحيوية) ، أو (الاستضواء الحيوى) ، وفى (الفسفرة) يستمر انبعاث الضوء ، حتى بعد إيقاف الإضاءة .

- والآن ، وبعد أن حسمنا أمر تلك العيون المتألِّقة ، دعنا نواصل طريقنا ؛ لاستعادة معداتنا .

تبعه (أكرم) فى حذر ، وهو يتطلَّع إلى تلك الأضواء الصغيرة المحيطة به فى توتر قلق ، على الرغم مما رآه بنفسه ، ويتحسَّس طريقه فى عصبية ، على الضوء الخافت المنبعث منها ..

وفجأة ، أمسك (نور) يده فى قوة ، فهتف فى عصبية :

- ماذا حدث ؟!

همس (نور) فى أذنه بانفعال :

- اخفض صوتك يا صديقى .. لقد بلغنا منطقة سقوط الطوَّافة ، ويبدو أن شيئًا ما يتحرَّك هناك .

همس (أكرم) فى عصبية أكثر :

- شىء مثل ماذا ؟!

غمغم (نور) ، وهو يجاهد ليخترق حجب ذلك الظلام الشيطانى ببصره عبثًا :

- من يدرى ؟!

أرهف (أكرم) سمعه فى توتر ، والتقطت أذناه صوت حفيف أوراق ، ووقع أقدام ثقيلة تسحق الأوراق الجافة على الأرضية ، ثم صوت صليل معدنى ، قبل أن يسود الصمت التام بغتة ..

ولثوان ، لم يتحرك أحدهما قيد أنملة ، وكلاهما يرهف السمع بكل انتباه واهتمام ، قبل أن يغمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ لم يعد هناك أحد .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى توتر :

ـ كيف ؟! إننا نقف فى طريق الخروج الوحيد ، من تلك المنطقة الفسيحة هناك .

غمغم (أكرم) بنفس العصبية :

ـ طريق الخروج الوحيد الذى نعرفه .

مطّ (نور) شفتيه ، وهو يتمتم :

ـ بالضبط .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يسأله فى حزم ، وهو يرفع فوهة مسدسه الليزرى :

ـ أأنت مستعد ؟!

جذب (أكرم) إبرة مسدسه ، قائلاً فى حزم :

ـ بالتأكيد .

هتف (نور) :

ـ هيا .

أشعل كلاهما ضوء مصباحه اليدوى ، وهما يندفعان نحو منطقة سقوط الطوّافة ، وكل منهما متحفز بمسدسه ، و ...

وكان وقع المفاجأة عليهما عنيفًا بالتأكيد ..

فالمكان كان خاليًا تمامًا !!

بكل معنى الكلمة !!

فلم يكن هناك أثر لأى مخلوق حى !!

أو للمعدات !!

أو حتّى للطوّافة !!

فقط كانت هناك آثار الدماء ، التى نزفت من ذراع المقاتل الممزّقة ، وساق الدكتور (عبادة) ، التى أصابتها مخالب الوحش الخفى !!

وفى ذهول تام ، أدار (أكرم) عينيه فى المكان ، ليتيقّن من أنه لايوجد منفذ واحد ، يكفى لخروج شخص ضئيل ، فما بالك بحقائب ممتلئة بالأدوات والمعدات والأجهزة التكنولوجية المتطوّرة !!

بل وبطوّافة ضخمة ، حملت كل تلك المعدات ، مع أفراد الفريق !!

وبكل ذهوله ، هتف (أكرم) :

- ولكن كيف ؟! كيف ؟!

التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يدير ضوء مصباحه فى كل مكان ، ويقول بلهجة حملت كل التوتر والحيرة :

- هناك حتمًا وسيلة ما .

هتف (أكرم) فى حدة :

- وسيلة شيطانية حتمًا ، ككل ماواجهناه حتّى الآن .. وسيلة من وسائل سحر (الفودو) الرهيب .

قال (نور) فى عصبية :

- مستحيل ! طوال الطريق ، من (مصر) إلى هنا ، كنت أقرأ كل ما كُتِبَ عن سحر (الفودو) ، ولكن أحدًا من الباحثين فيه لم يسجّل شيئًا من هذه الأعمال الخارقة .

سأله (أكرم) فى توتر شديد :

- هل تعتقد أننا نواجه ما هو أكثر من هذا ؟!

واصل (نور) البحث بضوء مصباحه عن مخرج آخر ، وهو يقول بنفس العصبية :

- بل أعتقد أننا نواجه المصدر الرئيسى ، لكل ما يشاع عن سحر (إفريقيا) منذ الأزل .

هتف (أكرم) :

- (نور) .. إنك تبعث فى نفسى الخوف .

قال (نور) فى صرامة عصبية :

- الأمر يستحق هذا يا صديقى .. يستحقه بالفعل .

قالها ، ثم هتف فى حنق :

- عجبًا ! لا يوجد أى مخرج آخر بالفعل ، كيف استولوا على كل هذا ؟!

قال (أكرم) فى توتر شديد :

- بل قل من هم يا رجل ؟!

التفت إليه (نور) بحركة حادة ، وحدّق فيه لحظة ، وكأنما يستنكر ما قاله ، ثم لم يلبث أن تمتم فى عصبية شديدة :

- نعم .. من هم ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى سمع كل منهما فى وضوح صوت أقدام تعدو خلف الأشجار ، فاستدارا بضوء مصباحيهما فى آن واحد إلى مصدر الصوت ..

ولم يكن هناك شىء ..

ولكن الأمر تكرَّر إلى يسارهما ..

ومرة أخرى استدارا بضوء مصباحيهما نحوه ..

فتكرَّر إلى اليمين ..

وفى عصبية ، هتف (أكرم) :

- ما هذا بالضبط ؟!

أجابه (نور) فى حدة :

- إنهم يحاولون إرباكنا ، وإفقادنا السيطرة على أعصابنا .

صرخ (أكرم) :

- من هم ؟!

رفع مسدسه الليزرى بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ دعنا نجبرهم على الظهور ، لنعرف من هم .

قالها ، وضغط زناد مسدسه الليزرى ، وانطلق خيط الأشعة نحو جذع شجرة ضخم ..

وفجأة ، وما إن ارتطمت الأشعة بذلك الجذع ، حتى تألّق كله بضوء مبهر ، أجبرهما على إغماض عيونهما ، والإشاحة بوجهيهما ، و (أكرم) يهتف :

ـ ما هذا يا (نور) ؟! ما هذا ؟!

هتف (نور) ، وهو يشعر أن ذلك الضوء المبهر يخترق جفنيه المغلقين :

ـ ظاهرة (الفسفرة) مرة أخرى ، ولكن على نحو مضاعف رهيب ..

هتف (أكرم) ، وهو يحمى وجهه بذراعه :

ـ لكن لماذا الآن ؟! لقد أطلقت أشعة مسدسك من قبل هنا ، ولم يحدث هذا ! لماذا الآن ؟! لماذا ؟!

كان الجذع يتألّق بضوء مبهر للغاية ، يغشى الأبصار ، و (نور) يهتف :

ـ كل شىء هنا يحدث بحسب ، وعندما تدعو الحاجة إلى هذا .

هتف (أكرم) :

ـ وما الحاجة هذه المرة ؟!

لوّح (نور) بذراعه ، هاتفًا فى عصبية :

ـ من يدرى ؟! ربما يحيطون بنا الآن ؛ أو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلقت فجأة تلك الصرخة ..

صرخة حملها الهواء إلى أذنيهما ، وحملت هى صوت (مشيرة) ، زوجة (أكرم) ..

وعلى الرغم من توترهما ، والضوء المبهر الذى يغشى بصريهما ، استدارا معًا إلى مصدر الصرخة ، بكل ما ملأ جسديهما من انفعال ..

وفى نفس لحظة استدارتهما ، انطلقت صرختان أخريان ..

صرختان حملتا صوتى (سلوى) و(نشوى) ..

ثم امتزجتا بدوى المدافع الآلية ، التى يحملها المقاتلون ..

وفى لحظة واحدة ، ودون تبادل حرف واحد ، انطلق (نور) و(أكرم) يعدوان نحو ذلك الممر ؛ للعودة إلى حيث تركا الباقين ..

وخلال الأمتار المائة الأولى ، كانت الصرخات تتردد ، مع دوى الرصاصات ..

وكانت عيون (نور) و(أكرم) مازالت مرهقة مجهدة ، من ذلك الضوء المبهر ، الذى تركاه خلفهما ..

وبكل انفعاله ، صرخ (أكرم) :

ـ ماذا يحدث ؟! ماذا يحدث يا (نور) ؟!

لم يجب (نور) سؤاله ، وقلبه يخفق فى عنف ، وخاصة مع الضوء القوى ، الذى لاح من بعيد ..

من حيث تركا رفاقهما ..

ثم إن هذا الضوء قد ارتبط بتوقف الصراخ ودوى الرصاصات تمامًا ..

وضاعف (نور) و(أكرم) سرعتيهما ، حتى بلغا البقعة ، التى تركا فيها الآخرين ..

وهناك ، صرخ (أكرم) فى انفعال جارف :

ـ لا .. لا ..

فعلى الرغم من أن الضوء ، الذى تشعه جذوع الأشجار ، والأوراق المتصلة بها ، لسبب مجهول ، لم تكن مبهرة ، مغشية للأبصار ، إلا أن المنطقة ، باستثناء مدفع آلى محترق ، كانت خالية ..

خالية تمامًا ..

فقد اختفى الكل ، دون أن يتركوا خلفهم أثرًا ..

أدنى أثر .

* * *



لسبب مجهول ، لم تكن مبهرة ، مغشية للأبصار ، إلا أن المنطقة ، باستثناء مدفع الى محترق ..

٥ ـ نيـــران ..

طـالع القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصريـة تلك المجموعة من الصـور ، التى نقلها لـه الدكتور (جلال) ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلّـع إلى البقـع التـى أشـير إليهـا بدوائـر حمـراء ، قبـل أن يتساءل فى حيرة :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

تنحنح الدكتور (جلال) ، وهو يقول :

ـ لقد استخدمنا أسلوبًا جديدًا لرصد المنطقـة ، التى بسط عليها ذلك الكاهن نفوذه .. أو بمعنى أدق ، عدنا للأسلوب التقليدى القديم ، ألا وهو التصوير الضوئى العادى ، باستخدام أفلام التصوير الجيلاتينية العادية ، وتلك الخاصة بالتصوير بالأشعة دون الحمراء ، وقام الخبراء بالتقاط الصور من زاوية غير تقليدية ، حتى لا تسقط أقمار الرصد الرقمية فى مجال انعدام الـ ...

قاطعه القائد الأعلى ، فى توتر ملحوظ :

ـ النتائج يا دكتور (جلال) .. النتائج .. المفترض أنك المسئول عن التفاسير العلمية وليس أنا .

تنحنح الدكتور (جلال) مرة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ لقد بدت صور الأحراش عادية فى البداية ، وكل محاولات التكبير لم تسفر عن شىء ، فالأشجار والأغصان متشابكة إلى حد عجيب ، بحيث تحجب الرؤية تمامًا ، بالإضافة إلى أن كل الفتحات التى عثر عليها الخبراء ، كانت مظلمة إلى حد مدهش ، يتنافى مع كوننا فى منتصف النهار ، بتوقيت ذلك البلد الإفريقى بالطبع ، أما صور أفلام الأشعة دون الحمراء ، فقد حملت إلينا تلك المفاجأة ، الموجودة بالصور التى تطالعها يا سيادة القائد .

تطلَّع القائد الأعلى إلى الصور مرة أخرى ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ أيبدو لك كل هذا جوابًا لسؤالى .

تنحنح الدكتور (جلال) مرة ثالثة ، على نحو مستفز ، ثم أشار إلى الصور ، قائلاً :

ـ هناك نقاط عشوائية ، تصدر انبعاثًا حراريًا أعلى من المتوقَّع ، ولفترات قصيرة نسبيًا ، وهى التى تبدو كبقع حمراء داكنة فى الصور ، وتلك الانبعاث الحرارى ليس ناشئًا عن إشعال نيران أو ما شابه ، ولكنه أقرب إلى عمليات حيوية ، تتم بصورة فائقة للمألوف ، وفى الوقت ذاته نلاحظ انبعاثًا حراريًا ثابتًا نابضًا من الأحراش غير القابلة للرصد الرقمى كلها ، دون سواها من الأحراش المجاورة ، و ...

قاطعه القائد الأعلى مرة أخرى ، وقد نفد صبره بحق :

ـ النتائج يا دكتور (جلال) .. النتائج .

تنحنح الدكتور (جلال) لمرة رابعة ، على نحو أدهش القائد الأعلى ، فتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يسأله فى شىء من الصرامة :

ـ ما الذى تخشى التصريح به بالضبط ؟!

لوَّح الدكتور (جلال) بيده ، وهو يقول فى توتر :

- لقد عرضت الصور على أفضل ما لدينا من خبراء ، ثم لم أكتف بهذا ، فقمت بعرضها على ثلاث مجموعات منفصلة ، و ...

قاطعه القائد الأعلى للمرة الثالثة ، وفى صرامة شديدة :

- وكيف جاءت النتائج ؟!

ازدرد الدكتور (جلال) لعابه هذه المرة ، وهو يجيب فى خفوت :

- حية .

مال القائد الأعلى نحوه ، وأمال أذنه إليه ، متسائلاً :

- ماذا ؟!

ازدرد الرجل لعابه مرة أخرى ، قبل أن يجيب بصوت واضح ، وعلى نحو أكثر حسمًا وحزمًا :

- تلك الأحراش حية .. ليس كغابة كثيفة من النباتات ، ولكن كمخلوق حى كامل .

واتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ..

وسرت فى جسده ارتجافة باردة كالثلج ..

ارتجافة تمنت لو أن كل حرف سمعه لم يكن حقيقة ..

هذا لأن الأمر كان مذهلاً ..

مذهلاً بحق ..

* * *

« أين ذهبوا ؟! » ..

صرخ (أكرم) بالسؤال ، بكل ما يملأ أعماقه من غضب وثورة وانفعال ، ثم راح يدور حول نفسه ، رافعًا مسدسه فى تحفز ، وهو يصرخ :

- (مشيرة) .. أين أنت ؟! ماذا فعلوا بك ؟!

لم يكن (نور) أقل منه غضبًا وانفعالاً ، إلا أن عينيه كانتا تدوران فى المكان فى توتر بلا حدود ، بحثًا عن أى شىء يمكن أن يحمل تفسيرًا لما حدث ، أو توضيحًا لما أصاب زوجته وابنته وفريقه ..

وتركزت عيناه على المدفع المحترق ، فاندفع نحوه ، وانحنى يفحصه فى عصبية ، قبل أن يقول :

- هذه المدافع مصنوعة من مزيج من الألومنيوم والتيتانيوم ، ومعالجة بحيث تتحمل درجات حرارة تصل إلى ألفى درجة مئوية ، وحتى تذوب أطراف هذا المدفع ، وتلتوى على هذا النحو ، لابد أن تتعرض لدرجة حرارة تبلغ ثلاثة آلاف درجة مئوية تقريبًا :

تجاهل (أكرم) حديث (نور) ، وهو يصرخ فى انفعال :

- أين أنت يا (مشيرة) ؟! أين أنتم جميعًا ؟!

أطلق (نور) شهقة مفاجئة هذه المرة ، مما أجبره على الالتفات إليه ، وهو يصرخ :

- هل .. هل عثرت على شىء ؟!

هتف به (نور) ، فى صوت يحمل انزعاج الدنيا كلها :

- شىء بشع .. بشع للغاية !

وثب (أكرم) نحوه بكل انفعاله ، ورآه يشير إلى شىء يختفى وسط الأوراق الجافة ، وهو يقول فى توتر بلا حدود :

- لقد كان مختفيًا بين الأوراق ، فلم أنتبه إليه إلا فى هذه اللحظة .

مال (أكرم) ليلقى نظرة على ما يشير إليه (نور) ، ولم يكد يفعل حتى سرت فى جسده انتفاضة قوية ، وصرخت معدته ، وكأنما ترغب فى إفراغ كل ماتحتويه ، وهو يهتف :

- يا للبشاعة !

فذلك الشىء كان طرف حذاء جلدى محترق ، بداخله بقايا قدم بشرية ، اسودت أطرافها بفعل نيران هائلة ، التهمت جسد صاحبها كله على الأرجح ، فلم تترك منه سوى هذا ..

وبكل التوتر والانفعال ، هتف (أكرم) :

- كيف حدث هذا ؟!

أجابه (نور) فى توتر أكثر :

- الشيء الذى أذاب مدفع هذا المسكين ، بخَّر معه جسده كله ، وهذا يعنى أن شيئًا يطلق حرارة هائلة ، لايمكن لعقولنا تصوُّرها .

اتسعت عينا (أكرم) فى ارتياع ، وبدا كالمصعوق ، وهو يفحص الأرض حوله فى ذعر ، هاتفًا :

- رباه ! (مشيرة) .. (سلوى) .. (نـ ...

هب (نور) ، صائحًا فيه فى صرامة :

إياك أن تنطقها .

إلا أنه لم يستطع منع نفسه من التلفُّت حوله بدوره ، وهو يستطرد فى عصبية شديدة :

- إنهم هنا فى مكان ما .. أحياء .

صاح به (أكرم) فى غضب :

- وكيف يمكنك الجزم ؟!

صاح (نور) :

- أنا واثق من هذا .

اندفع (أكرم) نحوه ، هاتفًا فى حدة :

- وما مصدر ثقتك هذه ؟!

قالها ، وهو يطوّح قبضته نحو فك (نور) ، الذى تراجع متفاديًا اللكمة ، وهو يهتف فى دهشة عصبية :

- رويدك يا رجل ! لست خصمك هنا .

خُيِّل إليه أن (أكرم) لم يسمعه ، وهو ينقض عليه فى عنف ، ويقبض على سترته فى غضب ، صائحًا :

- أنت المسئول عن كل هذا .. أنت الذى أتيت بهم إلى هذا الجحيم .. أنت الـ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، هوى (نور) على معدته بلكمة كالقنبلة ، شهق لها (أكرم) فى عنف ، وانثنى معها جسده فى زاوية قائمة ، فاحتواه (نور) بين ذراعيه ، هاتفًا :

ـ معذرة ياصديقى .. معذرة .. كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة لإخراجك من حالة الغضب الجنونى هذه .

لهث (أكرم) فى شدة، وهو يردد :

ـ الغضب الجنونى ؟!

ثم رفع عينيه إلى (نور) ، متسائلاً فى حيرة متوترة :

ماذا فعلت يا (نور) ؟! ماذا فعلت ؟!

أجابه (نور) ، وهو يعاونه على الاعتدال :

ـ كنت غاضبًا بشدة ، واتهمتنى بأننى المسئول عن كل ما يحدث ، ثم حاولت لكمى ، و ...

قاطعه (أكرم) ، بصرخة تحمل كل دهشة واستنكار الدنيا :

ـ أنا ؟!

قالها ، ورفع يده إلى جبهته ، مستطردًا فى توتر شديد :

ـ رباه ! لست أذكر شيئًا من هذا قط .. لقد كنت أحدق فى بقايا القدم والحذاء المحترقين ، عندما فوجئت بك تلكمنى فى معدتى بقوة ! رباه ؟ لست أذكر أننى قد هاجمتك .

انعقد حاجبا (نور) ، وعاد يتلفت حوله ، مغمغمًا فى عصبية :

ـ إنه يحاول السيطرة على عقولنا .. يحاول دفعنا إلى قتل بعضنا بعضًا .

هتف (أكرم) وهو يلتقط مسدسه ، الذى سقط من يده ، مع لكمة (نور) :

ـ لاينبغى أن نسمح له بهذا يا (نور) ، حتى ولو ...

قبل أن يتم عبارته ، أو تبلغ أصابعه مسدسه ، حدث بغتة ذلك الأمر الرهيب ..

يد سوداء جافة ، أشبه بيد جثة دفنت منذ زمن طويل ، اندفعت من قلب الأرض ، ومن بين الأوراق الجافة والطين الرطب ، لتقبض على معصمه بأصابع كالفولاذ ..

وعلى الرغم منه ، انطلقت من حلق (أكرم) صرخة ذعر :

- (نور) .. النجدة .

حدّق (نور) فى ذهول فى تلك اليد المعروقة السوداء ، التى جذبت (أكرم) إلى الأرض فى قوة ، وكأنها تسعى لسحبه معها فى أعماقها ، ثم استلّ مسدسه الليزرى فى سرعة ، وهو يصرخ :

- تماسك يا (أكرم) .. تماسك .

أطلق أشعة مسدسه الليزرى نحو تلك اليد السوداء مرة ..

و ثانية ..

و ثالثة ..

وفى كل مرة ، كانت تلك اليد تتألق أكثر ..

و أكثر ..

و أكثر ..

الضوء المنبعث منها صار يغشى الأبصار ، وكأنها تختزن طاقة أشعة مسدس (نور) كلها ، ثم تطلقها على هيئة ضوء مبهر ..

ولكنها لم تتوقّف عن جذب (أكرم) ، الذى راح يقاوم فى استماتة ، وقد التصق كتفه بالأرض فعليًا ، وراح يغوص فيها على نحو مؤلم ..

وبحركة معقّدة ، تحتاج إلى مرونة قصوى ، مال (أكرم) على ظهره ، وأدار يده الحرة ، وصرخ من شدة الألم ، وهو يجبرها على اتخاذ زاوية تشريحية مستحيلة ، قبل أن يلتقط بها مسدسه ، ثم يعود إلى وضعه الأوّل ، ويلصقه بمعصم تلك اليد السوداء المعروقة ، التى تواصل جذبه بقوة وهو يصرخ :

- تُرى هل ستضىء بهذا أيضًا أيها الوغد ؟!

قالها ، وضغط زناد مسدسه ، لتنطلق منه الرصاصات فى سخاء ، مخترقة المعصم الأسود الجاف و(أكرم) يؤازرها بصرخات عالية ، يفرغ بها وفيها كل توتره وانفعاله ..

وعلى وجهه تناثر سائل أسود ساخن لثوان ، قبل أن ينفصل المعصم دفعة واحدة ، فيتراجع جسد (أكرم) كله ، ليسقط على ظهره ، على بعد متر واحد ، ويلهث فى عنف ، صارخًا :

- فعلتها .. فعلتها يا (نور) .. مزقت ذلك الوغد .

تلاشى ضوء اليد ، التى مازالت أصابعها تقبض على معصم (أكرم) ، فى سرعة ، فى حين انسحب الجزء الآخر منها داخل الأرض ، واختفى فيها ، تاركًا خلفه بركة صغيرة من سائل أسود لزج سميك ، يشبه ذلك الذى تحولت إليه دماء الدكتور (مينا) ، بعد أن لدغه ذلك العقرب الوهمى(*) ..

وفى توتر بالغ ، نقل (نور) بصره بين البقعة السوداء ، واليد المقطوعة ، التى مازالت حول معصم (أكرم) ، الذى نهض هاتفًا فى انفعال :

- فعلتها .. مرة أخرى أثبت أن الرصاصات أكثر جدوى من أشعة الليزر .. أرأيت يا (نور) .. أرأيت ؟!

(*) راجع قصة (فودو) .. المغامرة رقم ١٣٥

أجابه (نور) فى صرامة عصبية :

- أرأيت أنت أن مايحيط بمعصمك لم يعد حتى يشبه أى يد ؟!

رفع (أكرم) معصمه إلى وجهه بحركة حادة ، وانطلقت من حلقه شهقة مكتومة ، وهو يحدق فى مجموعة من الأغصان الجافة القديمة ، تلتف حول معصمه ، فهتف فى عصبية ، وهو يحاول انتزاعها فى عنف :

- أى عبث شيطانى هذا ؟!

التقى حاجبا (نور) فى غضب هادر ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، ثم يرفعهما فى التفافة عالية طويلة ، قبل أن يصرخ :

- ماذا تريد منا ؟!

هتف به (أكرم) منزعجًا :

- (نور) .. ماذا أصابك ؟!

صرخ (نور) مرة أخرى ، وهو يحدق فى قمم الأشجار العالية :

- ماذا تريد منا ؟!

انطلقت صرخته ، كما لو أنها تشقّ طريقها وسط ذلك الظلام الشيطانى ، وتتجاوز قمم الأشجار ، لتتحوّل إلى نغمة تنبعث من مشهد متكامل للأحراش ، مطبوع على رقعة جلدية كبيرة ، معلّقة على أحد جدران ذلك المعبد الفرعونى المزدوج ، وحولها عظام بشرية ، وحلى خاصة بعقيدة (الفودو) ، وأسفلها تلك الجمجمة غير البشرية ، وأمامها يقف ذلك الكاهن الرهيب ، بعينين تتألقان على نحو شيطانى عجيب ، وكأنما يستمتع بكل حرف غاضب صرخ به (نور) ..

وفى بطء انحنى يلتقط تلك الجمجمة ، وتطلّع إلى عينيها بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يرفعها بيده عاليًا ، ويتضاعف تألُّق عينيه بشدة ، ثم تنبعث من بين شفتيه كلمات عجيبة ..

كلمات لا تشبه أية لغة معروفة ، على كوكب الأرض كله ..

أو حتى أية لغة عرفها التاريخ القديم ..

كلمات ، بدا من قوتها وكأن جدران المعبد كله ترتجف معها ..

كلمات غاصت وسط رقعة الجلد المطبوعة ، لتنهمر من قمم الأشجار ..

ومع انهمارها ، راحت كل الأشجار المحيطة بـ(نور) و(أكرم) تتألّق ..

وتتألّق ..

وتتألّق ..

وهتف (أكرم) وهو يدير مسدسه فيما حوله ، فى عصبية بالغة :

- ماذا يحدث الآن ؟!

دار (نور) حول نفسه بدوره ، وهو يهتف :

- يمكنك أن تتوقّع أى شىء .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، مع إضافته :

- أى شىء .

مع آخر حروف كلماته ، تموّجت كل الأشجار المحيطة بهم ، كما لو أنها صور تهتزّ على سطح الماء ، فغمغم (أكرم) ، بكل عصبية الدنيا :

- والآن ماذا ؟!

فى اللحظة التالية مباشرة لقوله ، حدث ذلك الأمر ..

لقد كان (نور) و(أكرم) يتوقعان حدوث أى شىء فى الدنيا ، حتى أكثر الأمور عجبًا .

ولكن ليس ما حدث بالفعل ..

فما حدث كان مذهلاً ..

ورهيبًا ..

ومخيفًا ..

إلى آخر مدى ..

* * *

فجأة انتفضت (سلوى) فى قوة ، وهى تستعيد وعيها ..

وما إن فعلت ، وفتحت عينيها ، حتى انطلقت من حلقها شهقة رعب قوية ..

ليس لأنها قد رأت ما فجّر رعبها ، ولكن لأنها لم تر شيئًا ..

على الإطلاق ..

لقد كان يحيط بها ظلام دامس رهيب ، لم تر فى عمرها كله ما هو أشد منه حلوكة وإظلامًا ..

وكانت مقيّدة المعصمين برباط رطب لزج ، إلى عمود من الخشب ونقاط من سائل بارد كالثلج تتساقط على رأسها وكتفيها ..

وعلى الرغم من هذا ، فلم تكد تطلق شهقتها حتى سمعت صوت (نشوى) ، على مسافة قريبة منها ، تهتف فى لهفة :

- أمى .. هل استعدت وعيك ؟!

حاولت بكل جهدها أن تخترق ذلك الظلام الدامس الرهيب ، وهى تهتف :

- (نشوى) .. أأنت هنا يا بنتى ؟!

أتاها صوت الدكتور (حجازى) ، يقول فى عصبية :

- كلنا هنا يا (سلوى) .

وأضاف (رمزى) فى توتر بالغ :

- كنا كلنا هنا ، حتى أخذوا الدكتور (رمسيس) .

سألته فى خوف ، ضاعفه الظلام الرهيب :

- من أخذوه ؟! ولماذا ؟!

أجابها الدكتور (عبادة) ، بصوت أقرب إلى البكاء :

- لسنا ندرى .. إننا لم نر شيئًا .. ولسنا ندرى حتى كيف أمكنهم هم أن يروا ، ولا ما طبيعتهم ..

وبدا وكأنه انخرط فى البكاء بالفعل لبضع لحظات ، قبل أن يتابع ، فى صوت أقرب إلى الانهيار :

- لسنا ندرى حتى إذا كانوا بشرًا أم مجرد وحوش ، كتلك التى كادت تفتك بنا ، فى قلب الأحراش ..

وانتحب لحظة ، قبل أن يضيف فى ذعر مرير :

- لقد سمعنا وقع أقدامهم الثقيلة ، وهم يدخلون إلى هنا فى قلب الظلام ، ثم سمعنا الدكتور (رمسيس) يصرخ ، ويناشدهم تركه بيننا ، ولكنهم سحبوه فى قسوة إلى الخارج ، وهو يصرخ .. ويصرخ .. ويصرخ .. حتى تلاشى صوته بعيدًا .

ارتجف جسدها وصوتها ، وهى تتساءل فى هلع :

- تُرى ماذا فعلوه به ؟!

أجابها أحد المقاتلين ، اللذين تبقيا على قيد الحياة :

- إنه لم يعد أبدًا .

ارتجف جسدها بعنف أكثر ، مع المغزى الواضح لعبارته ، وغمغمت فى رعب سيطر على كل مشاعرها ، وسط ذلك الظلام الدامس للغاية :

- رباه ! ماذا سيفعلون بنا ؟!

ثم تذكَّرت زوجها فجأة ، فهتفت :

ـ ولكن أين (نور) ؟!

أتاها صوت (مشيرة) ، وهى تبكى بحرقة وسط الظلام ، قائلة :

ـ (نور) و(أكرم) لم يعودا .. والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما إذا كانا على قيد الحياة ، أو حتى يعرفان أين نحن !

هتفت (سلوى) فى ارتياع بلا حدود :

ـ لا .. لايمكن أن نفقدهما .. مستحيل !

قال المقاتل الآخر ، فى ألم ومرارة :

ـ كان المفترض أن نحمى الجميع ياسيّدتى ، ولكننا سقطنا معكم .. حتى ذراعى ، أشعر وكأنها تنفصل عن جسدى ، من فرط الألم والعذاب ، ومن المؤكد أنها عادت تنزف بغزارة ، على الرغم من الضمادات المحيطة بها ؛ فأنا أشعر بالدماء الساخنة تسيل على أصابعى .

قال الدكتور (حجازى) بكل توتر :

ـ لقد فعلتم كل ما بوسعكم يارجل .. كلنا لن ننسى أبدًا شجاعة زميلكم ، الذى دافع عنا بحياته ، قبل أن يحترق مع سلاحه ، على ذلك النحو البشع .

تنهّد المقاتل ، وقال فى مرارة :

ـ وبِمَ أفاد هذا .

هتفت (سلوى) :

ـ المهم الآن هو أين (نور) و(أكرم) .. ماذا أصابهما ؟! ماذا حدث لهما ؟!

صاح الدكتور (عبادة) فى غضب عصبى :

ـ أتفكرين فى (نور) و(أكرم) الآن ، ونحن نواجه الموت فى كل لحظة ؟!

صاحت به (سلوى) فى غضب :

ـ ليس الموت وحده .. إننا نواجه الأنانية والسلبية أيضًا يا دكتور (عبادة) .

هتف بها الدكتور (حجازى) فى صرامة :

ـ هذا ليس وقت الصراعات الشخصية .

قال الدكتور (عبادة) فى عصبية :

ـ مرها إذن بـ ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، عندما التقطت أذناه وقع تلك الأقدام الثقيلة ، التى اقتحمت المكان فى غلظة ، وراح جسده يرتجف فى رعب ، وهو يتمتم :

ـ أرجوكم .. ليس أنا .. ليس أنا .

كان الوحيد الذى اخترق صوته الظلام ، فبخلاف وقع الأقدام الثقيلة ، حبس الكل أنفاسهم ، وقد اشترك الظلام والخوف فى صنع ارتجافة عجيبة ، شملت أجسادهم كلها ، من قمم رءوسهم ، وحتى أخامص أقدامهم ، وكل منهم يتساءل بكل قلق الدنيا : من الضحية التالية ؟!

من ؟!

ثم فجأة ، انطلقت صرخة رعب ، ترج المكان كله :

ـ لا .. لا ..

فى تلك اللحظة فقط ، علم الكل من الضحية الجديدة ..

وكانت لحظة رهيبة ..

بحق .

* * *



٦ ـ المجهـول ..

رسم وزير خارجية ذلك البلد الإفريقى على شفتيه، بصعوبة بالغة، ابتسامة كبيرة، وهو يستقبل السفير المصرى فى مكتبه، ويدعوه إلى الجلوس، قائلاً :

ـ مرحبًا بك كثيرًا هنا ياسيادة السفير؛ فقليلة هى المرات التى جمعتنا معًا، منذ تسلمت عملك فى بلادنا .

ابتسم السفير المصرى ابتسامة مدروسة، وهو يقول :

ـ هذا من سوء حظى ياسيادة الوزير .

شعر وزير الخارجية الإفريقى بالإرهاق، من اضطراره لحمل هذه الابتسامة الكبيرة، فقال فى ضجر متوتر :

ـ مطالبك ياسيادة السفير .

أجابه السفير فى سرعة، وكأنما كان ينتظر السؤال منذ البداية :

ـ بعثتنا .

لم يستطع الوزير حمل ابتسامته أكثر من هذا، فتركها تتهاوى وسط ملامحه المتجهمة، وهو يقول فى صرامة :

ـ بعثتكم تعرضت لحادث متوقع، فكل مخلوق هنا يدرك خطورة الاقتراب من (أرض الأرواح الخالدة) وليس لدى أدنى شك فى أن مخابراتكم العلمية قد نهشت الأمر فحصًا وتمحيصًا، وأنكم قد صورتم المنطقة ألف مرة على الأقل، بوساطة أقماركم الصناعية الراصدة، مما يجعلك تدرك تمامًا حقيقة ما أقوله .

تجاهل السفير كل هذه المحاضرة، وهو يقول فى هدوء :

ـ بلغنا رسميًا أنكم قد أرسلتم فريق بحث خاصًا .

قال الوزير فى سرعة وعصبية :

ـ هذا صحيح .

ابتسم السفير ابتسامة العارف ببواطن الأمور ، على نحو أثار أعصاب الوزير أكثر ، وجعله يضيف فى حدة :

ـ ولدى كل ما يثبت هذا .

فتح السفير حقيبته دون تعليق ، والتقط منها ورقة تحمل خاتم رياسة الجمهورية في (مصر) وناول الوزير إياها ، الذى التقطها ، قائلاً فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أجابه السفير المصرى فى هدوء شديد :

ـ طلب رسمى من حكومتى ، بانضمام اثنين من رجال أمننا إلى فريق بحثكم .

انعقد حاجبا الوزير فى شدة ، وهو يقول فى حنق :

ـ مستحيل !

سأله السفير بنفس الهدوء :

ـ ولماذا مستحيل ياسيادة الوزير ؟! المفترض ، وفقًا لآخر قرارات مؤتمر وزراء الداخلية والأمن الأفارقة ، أنه هناك تعاون قانونى وأمنى بيننا ، يسمح لنا بـ ..

قاطعه الوزير فى عصبية شديدة :

ـ هذا الأمر يختلف .

سأله السفير فى هدوء ، تسللت إليه نبرة صارمة :

ـ فيم ؟!

هبَّ الوزير من مقعده ، وبدا ثائرًا إلى الحد الأقصى ، وهو يصرخ :

ـ فى أنه يمس معتقدات وطنية قوية .

لم تبد على السفير لمحة واحدة من التأثر ، وهو يقول :

ـ سيِّدى الوزير ، بحكم منصبك ، لايمكنك أن تجازف بالعلاقة بين دولتين ، لسبب بسيط كهذا .

صرخ الوزير فى حدة :

ـ سبب بسيط ؟!

اندفع طاقم الأمن المسئول عن حمايته إلى الحجرة ، شاهرين أسلحتهم ، وقد تصوَّروا أنه يواجه خطرًا ما ، فصاح فيهم غاضبًا :

- من دعاكم للدخول ؟! انتظروا بالخارج .. هيا .

بدت دهشة حائرة على وجوه الرجال ، فصرخ فى غضب أكثر :

- فى الخارج .

ابتسم السفير المصرى ، عندما تسارع الرجال إلى الخارج فى فزع ، وقال ، دون أن يفقد هدوءه العجيب :

- الرجال يحاولون حمايتك فحسب .

قال الوزير فى حدة :

- كان الأوفق أن آمرهم بإطلاق النار عليك .

ضحك السفير ، قائلاً :

- كان هذا سيتسبَّب فى أزمة دبلوماسية حتمًا .

خففت الضحكة والدعابة من توتر الموقف بعض الشىء ، فعاد الوزير يجلس على مقعده ، ويلتقط نفسًا عميقًا لتهدئة أعصابه ، قبل أن يقول :

- المعتقدات المحلية لدينا أمر لا يمكنكم فهمه أو استيعابه فى (مصر) ؛ فقد اعتدتم هناك الارتباط بعقائدكم ورموزكم الدينية وحدها ، أما هنا ، فالناس تنشأ على معتقدات أسطورية ، آمن بها الأقدمون إيمانًا عميقًا ، حتى صارت جزءًا من تكوينهم ، والمساس بها من قريب أو بعيد ، قد يسبِّب كارثة ، لا يعلم مداها إلا الخالق وحده .

مال السفير نحوه ، وقال :

- عظيم .. يمكننا إذن أن ندس واحدًا من رجال أمننا فحسب ، وسط فريق البحث ، الذى يجوب الأحراش خلف بعثتنا المفقودة ، دون أن نعلن من هذا ، أو نفصح حتى عن هويته .

ثم تراجع بابتسامة لم ترق للوزير أبدًا ، وهو يستطرد :

ـ بهذا نتفادى المشكلة .

رمقه الوزير بنظرة طويلة صامتة ، قبل أن يغمغم :

ـ بالتأكيد .

ثم نهض معلنا نهاية المقابلة ، وهو يمدّ يده للسفير المصرى ، قائلاً فى حزم :

ـ سأتشاور مع معاونىّ ، وأعرض الأمر على سيادة الرئيس ، ثم نبلغكم ردنا الرسمى ، فى أسرع وقت ممكن .

لم يتبادلا كلمة إضافية ، حتى انصرف السفير المصرى ، فجلس وزير الخارجية بضع دقائق مفكرًا ، قبل أن يضغط أزرار هاتف الفيديو الخاص على مكتبه ، ولم يكد يرى وجه وزير الداخلية على شاشته ، حتى قال فى توتر :

ـ إنهم يعلمون أننا لم نرسل فريق بحث حقيقيًا .

سأله وزير الداخلية فى اهتمام شديد :

ـ المصريون ؟!

أومأ وزير الخارجية برأسه إيجابًا ، ثم قال فى عصبية :

ـ سفيرهم غادر مكتبى منذ لحظات ، ولقد أتى ليضعنا فى موقف حرج ، حتى نضطر إلى إرسال فريق بحث فعلى ، أو الاعتراف بأننا لن نفعل هذا أبدًا .

تراجع وزير الداخلية فى مقعده ، وبدا شديد التوتر ، وهو غارق فى تفكير عميق ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ لابد أن ينتهى هذا الأمر بأسرع وقت ممكن .

زفر وزير الخارجية ، وقلب كفيه ، قائلاً :

ـ ومن يملك أمرًا كهذا ؟!

قال وزير الداخلية فى عصبية :

ـ أبلغه بما يحدث .. اذهب إليه ، وأبلغه .

صاح وزير الخارجية :

ـ هذا ليس سهلاً .

واستطرد فى مرارة :

ـ ثم من قال : إنه يبالى ، حتى ولو أشعلوا فينا النار جميعًا ؟!

وأسقط فى أيديهما معًا ..

فالموقف ، بالنسبة لهما ، كان عسيرًا ..

عسيرًا بحق ..

* * *

من المؤكد أن ما حدث هناك ، فى أعماق تلك الأحراش الرهيبة ، كان أمرًا خارقًا للمألوف بكل المقاييس ..

أمر لايمكن أن يقبله العلم ..

أو العقل ..

أو المنطق ..

فأمام عيون (نور) و(أكرم) ، تموّجت كل الأشجار المحيطة بهم ، وهى تتألق بضوء فسفورى قوى ..

ثم فجأة ، خبا ضوؤها أو كاد ..

وتحركت ..

نعم .. الأشجار تحولت إلى أجسام نباتية متحركة ، كما لو أن الحياة قد دبّت فى جذوعها وأغصانها فجأة ، واتجهت كلها نحو (نور) و(أكرم) ..

ومن كل الاتجاهات ..

وبكل انفعاله ، راح (أكرم) يطلق النار على الأشجار المتحركة ، وهو يصرخ :

ـ لا .. مستحيل ! مستحيل !

وبحركة غريزية ، ألصق ظهره بظهر (نور) ، كعادتهما كلما واجها خطرًا بلا حدود ، ثم راح كل منهما يطلق مسدسه فى غزارة ، وهما يدوران حول بعضهما ..



وبحركة غريزية ، ألصق ظهره بظهر (نور) ، كعادتهما كلما واجها خطرًا بلا حدود ..

والعجيب أن الأشجار لم تتألق هذه المرة ، بتأثير أشعة مسدس (نور) الليزرى القوى ..

وأيضًا لم تسقط ..

لقد أصابتها خيوط أشعة (نـور) ، ورصاصـات (أكرم) ، وتركت فيها عشرات الثقوب والفجـوات المحترقة ..

ولكنها لم تسقطها ..

وفى بطء مخيف ، راحت تقترب منهما ..

وتقترب ..

وتقترب ..

وفى عصبية يائسة ، هتف (أكرم) :

ـ رصاصاتى شارفت على النفاد بلا طائل .

غمغم (نور) فى عصبية مماثلة :

ـ وطاقة مسدسى أيضًا .

لم يكد ينطقها ، حتى انعقد حاجباه فى شدة ، وتوترت كل خلية فى جسده ، وتطلع إلى مسدسه فى تركيز عجيب ، قبل أن يخفضه ، قائلاً فى صرامة :

- إنه يعبث بنا .

هتف به (أكرم) ، فى عصبية شديدة :

- ماذا ؟!

صاح (نور) بكل قوته :

- إنه يعبث بنا .

ثم أعاد مسدسه إلى غمده ، واتجه نحو إحدى الأشجار مباشرة ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يوليها ظهره ، مواصلاً :

- إنه لايسعى لقتلنا .. لو أرادها لفعلها منذ البداية .. إنه يعبث بنا ويخاوفنا فحسب .

صاح (أكرم) فى ارتياع ، والشجرة الحية تواصل تقدمها نحو (نور) ، وتفرد أغصانها ، وكأنما تهم باقتناصه :

- (نور) .. هل جننت ؟!

انتزع (نور) مسدسه الليزرى مرة أخرى ، وهتف :

- هل ترى هذا المسدس ، الذى أطلق أشعته على كل شىء ، منذ واجهنا الخطر هنا ؟! إنه يختلف تمامًا عن مسدسك .

اتسع عينا (أكرم) فى رعب ، والشجرة الحية تفرد أغصانها على جانبى جسد (نور) بالفعل ، واندفع نحوه صائحًا :

- استعد وعيك يا صديقى .. ليس هذا وقت عقد المقارنات بين سلاحينا .

تابع (نور) بنفس القوة والصرامة ، وكأنما لم يعد يشعر بأى شىء مما يحدث من حوله :

- مسدسك يعتمد على آلية ميكانيكية ، يجرى تطويرها ، منذ نهاية القرن الثامن عشر ، أما مسدسى ، فهو جهاز إليكترونى متكامل ، مهمته إنتاج كمية محدودة من الضوء ، ثم استغلال كل طاقتها فى شعاع واحد من الليزر .

بدأت الأغصان القوية تلتف حول جسد (نور) بالفعل ، فصاح (أكرم) مذعورًا :

- (نور) .. ابتعد يا صديقى .. ابتعد بالله عليك .

ولكن (نور) بدا وكأنه قد غرق بمشاعره كلها فيما يقوله ، حتى لم يعد يشعر بما يحدث حوله ، وهو يتابع فى صرامة وقوة وانفعال :

- ووفقًا لما أصاب كل المعدات والأجهزة الإليكترونية الأخرى ، كان ينبغى أن يتعطَّل هذا المسدس أيضًا ، ولكن هذا لم يحدث .

ثم لوَّح بالمسدس ، مستطردًا فى حدة :

- فما الذى يمكن أن يعنيه هذا بالضبط ؟!

أحاطت به الأغصان القوية فى هذه اللحظة ، وانتزعته من الأرض فى قوة ، فصرخ (أكرم) فى ارتياع ، وهو يطلق رصاصات مسدسه الأخيرة عليها فى غزارة :

- لا .. ليس (نور) .. ليس (نور) .

ولكن (نور) صرخ فى قوة :

- لا تجعل هذا يفزعك .. إنه مجرَّد وهم .. خداع .. الغرض الوحيد منه هو تحطيم أعصابنا و ...

ولكنه أدرك بغتة أن نظريته ليست صحيحة على الإطلاق هذه المرة ..

فلقد أحاطت به الأغصان القوية ، واعتصرته إلى جذع الشجرة بطاقة رهيبة ، كاد صدره يتحطَّم معها ، فصرخ :

- آه .. لا .. لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًا .

صرخ (أكرم) بدوره :

- ليس (نور) .. يا إلهى ! ليس (نور) .

كان قد أطلق آخر رصاصة ، فى آخر خزانة لمسدسه ، لذا فلم يجد أمامه سوى أن يعيد مسدسه إلى غمده ، وأن يقفز محاولاً تخليص (نور) من تلك الشجرة الحية ، التى تكاد تسحقه فى جذعها ..

ولكن فجأة ، أحاطت به أغصان قوية أخرى ..

وبكل قوته وانفعالاته راح (أكرم) يقاتل ، ويقاوم باستماتة ، وتلك الأغصان القوية تعتصر جسده ، وتخنق أنفاسه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وأمام عينيه الزائغتين ، شاهد (نور) يفقد الوعي ، بين أغصان الشجرة الأخرى ، فصاح :

ـ لا .. ليس (نور)

ثم أظلمت الدنيا كلها أمام عينيه ، وهوى عقله في بئر عميقة ..

بلا قرار ..

* * *

« ترى من التالى ؟! »

ألقى الدكتور (حجازى) السؤال بصوت مرتجف ، عجز عن كتمان انفعالاته ، وسط ذلك الظلام الدامس ، والرائحة الرطبة المتزايدة ، وذلك السائل المثلج اللزج ، الذى يتساقط على أجسادهم طوال الوقت ، فغمغم (رمزى) فى صوت حاول أن يجعله رصينًا هادئًا ، إلا أنه خرج ، على الرغم منه ، بطيئًا مرتعدًا :

ـ أظنه أنا ؟!

هتفت (نشوى) فى ارتياع :

ـ لا يا (رمزى) .. لا تقل هذا .

بذل جهدًا أكثر ؛ للسيطرة على مشاعره ، وهو يقول :

ـ للأسف ، إنه الترتيب المنطقى يا زوجتى العزيزة .. لقد أخذوا الدكتور (رمسيس) بساقه المكسورة ، وإصابات فخذه أولًا ، ثم الدكتور (عبادة) بساقه الممزقة ، وتلاه ذلك المقاتل بذراعه النازفة ، فما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) بصوت خافت بائس :

ـ أنهم يفضلون المصابين .

غمغم المقاتل المتبقى :

ـ أو أنهم كالوحوش المفترسة .

سألته (سلوى) فى رعب :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابها فى خفوت :

ـ تجتذبهم رائحة الدم .

صرخت (مشيرة) فى رعب :

ـ أتعنى أنهم .. أنهم ..

لم تستطع إتمام عبارتها ، فأكملها الدكتور (حجازى) بصوته المرتجف ، الذى يحمل كل أمارات الإجهاد والتعب والانفعال :

ـ أكلة لحوم بشر ! نعم .. هذا احتمال وارد ، فى منطقة تحكمها عقائد سحرة (الفودو) ..

منعهم الظلام من رؤية شحوب وجه (نشوى) الشديد ، وإن اشتموه فى نبرات صوتها ، وهى تقول :

ـ لايمكن أن تنتهى حياتنا فى بطون شرذمة من المتوحشين البدائيين .. لايمكن .

غمغم الدكتور (حجازى) فى مرارة :

ـ منذ بدأنا هذا الأمر ، أصبح كل شىء ممكنًا يا بنيتى .

ارتجف صوت (سلوى) بشدة ، وهى تقول :

ـ لايمكن أن تبلغ الأمور هذا الحد .

قالت (مشيرة) فى انهيار :

ـ لقد بلغته بالفعل أيتها العبقرية .

صاحت (سلوى) :

ـ مستحيل ! (نور) سينقذنا فى اللحظة الأخيرة ، كما يحدث دومًا .

أطلقت (مشيرة) ضحكة عصبية عالية ، بدت مقيتة للغاية فى قلب الظلام ، قبل أن تهتف :

- ومن أدراك أن (نور) لم يكن وجبتهم الرئيسية اليوم، قبل أن يصنعوا من زملائنا بعض الحلوى والمشهيات ؟!

صرخت فيها (سلوى):

- اخرسى.

وهتفت (نشوى):

- لاتنسى أن زوجك قد اختفى مع (نور).

انفجرت (مشيرة) باكية فى مرارة، وهى تصرخ:

- ومن قال: إن زوجى قد نجا ؟! من يتصوّر أن أحدًا منا سينجو من هذا الجحيم الرهيب ؟! لو لم تلاحظوا، دعونى أفتح عيونكم على الواقع .. إنها نهايتنا أيها السادة .. نهايتنا جميعًا.

ارتفع صوتها، وهى تبكى وتنتحب فى شدة، فغمغم (رمزى) فى قلق:

- يا للمسكينة ! إنها تحتاج إلى مساعدة، فهى على وشك الإصابة بانهيار عصبى شامل !

غمغم المقاتل الأخير:

- لاتقلق نفسك أيها الخبير النفسى .. لن يزعجها هذا طويلاً.

هتف (رمزى) فى صرامة:

- لا تردّد هذا على مسامعها.

لم يكد يتمّ عبارته، حتى سمع الجميع وقع تلك الأقدام الثقيلة الغليظة، وهى تقتحم المكان، فصرخت (مشيرة):

- ليس أنا .. ليس أنا.

واتسعت عيون (سلوى) و(نشوى) فى رعب، فى حين انكمش الدكتور (حجازى) على نفسه، وارتجف جسد (رمزى)، وتوترت كل خلية فى جسد المقاتل ..

ولأنه يؤمن تمامًا باستنتاجاته، كان (رمزى) واثقًا من أنه الضحية التالية ..

والمؤسف أن استنتاجه كان صحيحاً تمامًا ..

لقد أحاطت به تلك الأقدام الثقيلة ، وشعر بخمس أو ست أياد تحل قيوده ، وتشل حركته ، و(سلوى) تصرخ وسط الظلام :

ـ ليس أنت يا (رمزى) .. أليس كذلك ؟! ليس أنت ..

انفعاله وكرامته منعاه من أن ينبس بحرف واحد ، وتلك الأيدى القوية تكبله ، وتنتزعه من مكانه ، وتندفع به خارج المكان ، و(سلوى) تواصل صراخها ، الذى سيطرت عليه نبرات الرعب :

ـ أجب يا (رمزى) .. أجب بالله عليك .. (رمزى) .. (رمزى) ..

تباعد صوتها ، وامتزج بدموعها ، وهم يدفعونه عبر ممر طويل مظلم ، ويغلقون بابًا ثقيلاً خلفهم ، ثم يواصلون دفعه نحو بقعة فى ضوء خافت ، بدت من بعيد ..

بعيد جدًا ..

ولكن فجأة ، سطع ضوء قوى ، أغشى بصره تمامًا ، بعد طول بقائه وسط الظلام الدامس ، فهتف فى توتر :

ـ ماذا تفعلون بى ؟!

لم يجب أحد سؤاله ، وإن توقَّف الكل دفعة واحدة ، وابتعدت كل الأيدى عنه ، وسمع همهمة متضاربة من حوله ، فأغلق عينيه فى قوة ، ثم فتحهما فى بطء وحذر ، وانتظر بضع لحظات ، حتى اعتادتا الضوء ، فتطلَّع إلى ما أمامه ، و ...

وعلى الرغم من الضوء القوى ، اتسعت عيناه عن آخرهما فى ذهول ..

فما رآه أمامه كان مذهلاً ..

وبكل المقاييس .

* * *



٧ـ قبضة الشيطان ..

فجأة ، استعاد (نور) وعيه ..

وبحركة حادة ، اعتدل جالسًا ، وحدّق فيما حوله بتوتر بالغ ، ويده تثب نحو مسدسه الليزرى بحركة غريزية ..

واتسعت عيناه فى دهشة وحيرة ..

لقد كان سليمًا معافى ، دون خدش واحد ..

حتى ذلك الجرح فى جبهته التأم تمامًا ، ودون أن يترك حتى أدنى أثر ..

مسدسه الليزرى كان فى غمده ..

و(أكرم) ملقى على بعد أمتار قليلة منه ..

وبسرعة ، اندفع نحو (أكرم) ، يفحصه فى قلق ..

ولكنه كان أيضًا سليمًا معافى ..

هو فقط فاقد الوعى ..

حتى مسدسه ، كان فى غمده ..

والأعجب أن خزانته كانت محشوة بالرصاصات .. رصاصات سليمة ، صالحة للاستعمال ..

وبكل حيرة الدنيا ، نهض (نور) ، وراح يدير عينيه فيما حوله ..

إنهما لم يعودا داخل ذلك الممر الضيق ، الذى يمتدّ وسط الظلام إلى ما لا نهاية ..

لقد انتقلا بوسيلة ما إلى ساحة كبيرة ، تحدّها نباتات ضخمة ، تبدو أضخم كثيرًا مما يذكره فى دراساته أيام المرحلة الثانوية ..

ولم تكن هناك أية أشجار ..

ومن بعيد ، سمع خريرًا كخرير المياه فى نبع صغير ..

ولمح وهجًا مترافصًا ..

ولدقيقة أو يزيد ، ظلّ (نور) صامتًا ، ساكنًا ، يتطلّع إلى البقعة التى يبدو عندها الوهج ، متسائلاً عما يمكن أن يعنيه .

ثم انعقد حاجباه فى قوة ، وسَرت فى جسده ارتجافة باردة ، وهو يسحب مسدسه بحركة حادة ، مع ذلك الظل العجيب ، الذى ظهر فجأة أمام ذلك الوهج ..

وبتوتر بالغ ، تابع (نور) ببصره ذلك الظل ، وهو يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ومع اقترابه ، كانت ملامحه تتضح أكثر ، وأكثر ، وأكثر ..

واتسعت عينا (نور) عن آخرهما ، وانتفض جسده كله فى عنف ، وهو يهتف بكل ذهول الدنيا :

ـ (سلوى) ..

كان القادم هو زوجته (سلوى) ، فى زى فرعونى قديم ، وزينة فرعونية ، وغطاء رأس يشبه ذلك الذى رآه فى المتحف المصرى ، وهى تحمل فى يدها تمثالاً لقط فرعونى أسود ..

وهزّ (نور) رأسه فى قوة ..

مستحيل أن يكون ما يراه حقيقة ..

إنه وهم ..

سراب ..

خداع ..

أو مجرّد حلم ..

مرة أخرى هزّ رأسه فى قوة ، فى محاولة لإيقاظ نفسه من ذلك الحلم البشع

بل من ذلك الكابوس ..

ولكنه لم يستيقظ ..

ولم يخرج من الكابوس قط ..

وبكل توتره وانفعاله ، غمغم :

ـ هذا ليس حقيقة .. ليس حقيقة أبدًا .

لم تنبس (سلوى) ببنت شفة ، ولمْ تعلّق على عبارته ، وبدت جامدة ، شاردة ، كما لو أنها مسلوبة الوعى والإرادة ..

وبكل كيانه ، أراد أن يندفع نحوها ..

أن يحتويها بين ذراعيه ..

أن يسألها عن ابنتهما ..

عن مصيرها ..

عما أصابها ..

إلا أنه لم يفعل ..

كانت كل ذرة فى كيانه تخشى أن يكون هذا مجردُ حلم ..

كابوس رهيب ، يسيطر على عقله كله ..

نعم .. إنه كابوس ..

كل شىء يوحى بهذا .

ويؤكده ..

كل شىء يحتِّم أن مايحدث لايمكن أن يكون حقيقة ..

جراحه التى التأمت دون أثر ..

رصاصات مسدس (أكرم) ..

و (سلوى) ..

إنه كابوس حتمًا ..

ولكن حواسه كلها انتبهت فجأة ، عندما ظهر ذلك الظل المتموِّج الآخر ..

وفى هذه المرة ، شعر (نور) بالقلق ..

بالخطر ..

شعر بهما ، حتى إنه رفع فوهة مسدسه الليزرى ، وصوَّبه بكل تحفز نحو ذلك الظلّ الجديد ، وتوتره يتصاعد ..

ويتصاعد ..

ويتصاعد ..

وذلك الظلّ يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم كانت المفاجأة الكبرى ..

والعنيفة ..

فذلك القادم الجديد كان هو ..

الكاهن ..

الكاهن المزدوج الرهيب ..

كان يتقدّم بثقة مستفزة ، وظفر واضح ، وعيناه الشيطانيتان تتألقان كحفرتين من الجحيم ..

وبكل غضب الدنيا ، وجد (نور) نفسه يهتف :

ـ إياك أن تمسّها ، وإلا ...

لم يدر بم يمكن أن يهدّد شيئًا مثله !!

أو كيف ؟!

ولقد كان الراهب يدرك هذا ..

يدركه جيدًا ..

لذا فقد تجاهل تهديد (نور) وواصل تقدُّمه ، حتى وقف إلى جوار (سلوى) تمامًا .. ومرة أخرى ، صرخ (نور) فى أعماقه ..

إنه كابوس ..

لا يمكن أن يكون حقيقة ..

مستحيل !

مستحيل !

لو على الأقل ؛ لايمكن أن تكون هذه هى (سلوى) ..

ليست تلك الجامدة ، الجافة ، فى تلك الثياب الفرعونية ..

وبكل قوته ، راح يستحث عقله على استيعاب الموقف ..

كل المشاهد ..

كل التفاصيل ..

وكل الأحاسيس ..

رباه ! لو أطاع عقله ، فهذا ليس حلمًا ..

أو حتى كابوسًا ..

إنه حقيقة ..

الأحلام لا تحوى كل هذه التفاصيل الدقيقة ..

العقل البشرى لا يمكن أن يواصل الحلم ، أو حتى الكابوس ، إذا ما أصرّ صاحبه على المقاومة بهذه الاستماتة ..

وليس إذا ما أصرّ على أن ما يحيا فيه ليس حقيقة(*) ..

إذن فزوجته (سلوى) تحت سيطرة ذلك الكاهن بالفعل ..

تحت سيطرته التامة ..

(*) حقيقة علمية ..

« لا .. »

أطلق الصرخة ، وهو يصوّب مسدسه إلى ذلك الكاهن الرهيب ..

ثم يضغط الزناد ..

مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ولكن الأشعة لم تنطلق ..

المسدس سليم ، وأجهزته كلها تعمل بكفاءة ..

ولكن الأشعة لم تنطلق نحو الكاهن ..

ولقد رآه (نور) يبتسم ابتسامة ظافرة ساخرة ، وكأنه كان يعلم مسبقًا أن هذا سيحدث ..

وفى بطء ، أدار عينيه إلى (سلوى) ..

وتألقت عيناه على نحو رهيب ..

لم تلتفت إليه (سلوى)، ولكن كل شىء بدا وكأنها قد فهمت ما يطلبه، فقد انحنت تضع تمثال القط الفرعونى أمامها، فى حرص شديد، قبل أن تعود إلى وقفتها الجامدة الأولى ..

وتوتر (نور) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وفى بطء، مدّ الكاهن يده أمامه ..

ثم فرد راحته بحركة حادة ..

وسرت فى جسد (نور) رعدة باردة كالثلج ..

فهناك، فى راحة الكاهن، كان يستقر ذلك الشىء البشع ..

إصبع الشيطان ..

ذلك الإصبع الطويل المبتور، ذو المفصلات الثلاث، واللون الأخضر الداكن، والإظفر الأحمر فى لون الدم ..

ومال الكاهن بكفه إلى أسفل، فوثب منه ذلك الإصبع ..

نعم .. وثب كما لو أنه كائن حى، يعرف دوره جيّدًا ..

وفى مشهد رهيب .. رهيب إلى أقصى حد .. زحف ذلك الإصبع فى سرعة، فوق الأوراق الجافة، حتى بلغ تمثال القط ..

ثم مسّه ..

فقط مسّه ..

وهنا، تألّق تمثال القط الفرعونى، وتعاظم حجمه، حتى صار فى حجم نمر صغير ..

ثم انطلق منه مواء ..

نعم .. مواء .

مواء انتفض معه جسد (نور)، واتسعت له عيناه عن آخرهما فى ذهول، عندما دبّت الحركة بغتة فى



ومال الكاهن بكفه إلى أسفل ، فوثب منه ذلك الإصبع ..

التمثال ، وتحولَ إلى قط ضخم للغاية ، أطلق مواءً آخر شرسًا ، وهو يرمقه بنظرات وحشية ، ويتجه نحوه مباشرة ، بتلك الحذر الشهير ، لأى قط يتأهب للانقضاض على فريسته ..

وفى توتر بالغ ، وعلى الرغم من ثقته بأن مسدسه لن يطلق شيئًا ، صوبَه (نور) نحو القط الضخم ..

وفى عينى ذلك الكاهن الرهيب ، لمح نظرة ساخرة شامتة ، جعلته يستعير أسلوب (أكرم) ، صارخًا :

ـ أيها الوغد .

وما إن انطلقت صرخته ، حتى وثب القط الضخم ..

وكان (نور) على حق ..

مسدسه لم يطلق شيئًا ، عندما ضغط زناده على نحو غريزى ..

وبكف قوية ، لطم القط الضخم المسدس ، فأطاح به بعيدًا ، وهو ينقضّ على (نور) ، ويمزّق كم سترته بمخالبه ، ثم يدفعه بكل ثقله ، ليسقطه أرضًا ..

ورفع (نور) كفيه ليدافع عن نفسه ، وهو يغلق عينيه فى قوة ..

ولكن القط الضخم كشّر عن أنيابه ، وانقضّ بهما على عنقه ، و ..

« (نور) .. (نور) .. ماذا هناك ؟! »

انتفض جسده بغتة مع النداء ، الذى يحمل صوت (أكرم) ، ففتح عينيه دفعة واحدة ، وحدّق فى وجه هذا الأخير الذى هتف به فى انزعاج :

- ماذا أصابك ؟! كابوس بشع أم ماذا ؟!

حدّق فيه (نور) بضع لحظات أخرى ، ثم هبّ جالسًا بحركة حادة ..

إذن فقد كان كل هذا مجرد كابوس ..

مستحيل !

قبل أن تتواصل الفكرة فى رأسه ، اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فيما حوله بذهول ..

إنه يرقد بالفعل فى تلك الساحة ، التى تحيط بها النباتات العملاقة ..

والوهج المتراقص يبدو من بعيد ..

ومسدسه ملقى بعيدًا ..

جرح جبهته ملتئم ..

وذراع سترته ممزّق ، بفعل مخالب حادة ..

وبكل ذعره ، هتف به (أكرم) :

- ماذا أصابك ؟!

عاد (نور) يحدّق فيه لحظة ، وكأنما يراه لأول مرة فى حياته ، قبل أن يهتف به فى انفعال :

- مسدسك .. مسدسك يا (أكرم) .

التقط (أكرم) مسدسه بحركة آلية ، وهو يسأله فى حيرة :

- ماذا به ؟!

أجابه فى سرعة وتوتر :

ـ خزانته امتلأت بالرصاصات .

قال (أكرم) بدهشة بالغة ، وهو ينتزع خزانة المسدس :

ـ وكيف يمكن هذا ؟! لقد أطلقنا على تلك الأشجار الحية آخر رصاصاته ، و ...

بتر عبارته ليطلق شهقة قوية ، قبل أن يستطرد فى انزعاج :

ـ رباه ! هذا صحيح يا (نور) .. ولكن كيف ؟! كيف ؟!

ثم حدّق فى وجهه ، مضيفًا فى ذهول :

ـ كيف عرفت ؟!

تطلّع (نور) مرة أخرى لما حوله ، قبل أن ينهض ، مجيبًا فى عصبية :

ـ الكابوس .. الكابوس يا صديقى ..

هتف (أكرم) بكل دهشته وتوتره :

ـ أى كابوس ؟!

هزّ (نور) رأسه ، وهو يجيب :

ـ الكابوس الذى تعجز معه عن تفسير أى شىء ، أو حتى عن الجزم بما إذا كان وهمًا أم .. أم حقيقة ..

وعاد يتلفّت حوله بمنتهى الحذر والقلق والتوتر ، مضيفًا :

ـ حقيقة شيطانية ..

ولم ينبس (أكرم) ببنت شفة ، وهو يدور بعينيه فيما حوله أيضًا ، وقد تملّكه شعور مخيف ..

شعور بأن كل مايحدث يعنى أنهم ، ومنذ أن سقطت بهم الطوّافة فى هذه الأحراش ، فى قبضة خصم لايرحم ..

فى قبضة ذلك الكاهن الرهيب ..

قبضة الشيطان ..

شخصياً ..

* * *

كلهم كانوا هناك ..

الدكتور (رمسيس) ..

والدكتور (عبادة) ..

وذلك المقاتل ..

كلهم كانوا داخل معبد فرعونى قديم ..

معبد يجمع بين النقوش الهيروغليفية ، ورموز سحر (الفودو) ..

ولكن ليس هذا ما أذهله ..

فما أذهله بحق ، هو أنهم كانوا هناك سالمين معافين ..

دون كسور ..

أو جروح ..

أو حتى خدوش ..

ولكن الأكثر ذهولاً هو أنهم هم الذين يقيدونه ..

هم الذين انتزعوه من ذلك المكان المظلم الرطب ، وحملوه عبر الممر الطويل ، حتى أحضروه إلى هنا ..

إلى ذلك المعبد ..

ليس هذا فحسب ، ولكنهم كانوا جميعًا يرتدون أزياء فرعونية ، كما لو كانوا جزءًا من هذا المعبد القديم ..

وبكل ذهوله ، هتف بهم :

ـ دكتور (رمسيس) .. دكتور (عبادة) .. أيها المقاتل .. ماذا أصابكم ؟!

لم ينبس أحدهم ببنت شفة ..

بل ولم يبد حتى أنه قد سمعه ..

كانوا كالمخدرين ..

أو كالمنومين ..

عيونهم شاردة ..

عقولهم مغلقة ..

نظراتهم جامدة ..

وأصابعهم قوية ، صلبة كالفولاذ ، تقبض على معصميه ككلابات من الصلب ، لا فكاك منها قط ..

وبتلك القوة الهائلة ، والآلية المدهشة ، قادوه إلى مذبح كبير ، فى منتصف المعبد ..

ومع مرأى الدماء الطازجة ، التى تلوث المذبح ، هتف (رمزى) :

- ماذا تفعلون بى ؟! ماذا يسيطر على عقولكم ؟! تجاهلوه تمامًا ، وهم يدفعونه نحو المذبح ، فصرخ فى توتر :

- لا ... ليس أنا .

قاوم فى استماتة ، وراح يضرب بقدميه فى قوة ، ولكن ذلك المقاتل أمسك قدميه بمنتهى القوة ، فى حين حمله الخبيران ، ليضعه الثلاثة على المذبح ، ويثبتونه فى عنف ..

وعلى الرغم من محاولاته العنيفة ، لم يستطع (رمزى) التملص من أيديهم القوية قط ، فهتف :

- قاوموا يا رجال .. قاوموا .. إنه يسيطر على عقولكم .. ذلك الظلام الدامس الرطب ، الذى تركنا فيه ، ساعده على السيطرة على عقولنا .. الرعب والفزع يضعفان النفس البشرية .. هذا ما يطلقون عليه اسم الحرب النفسية .. لا تجعلوه ينتصر .. قاوموا .. قاوموا ..

لم تبد على وجوههم الشاردة الجامدة لمحة واحدة ، توحى بأن أحدهم قد فهم حرفًا واحدًا مما قاله ..

وفى يأس ، هتف :

- لن يمكنه أن ينتصر ، لو أن عقولكم قاومته .. لن يمكنه أبدًا .

انهارت مقاومته ، من فرط الإرهاق والانفعال ، فلهث فى شدة ، وهو يستسلم لهم ، ويترك جسده يسترخى على ذلك المذبح ، ودماؤه تتجاوز ضماداته ، وتسيل لتمتزج بتلك الدماء الطازجة عليه ..

وهنا ، انشقَّ الجدار المواجه له ..

ومن خلف المقاتل ، الذى يثبت قدميه ، رأى (رمزى) ذلك الكاهن يعبر الجدار ، ثم يقف أمامه فى صمت ، وعيناه تتألقان بذلك البريق الشيطانى الرهيب ..

ولثوان ، لم يتحرَّك الكاهن ، حتى التأم الجدار من خلفه ، ثم اتجه فى بطء نحو المذبح ، وهو يحمل صندوقًا زجاجيًا بدائيًا قديمًا ..

وانعقد حاجبا (رمزى) فى شدة وتوتر ، عندما لمح ذلك الشىء ، الذى يستقرّ فى قاع الصندوق ..

الإصبع ..

إصبع الشيطان ..

وبنفس البطء المخيف ، واصل الكاهن مسيرته نحوه ، حتى أصبح إلى جواره تمامًا ، وعلى مسافة سنتيمترات قليلة منه ..

وارتجفت كل خلية فى جسد (رمزى) خوفًا ورعبًا ..

فلأوَّل مرة ، يجد نفسه على هذا القرب ، من ذلك الكاهن الرهيب ..

ولأوَّل مرة يشم تلك الرائحة الشبيهة برائحة القبور القديمة ، ويشعر بذلك الهواء البارد كالثلج ، الذى ينبعث منه ..

وفى بطء رهيب ، أمال الكاهن ذلك الصندوق الزجاجى ، وترك إصبع الشيطان ينزلق منه ، ليستقر على بطن (رمزى) ..

وانتفض جسد (رمزى) فى عنف ..

فذلك الإصبع كان باردًا ..

بل كان أشبه بقطعة من الثلج ، أتت من القطب الجنوبى مباشرة ..

ثم إنه كان يتحرك ..

هذا ما جعل (رمزى) يهتف ، بمزيج من الرعب والاشمئزاز :

ـ مستحيل !

وكدودة عظمية باردة ، راح ذلك الإصبع يزحف على جسده ، مخلفًا فيه شعورًا رهيبًا ، لايمكنك أن تصفه ، حتى ولو كنت تشعر به ، والقلم بين يديك ..

ودون أن يدرى كيف ، وجد (رمزى) ضمادات ذراعه فى يد الكاهن ، الذى تألقت عيناه ، كما لم تتألق من قبل ، فى حين مال إصبع الشيطان فى زحفه ، حتى بلغ موضع الجرح ..

وفجأة ، بلغ الألم مبلغه ..

وصرخ (رمزى) ..

صرخ مرة ..

ومرة ..

ومرات ..

ومع كل صرخة ، كانت الدماء تتدفق من جرحه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

حتى كاد يفقد الوعى ..

ولكن فجأة ، تلاشى الألم ..

كل الألم ..

وراح العرق الغزير يتصبب على جسد (رمزى) ووجهه ، فى حين عاد الإصبع يزحف ، حتى عاد إلى الصندوق الزجاجى ، الذى ناوله الكاهن للمقاتل ، فالتقطه فى حرص واحترام شديدين ، وغاب به عن بصر (رمزى) ..

فى تلك اللحظة فقط ، انتبه (رمزى) إلى أن أحدًا لم يعد يكبل حركته ..

الدكتور (رمسيس) والدكتور (عبادة) ابتعدا عن

المذبح ، ووقفا ساكنين صامتين ، كتمثالين من الحجر ، إلى جوار أحد جدران المعبد ..

وخلال لحظات ، لحق بهما المقاتل ..

وانضمَّ إليهما ..

وحاول (رمزى) أن ينتهز الفرصة ..

وأن ينهض ..

ولكنه أبدًا لم يستطع ..

شىء ما فى كيانه أو فى نظرة ذلك الكاهن الرهيب ، جعله مسمرًا فى مكانه ، غير قادر على الحركة ..

وفى إرهاق رهيب ، تمتم :

- ماذا ستفعل بى ؟!

رفع الكاهن يده فوق صدره ، وأصابعه تمسك دمية عجيبة ..

دمية هى صورة طبق الأصل منه ..

صورة حية ..

فأمام عينيه الذاهلتين ، بدا له وكأن نسخة صغيرة منه تتلوَّى ، وتقاوم فى استماتة ، بين أصابع ذلك الكاهن الرهيب ..

وحدَّق (رمزى) فى تلك الدمية بذهول ..

حدَّق فيها ، وفى حركاتها العنيفة المستميتة ، وفى نظرة اليأس الرهيبة ، المطلَّة من عينيها ..

كان يرى نفسه ، بين أصابع الشيطان ..

فى قبضته ..

وتحت سيطرته ..

وبكل رعبه ، هتف :

- إنك لن تقتلنى .. لن تجرؤ أن تفعل .

تألَّقت عينا الكاهن أكثر وأكثر ، وبدتا وكأنهما تتسعان ..

وتتسعان ..

وتتسعان ..

ومع اتساعهما ، خيّل لـ (رمزى) أن روحه تنتزع من صدره ، وتهوى فى أعماق العينين الواسعتين المخيفتين ..

وتهوى ..

وتهوى ..

بلا نهاية ..

ولكن مهلاً ..

إنه يعرف ما يحدث جيدًا ..

يعرفه بحكم دراسته ..

وخبرته ..

« إنك تحاول تنويمى مغنطيسيًا .. أليس كذلك ؟! »

لم ينبس الكاهن ببنت شفة ..

ول تتوقف عيناه عن الاتساع ..

ولم يتوقّف جسد (رمزى) عن السقوط فيهما لحظة واحدة ..

وفى قوة ، راح يلهث ..

ويلهث ..

ويلهث ..

وأنفاسه راحت تتلاحق ، وتتسارع ، وهو يهتف بألم وانهيار :

ـ لا يمكنك أن تنوّمنى على الرغم منى ..

ولكن أنفاسه تلاحقت وتسارعت أكثر وأكثر ، وراح يلهث فى قوة ، كما لو أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة ..

واتسعت عيناه فى ألم وذعر هائلين ..

وفى بطء ، مدّ الكاهن يده إلى رأس تلك الدمية ، التى ما زالت تقاوم فى استماتة ..

وعندما أمسك الرأس ، شعر (رمزى) بضغط هائل على جانبى رأسه ، فصرخ :

ـ ماذا ستفعل بى ؟! ماذا ستفعل ؟!

وبحركة مباغتة قوية ، انتزع الكاهن رأس الدمية ..

وأطلق (رمزى) صرخة ألم هائلة ..

وهوى كيانه كله وسط ظلام رهيب ..

رهيب ..

وبلا قرار .

* * *



٨ ـ القفـزة ..

على عكس المألوف ، فى المخابرات العلمية المصرية ، اندفع الدكتور (جلال) إلى حجرة القائد الأعلى ، هاتفًا :

ـ سيدى .. لابد أن تشاهد هذا بنفسك .

هبَّ القائد الأعلى من خلف مكتبه ، هاتفًا فى حدة :

ـ كيف تجاوزت إجراءات الأمن ؟!

بُهتَ الدكتور (جلال) للعبارة ، وغمغم فى عصبية :

ـ أى قول هذا ؟!

أجابه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ القول الحق يا دكتور (جلال) ، فالغرض من نظم وإجراءات الأمن هذه هو حماية المكان من الدخلاء والمتسللين ، وتجاوزك إياها بهذه البساطة ، يعنى وجود قصور شديد فيها .

قال الدكتور (جلال) فى عصبية :

ـ سيادة القائد الأعلى .. لاتنس أننا نحن الذين صنعنا نظم الأمن هنا ، ومن الطبيعى أن نملك شفرة خاصة لتحييدها ، إذا ما اقتضى الأمر هذا .

سأله القائد الأعلى فى غضب :

ـ وما الذى يقتضيه الأمر الآن ؟!

هتف الدكتور (جلال) فى حنق :

ـ توفير الوقت ، الذى نضيعه بهذا الاستجواب .

ثم اندفع بضغط أزرار شاشة الرصد ، مستطردًا فى عصبية :

ـ فالأوفق أن تشاهد مايحدث ، على الهواء مباشرة .

سأله القائد الأعلى فى توتر :

ـ وما الذى يحدث ؟!

اشتعلت الشاشة ، وبدت عليها تلك الأحراش ، من

زاوية تسمح بتصويرها ، دون الدخول فى مجال انعدام الرصد الخاص بها ..

كانت تتألق بضوء أحمر نابض ، يرتفع رويدًا .. وينخفض رويدًا ..

وفى حيرة قلقة ، تساءل القائد الأعلى :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى انفعال :

ـ تلك الأحراش تبعث ذلك الإشعاع النابض المنتظم ، منذ بضع دقائق .. الصورة التى تراها ملتقطة بالأشعة دون الحمراء .. والخبراء يفحصون الموقف طوال الوقت ..

سأله القائد الأعلى فى توتر بالغ :

ـ المهم ما الذى يعنيه ؟!

لوّح الدكتور (جلال) بيده ، وهو يقول بنفس الانفعال :

ـ فى عالم النبـات ، لايوجد أى تفسير لهذا ؛ فهو لايحدث أبدًا ، بل ولايوجد شبيه أو مثيل ، أو حتى ما يقارب له ، فى ذلك العالم كله ، وهـذا ما جزم بـه كل علماء النبات لدينا .. لـذا فقد بدأنا فى الاسـتعانة بـالكمبيوتر ، للبحث عن أيـة ظـاهرة مشـابهة ، فـى الطبيعة كلها .

راقب القائد الأعلى ذلك الانبعاث بضـع لحظـات ، قبل أن يقول فى توتـر حذر ، وهـو يـزن كـل حـرف ينطق به :

ـ هذا يبدو لى أشبه بنبضات القلب .

هزّ الدكتور (جلال) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ هذا ما تصوّرناه فى إحدى المراحل ، وما عرضنـاه على الكمبيوتر ، ولكنه رفض التطابق .

ثم تألّقت عيناه ، وهو يضيف :

ـ وهنا قفزت الفكرة إلى رأس أحد علماء وظـائف الأعضاء البشرية لدينا ، فطلب من الكمبيوتر أن يقـارن

بين هذا الانبعاث الحرارى ، وبيـن مثيلاتـه ، فـى عمليات الجسم الحيوية .

سأله القائد الأعلى :

ـ وهل حدث تطابق ما ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ تطابق تام .

سأله القائد الأعلى فى لهفة :

ـ مع أية عملية ؟!

التقط الدكتور (جلال) نفسًا عميقًا ، وبدا صوتـه أشبه بموجة هائلة من الانفعال ، وهو يجيب :

ـ الهضم .

اتسعت عينـا القائد الأعلـى عن آخرهمـا ، ومـال رأسه إلى الأمام فى ذهول ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـ الهضم ؟!

أجاب الدكتور (جلال) ، فى سرعة وانفعال :

ـ نعم ياسيادة القائد الأعلى .. الهضم .. تلك الأحراش بدأت ، منذ مايقرب من سبع عشرة دقيقة ، عملية هضم منتظمة .

هتف القائد الأعلى :

ـ هضم ماذا ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى توتر :

ـ ياله من سؤال ؟!

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـ بعثتنا بالطبع .

وانتفض جسد القائد الأعلى بعنف ..

بمنتهى العنف ..

* * *

لم تكد هليكوبتر وزير الخارجية الإفريقى تهبط ، فى المطار الخاص بمجلس الوزراء ، حتى اندفع وزير الداخلية يستقبله فى لهفة ، متسائلاً :

ـ ما الأخبار ؟!

أشار وزير الخارجية بيده ، وهو يجيب فى توتر شديد :

ـ لا شىء .

سأله وزير الداخلية فى عصبية :

ـ ماذا تعنى بلا شىء ؟! ألم تلتق به ؟!

هتف وزير الخارجية فى حدة :

ـ لم يأت .

حدق وزير الداخلية فى وجهه ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ كيف لم يأت ؟! ألا تذهب أنت إليه ؟!

قال وزير الخاريجة فى حدة :

ـ من الواضح أنك لاتستوعب الأمر جيدًا يارجل .. ذلك الكاهن لا يلتقى بأى مخلوق ، إلا إذا أراد هو هذا .

هتف وزير الداخلية محنقًا :

ـ إنه ليس إلهًا .

قال وزير الخارجية فى حدة :

ـ حاول أن تقنعه هو بهذا .

احتقن وجه وزير الداخلية فى شدة ، وهو يقول :

ـ ولكن مقابلته أمر حتمى .. الأمور تتطوَّر على نحو لن يمكننا احتماله أو استيعابه ، ولو لم يحسمها بسرعة ، سينهار كل شىء تمامًا .

هزَّ وزير الخارجية رأسه فى توتر بالغ ، وهو يقول فى مرارة :

ـ لقد حاولت .

صاح وزير الداخلية فى غضب :

ـ كان ينبغى أن تحاول أكثر .

صرخ وزير الخارجية بانفعال يفوق كل الحدود :

ـ مستحيل !

ثم بدا منهارًا ، وهو يضيف فى مرارة :

ـ الاقتراب .. مجرَّد الاقتراب من تلك الأحراش يبدو مستحيلاً اليوم .. الهليكوبتر كانت تهوى بنا ثلاث مرات ، حتى رفض الطيَّار الاستمرار ، مهما كانت النتائج .

امتقع وجه وزير الداخلية ، وهو يقول فى شحوب :

ـ إلى هذا الحد ؟!

أجابه وزير الخارجية ، فى شحوب أكثر :

ـ وأكثر من هذا يا رجل ..

وشرد بصره ، مع شحوب وجهه الشديد ، وهو يضيف :

ـ هناك أمور رهيبة تحدث فى تلك الأحراش ، منذ سقوط طوافة البعثة المصرية الثانية فيها .. أمور لم تحدث من قبل قط ، حتى فى أعمق عصور أجدادنا .. أمور رهيبة ، تجعلنى أجزم بأن الساعات القادمة ستحمل لنا ما لم نعهده ، أو حتى نتعذَّب به ، فى أبشع وأشنع كوابيسنا .

وامتقع وجه وزير الداخلية أكثر وأكثر ..

فقد كان هذا بالضبط ما يشعر به فى أعماقه ..

وما يخشاه ويرتجف منه بعنف ..

حتى النخاع ..

* * *

« أين نحن بالضبط يا (نور) ؟! »

نطق (أكرم) العبارة فى توتر بـالغ ، وهو يتلفَّت حوله ، فانحنى (نور) يلتقط مسدسه الليزرى ، و[illegible] فى غمده ، قائلا :

ـ حيث أرادنا ذلك الكاهن بالضبط .

هتف (أكرم) فى عصبية :

ـ أين ؟!

أدار (نور) عينيه فيما حوله ، وفحص كل ما يحيط به فى صمت ، قبل أن يشير إلى ذلك الطريق الطويـل ، الذى يأتى منه الوهج المتراقص ، مجيبًا :

ـ حيث لن نجد أمامنا سبيلاً سوى هذا .

تطلَّع (أكرم) إلى الوهج المتراقص ، وهو يتساءل فى توتر :

ـ وهل سنذهب عبر ذلك الطريق ؟!

هزَّ (نور) كتفيه ، قائلاً :

ـ ألديك سبيل آخر ؟!

هتف (أكرم) فى حنق :

ـ هذا ما يريدنا أن نسلكه بالضبط !

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ ولن نجد سبيلاً سواه .

ثم أمسك كتفى (أكرم) فـى قوة ، وتطلَّـع إلـى عينيه مباشرة ، وهو يقول فى حزم :

ـ اسمعنى جيدًا يا صديقى .. إنـه يعبث بنـا طوال الوقت ، منذ وصلنا إلى هنا .. بل ومـن قبـل حتى أن ننطلق من (القـاهرة) .. ونحن هنا فى منطقة نفوذه ،



وتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول فى حزم :
ـ اسمعنى جيدًا يا صديقى !! ..

ومهد قوتـه ، ومملكـة قدراتـه الشيطانية الرهيبـة .. ولقد علمنـا أنـه من المحتَّم أن نتخذ الطريق الذى يريده ، وإلا فستهاجمنا كل قوى الشر بلا رحمة .. ثم إنه لايرغب فعليًا فى القضاء علينا .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

ـ بعد كل هذا ؟!

أجابه (نور) ، فى سرعة وحزم :

ـ كل هـذا هو الدليل على صحة ما أقول .. لقد واجهنا الأهوال ، وكانت أمامه الفرصة لقتلنا فى كـل مرة ، ولكنه لم يفعل .. بل إنه يعيد الرصاصات إلـى خزانـة مسدسك ، كمـا لـو أنـه يعلن لامبالاتـه بكـل أسلحتنا .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ربما ينتظر الوقت المناسب .

انعقد حاجبا (نور) ، وتراجع متخليًا عن كتفى (أكرم) ، وهو يتمتم :

ـ هذا مؤكَّد .

هتف به (أكرم) فى لهفة :

ـ هل تعتقد أن هذا ينطبق على رفاقنا أيضًا .. على زوجتى .. وزوجتك ، وابنتك ؟!

بدا التوتر على وجه (نور) ، وفى نبرات صوته ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى يا (أكرم) .. صدقنى .. لست أدرى .

ثم أشار إلى الطريق ، الذى يبدو الوهج المتراقص فى نهايته ، مستطردًا :

ـ ولكن المؤكَّد أننا لن نجدهم ، إلا لو اتخذنا هذا الطريق .

تطلَّع إليه (أكرم) فى صمت ، قبل أن يسأله فى حزم :

ـ أيًّا كان ما سنجده فى نهايته ؟!

أجابه (نور) ، فى سرعة وحزم :

ـ أيًّا كان .

غلفهما الصمت لحظات ، قبل أن يقول (أكرم) فى حزم ، وهو يدس مسدسه فى غمده :

ـ على بركة اللّٰه .

تطلَّعا إلى بعضهما لوهلة ، ثم اتجها معًا نحو الطريق الوحيد أمامهما ، وفى رأس كل منهما تدور أفكار صامتة خاصة ..

(أكرم) راح يفكِّر فى زوجته (مشيرة) ..

زوجته التى بذلت قصارى جهدها ، وقاتلت بكل طاقاتها ، حتى تنضمّ إلى تلك البعثة ..

وتواجه مصيرها المحتوم ..

إنه لا يدرى أين هى الآن ؟!

كيف هى ؟!

وأى مصير تواجه ؟!

أى مصير ؟!

عضّ شفتيه فى مرارة ، وقاوم دمعة قاتلت لتنهمر من عينيه ، وهو يطلق من أعمق أعماق صدره زفرة ملتهبة بائسة ..

ففى جزء من نفسه ، شعر أنهم المخطئون ..

ذلك الكاهن هنا ، فى مملكته الخاصة ، منذ آلاف السنين ..

ولم يسمع به أحد ..

فقط المناطق المحلية ، والمحيطة به فحسب ..

حتى ولو كان الشر كله ، فشره هذا لم يمتدّ خارج حدوده قط ..

إلى أن جاءوا هم إليه ..

البعثة الأولى اخترقت أسواره ، ودسّت أنفها فى شئونه ..

وسرقت ممتلكاته ..

وهنا .. هنا فقط خرج ..

خرج ليثأر ..

وينتقم ..

ويسترد ماله ..

صحيح أنه قتل ..

وبلا رحمة ..

ولكنه لم يقتل سوى من أساءوا إليه ..

من قتلوا شعبه ..

ونهبوا مقتنياته ..

لا أحد يدرى من أين جاء ..

ولا كيف حصل على ما لديه ..

ولكن هذا ليس جريمة ..

ربما كان هناك آلاف مثله ، لا يشعر بهم أحد ..

ربما ..

وحتى فى هذه المرة ، لم يسع هو إليهم ..

هم سعوا إليه ..

ومن حقه أن يصدهم ..

ويمنعهم ..

ويبعدهم ..

حتى لو اضطر لقتلهم ..

« ليس إلى هذا الحد .. »

نطق (نور) بالعبارة ، فانتفض جسد (أكرم) فى عنف ، وهتف :

ـ ماذا تقول يا (نور) ؟!

أجابه (نور) ، وهو يسير إلى جواره ، عبر ممر النباتات :

ـ أقول : إن الأمر لا يصل إلى حد القتل .

توقَّف (أكرم) دفعة واحدة ، وهتف فى ذهول :

ـ ولكن لماذا تقول هذا ؟!

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

ـ أنت تتصوَّر أن ذلك الكاهن يدافع عن وجوده فحسب ، وأن هذا حقه ، حتى لو اضطر لقتلنا ، وكنت أجيبك بأنه لا ينبغى أن تصل الأمور إلى هذا الحد ، و ...

صاح (أكرم) فى ذهول :

ـ ولكننى لم أقل هذا أبدًا يا (نور) .. لقد دار فى ذهنى فحسب ، ولم ينطقه لسانى قط .

التفت إليه (نور) بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ مستحيل !

صاح (أكرم) :

ـ هذا ما يحدث بالفعل يا (نور) .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ ولكن هذا مستحيل ! لقد سمعت كل هذا فى وضوح .. سمعتك تتحدث عن (مشيرة) ، وسعيها للانضمام إلى البعثة ، وعن الكاهن ، ووجوده منذ آلاف السنين دون خطر ، ثم اقتحام البعثة الأولى لمملكته ، و ...

انتفض (أكرم) كالمصعوق ، وهو يهتف :

ـ مستحيل ! مستحيل ! لقد قرأت أفكارى يا (نور) .. قرأتها كما لو أنك تسمعها فى وضوح .

حدّق (نور) فى وجهه لحظة ، قبل أن يقول فى توتر شديد :

ـ لقد فعل بنا شيئًا ما يا (أكرم) ..

ثم تلفّت حوله ، مستطردًا فى توتر شديد :

ـ أو هو هذا المكان .

واستدارت عيناه نحو البقعة ، التى يأتى منها الوهج قويًا ، مصحوبًا بفرقعة نيران ، وهو يضيف فى عصبية :

ـ وهذا هو الأرجح .

حدّق فيه (أكرم) لحظة ، قبل أن تستدير عيناه بدوره إلى البقعة ذاتها ، ليتطلّع إليها طويلاً فى صمت ، ثم يسأل فى توتر :

- ترى ما هذا بالضبط يا (نور) ؟!

أجابه فى سرعة ، وكأنما كان ينتظر السؤال :

- شلال النار .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يكرر فى انبهار :

- شلال النار ؟!

أشار إليه (نور) بيده ، قائلاً :

- هيا .. لقد صرنا على قيد أمتار قليلة منه .. دعنا نره لأول مرة وجهًا لوجه .

سار (أكرم) إلى جواره فى صمت ، وقلبه يخفق فى قوة ، من فرط الانفعال ، والوهج يتزايد أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم فجأة ، وعند منعطف حاد ، وجداه أمامهما مباشرة ..

شلال النار ..

نيران تنهمر من أعلى إلى أسفل ، على عكس ما تحتم قوانين الطبيعة ، بقرقعة عالية ، ووهج مخيف ، رهيب ..

جدار من نيران مهيبة ، تنهمر كالشلال ، لتغوص فى أخدود عميق وحرارتها تلفح الوجوه ، كما لو كانت قطعة من الجحيم ..

وفى انبهار شديد ، هتف (أكرم) :

- أهذا هو ؟!

أجابه (نور) فى توتر حازم :

- نعم .. هذا هو ؟!

وقفا يتطلعان إلى ذلك الشلال النارى الرهيب لدقائق كاملة ، سيطر عليهما خلالها مزيج من الصمت والرهبة

والخوف ، وكلاهما يتساءل في أعماقه : كيف عبرت البعثة السابقة جدارًا كهذا ..

وبكل الدهشة والتوتر ، هتف (أكرم) :

ـ أهو خط النهاية يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حزم ، لا يخلو من الرهبة :

ـ كلاّ .. المعبد هناك .. خلف شلال النار .. هذا ما أكده الجميع .

هتف (أكرم) :

ـ ولكن كيف ؟! كيف يمكن عبور شىء كهذا ؟ إننا لاندرى حتىّ من أين ينهمر ، ولا إلى أين يمتدّ !!

غمغم (نور) ، وهو يفكّر فى عمق :

ـ هناك حتمًا وسيلة ما .. منفذ ما ..

هتف (أكرم) مرة أخرى :

ـ ولكن كيف ؟! كيف ؟!

فجأة ، قفزت فكرة ما إلى ذهن (نور) ..

فكرة مجنونة ..

وإلى أقصى حد ..

وانعقد حاجباه بشدة ، وهو يدرسها بعقله ..

وذهنه ..

وخياله ..

تُرى كيف يمكن أن تثب إلى ذهنه فكرة عجيبة مجنونة كهذه ، تتجاوز كل قواعد العقل والمنطق ؟!

إلا إذا ؟!

كان التفسير عجيبًا للغاية ، ولكنه صادف هوى فى نفسه ، على الرغم من غرابته وعدم منطقيته ، و ...

« سأذهب .. »

نطقها (نور) فى حزم وصرامة ، ثم اندفع فجأة ، قبل أن يدرك (أكرم) ما يحدث ، و ...

وقفز ..

قفز نحو شلال النار ..

وبكل قوته ..

وأمام عينى (أكرم) الذاهلتين المذعورتين ، اخترق جسد (نور) شلال النار ، وغاص وسط ألسنة اللهب ، فصرخ :

- ماذا تفعل يا (نور) ؟! يا إلهى ! هل جننت ؟! (نور) .. (نور) ..

ولكنه ، وبخلاف تصاعد فرقعة النيران ، كما لو أنها تسعد بالتهام ضحية جديدة ، لم يسمع جوابًا ..

أى جواب ..

على الإطلاق .

* * *

[انتهى الجزء الثانى بحمد الله
ويليه الجزء الثالث بإذن الله]

الأحراش الفسفورية

- ماذا يمكن أن يصيب الفريق المصرى فى أعماق أحراش (افريقيا) ؟!
- ما سر ذلك الكاهن الرهيب ، الذى يخشاه الكل خشيتهم للموت ؟!
- ترى ما مصير (نور) ورفاقه ، وهل يمكن أن تكتب لهم النجاة فى أعماق (الأحراش الفسفورية) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع (نور) وفريقه ..



العدد القادم

(الشر)



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

136

الثمن فى مصر ٢٥٠ وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم



روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سرى جدا !!

د. نبيل فاروق

الشَّرّ

137

المؤسسة العربية الحديثة

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ، من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ـ جدار اللهب ..

خَيَّم وجوم رهيب على تلك القاعة التى تضمّ خيرة علماء وباحثى (مصر) ، العاملين فى إدارة الأبحاث ، التابعة للمخابرات العلمية المصرية ، وجميعهم يراقبون تلك الشاشة الكبيرة ، التى تنقل ، بزاوية شبه حادة ، مشهد تلك الأحراش الرهيبة ، فى قلب (إفريقيا) ، التى تضاعفت الانبعاثات الحرارية الصادرة منها ، وكأنها تهضم فى نهم ، تلك البعثة العلمية الأمنية ، التى تضمّ (نور) وفريقه ، والتى ابتلعتها فى جوفها ، منذ سقوط طوّافتهم فيها ..

وفى توتر شديد ، غمغم الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث العلمية ، وهو يراقب ما يحدث :

ـ كل شىء يتزايد على نحو مخيف .. الانبعاث الحرارى .. منطقة انعدام الرؤية الرقمية .. رقعة نفوذ ذلك الكاهن المزدوج .. كل شىء .

نطقها ، وعقله يستعيد تلك الأحداث الرهيبة ، منذ البداية ..

منذ افتتاح تلك القاعة الجديدة ، فى متحف الآثار ، عند هضبة أهرامات (الجيزة) ..

يومئذ ، كانت القاعة تعرض بعض الآثار الفرعونية والإفريقية ، التى عثرت عليها البعثة الأولى ، داخل معبد فرعونى غامض ، تحكمه عقيدة سحرة (الفودو) فى قلب الأحراش الإفريقية ..

ومن بين تلك الآثار ، كان إصبع الشيطان ..

إصبع أخضر اللون ، له اظفر دموى مخيف ، يثير الرهبة والرعب فى نفس كل من يراه .. ثم ظهر ذلك الكاهن الرهيب بغتة ..

كاهن يرتدى الزى الفرعونى ، ويتحلّى بعظام بشرية ، كسحرة (الفودو) ..

ومع ظهوره ، توالت الأحداث العجيبة .. والرهيبة ..

كل علماء البعثة قضوا نحبهم ، على يدى ذلك الكاهن الرهيب ، بوسائل بشعة مخيفة ، تتجاوز كل حدود العقل والعلم والمنطق ..

كل وثائق وصور وتسجيلات البعثة تم تدميرها تمامًا ..

الأحداث المخيفة الرهيبة توالت ، على نحو لم يحدث من قبل ، إلا فى مواجهة الفريق مع خصم شيطانى سابق(*) ..

وفى أعماق (نور) وفريقه ، اشتعلت نيران أخرى رهيبة ..

نيران الغموض ، والإصرار على إيجاد تفسير علمى منطقى لكل ما حدث ..

ولم يكن هناك سوى سبيل وحيد لهذا ..

بعثة ثانية ..

(★) راجع قصة (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم (٧٢) .

وعلى الرغم من أن مسئولى تلك الدولة الإفريقية ، التى تقع الأحراش المحظورة داخل حدودها ، كانوا يعرفون كل ما يحدث ، إلا أنهم ، وتحت الضغوط الدبلوماسية ، اضطروا لقبول البعثة الثانية ، والموافقة على توغلها وسط أحراش (إفريقيا) ..

ولكن الكاهن الرهيب كان له رأى آخر ..

فمنذ الساعات الأولى لبعثة (نور) وفريقه فى (إفريقيا) ، بدأت المواجهة ..

طوافتهم سقطت عمدًا ، داخل منطقة تتبع نفوذه ..

الأحراش الحية أحاطت بهم من كل صوب ..

ظلام صناعى مخيف سيطر على كل شىء من حولهم ..

هاجمتهم وحوش خفية ..

وأشجار متحركة ..

و ....

وتم اختطاف الجميع ، فيما عدا (نور) و(أكرم) ..

المختطفون واجهوا أمورًا رهيبة ، مفزعة ، مرعبة ، وسط ظلام دامس رطب ..

أمور تمت خلالها السيطرة على عقولهم ..

تمامًا ..

أما (نور) و(أكرم) ، فقد كان عليهما أن يقطعا ذلك الطريق الرهيب ، إلى المعبد الفرعونى ، الخاضع لسحرة (الفودو) ، فى قلب الأحراش الحية ..

وفى سبيل هذا ، واجههم شلال رهيب ..

شلال النار ..

جدار هائل من اللهب ، ينهمر من أعلى إلى أسفل ، على عكس كل القوانين الطبيعية ، ويكاد لفحه وحده يذيبهما من شدته ، وهو يقطع الطريق بينهما وبين المعبد ، حيث يحتفظ الكاهن الرهيب برفاقهم الباقين ..

وعلى الرغم من هذا ، وبمبادرة مذهلة غير مفهومة ، وثب (نور) وسط شلال النار ..

وصرخ (أكرم) يناديه ، بكل رعب الدنيا ..

ولكنه لم يتلق جوابًا ..

أى جواب ..(*)

كل هذا لم يعلمه أى مخلوق ، خارج منطقة الأحراش ..

آخر ما بلغهم ، أو أمكنهم التوصُّل إليه من معلومات ، هو أن طوّافة البعثة قد سقطت فى قلب الأحراش ..

بعدها انقطعت الأخبار تمامًا ..

الشيء الوحيد ، الذى رصده بعدها ، هو ما يحدث للأحراش نفسها ، من اتساع فى رقعة النفوذ ، ومنطقة انعدام الرؤية الرقمية ، والانبعاث الحرارى ، الذى صنفه الكمبيوتر باعتباره أشبه بعملية من عمليات الجسد البشرى الحيوية ..

(*) لمزيد من التفاصيل راجع الجزأين الأول والثانى (فودو) و(الأحراش السفورية) .. المغامرتين رقمى (١٣٥) و (١٣٦) .

عملية الهضم ..

وكان هذا يعنى أن الأحراش الرهيبة الغامضة تهضم البعثة ..

بعثة (نور) وفريقه ..

« ماذا ينبغى أن نفعل إزاء هذا .. »

ألقى أحد علماء المركز السؤال ، على مسامع الدكتور (جلال) ، فانتزعه من أفكاره ، وجعله يمط شفتيهِ فى أسى ، مغمغمًا :

ـ وما الذى يمكننا أن نفعله ؟!

اندفع عالم آخر ، يقول فى انفعال :

ـ رجالنا يحتاجون إلى دعم منا حتمًا ، فى ذلك الجحيم ، الذى أرسلناهم إليه ..

غمغم الدكتور (جلال) فى عصبية مريرة :

ـ هذا لو أنهم ما زالوا على قيد الحياة .

أعادت عبارته الوجوم إلى المكان ، وراح الكل يتطلع بعضهم إلى البعض ، بنظرات ملؤها الرعب والارتياع ، قبل أن يقول أحدهم بغتة :

- إنهم كذلك .

التفت إليه الجميع ، فى لهفة تمتزج بالدهشة ، وسأله الدكتور (جلال) :

- وكيف يمكنك الجزم بهذا ؟!

أشار الرجل إلى الشاشة ، قائلاً فى حماسة :

- عملية الهضم هذه .

تطلع الجميع إلى الشاشة ، التى يشير إليها ، قبل أن يعودوا بأبصارهم إليه ، فتابع بنفس الحماسة :

- استمرارها يعنى أن الأمر لم ينته بعد .

استدار الدكتور (جلال) بحركة حادة ، يحدق فى الشاشة ثانية ، قبل أن يغمغم فى توتر شديد :

- ولكنها بدأت .

ضرب العالم سطح مكتبه بقبضته ، وهو يهتف فى حزم :

- ومازالت أمامنا فرصة لمنعها .

ثم استدرك فى انفعال :

- لو وجدنا الوسيلة المناسبة .

تألقت عينا الدكتور (جلال) وهو يستدير إليه بنفس الحدة ، قائلاً بحزم أكبر :

- لن تكون لنا مهمة سوى هذا .

ثم تحرك وسط العلماء ، متابعًا بكل الحماسة ، التى تفوح بلمحة أمل :

- سنوقف كل المشاريع الأخرى فورًا ، ونؤجل المهم منها إلى ما بعد حسم هذه القضية .. الكل سيعيد دراسة الموقف منذ البداية ، بوجهة نظر جديدة ، وبالذات تلك الظاهرة الخاصة بالانبعاث الإشعاعى الحيوى .. سندرسها على كل المستويات ، وبكل الوسائل ، وعلى كل

الاحتمالات ، وستكون مهمة مركز الأبحاث العلمية الأولى هى البحث عن وسيلة للسيطرة عليها أو تحييدها على الأقل ، و ...

قاطعه هتاف أحد العلماء المذعور ، وهو يشير إلى شاشة الرصد الحرارية :

- يا إلهى ! انظروا !

استدار الجميع بحركة حادة ، وانفعال جارف ، إلى الشاشة ..

وانتفضت أجسادهم كلها بمنتهى العنف ، وقلوبهم تهوى بين أقدامهم ..

فجأة ، ودون مقدمات ، تضاعف الانبعاث الإشعاعى الحيوى ، الصادر من تلك الأحراش الوحشية الحية ..

تضاعف على نحو يوحى بأن أمرًا خطيرًا عنيفًا يحدث هناك ..

عنيفًا للغاية ..

* * *

لنصف دقيقة كاملة ، حدّق (أكرم) فى شلال النار بذهول ، وقلبه يرتجف بين ضلوعه فى عنف ، قبل أن تنطلق انفعالاته من أعمق أعماق صدره ، فى صرخة قوية مرتاعة :

- يا إلهى ! (نور) !!!

لم يكد ينطقها ، حتى التقطت أذناه صوتًا بعيدًا ضعيفًا يهتف باسمه ، فانتفض جسده فى عنف ، وهتف فى شىء من الذهول :

- (نور) ؟!

مرة أخرى ، تردّد النداء فى أذنيه ..

كلاً .. ليس فى أذنيه ..

فى عقله ..

نعم .. فى أعمق أعماق خلايا مخه الرمادية ..

وانعقد حاجباه فى توتر بالغ ، وجسده يرتجف من فرط الانفعال ، الذى اكتسى به لسانه ، وهو يقول فى عصبية زائدة :

- (نور) ؟! أهو أنت ؟!

ارتفعت نبرة الصوت أكثر فى أعماقه ، وهو يقول :

- لاتخف يا (أكرم) .. اقفز .. اقفز كما فعلت أنا .. هيا .

حدّق (أكرم) فى شلال النار المنهمر ، وكرّر فى ارتياع :

- أقفز ؟! وسط جدار النار هذا ؟! مستحيل !

مرة أخرى ، تردّد الصوت فى أعماقه باهتًا ضعيفًا :

- لاتخف يا (أكرم) .. اقفز .

انعقد حاجباه أكثر ، وسرى توتر رهيب فى عروقه ، وراح جسده يرتجف أكثر وأكثر ، على الرغم من الحرارة الشديدة ، التى تلفح جسده ، من النيران المنهمرة على مسافة أمتار قليلة منه ..

ولكن عقله انطلق يعمل كالصاروخ ..

ترى ما الذى يتردّد فى أعماقه بالضبط ؟!

أهو (نور) ، يستغل تلك القدرة العقلية ، التى

اكتسبها بغتة ، والتى قرأ بوساطتها أفكاره منذ قليل ؛ ليرشده برسالة تخاطرية ، عما ينبغى أن يفعله ، ليتجاوز شلال النار ؟!

أم أنها خدعة جديدة ، من ذلك الكاهن الرهيب ؟!

خدعة لدفعه إلى قلب النيران ، كما فعل مع (نور) ..

ربما كانت تلك القدرة العقلية هى أساس الخدعة ..

ربما ..

ذلك الكاهن أكسبه إياها ، حتى يدفعه برسالة وهمية إلى القفز وسط النيران الرهيبة ..

ربما أن هذا ما حدث بالفعل ..

وما دفع (نور) إلى القيام بتلك القفزة الجنونية !

والآن تتكرّر اللعبة معه ..

هذا هو التفسير المنطقى لما يحدث ..

خاصة وأن (نور) قد اختفى تمامًا وسط اللهب ، ولم يعد يجيب نداءاته ..

ولكن مهلاً ..

إنه أيضًا لم يطلق صرخة واحدة ..

لقد قفز وسط نيران مستعرة ، يكاد لفحها يشعل ثيابه ، دون أن يطلق صرخة ألم واحدة !!

وهذا مستحيل !

لا آلام تفوق آلام النار(*).

لهذا توعّد بها الله (سبحانه وتعالى) الكفار والمشركين والمذنبين ..

ومن المستحيل أن يسقط شخص ـ أى شخص ـ وسط نيران رهيبة كهذه ، دون أن يطلق ولو صرخة واحدة !

مستحيل !

مستحيل !

مستحيل !

(*) حقيقة .

هذا يعنى أن الاحتمال الأول هو الأرجح ، على الرغم من غرابته ، وتعارضه الشديد مع العقل والمنطق ، وكل قواعد العلم المعروفة ..

« اقفز يا (أكرم) .. اقفز .. »

تردّد النداء فى أعماقه مرة أخيرة ، بصوت باهت للغاية ، تلاشت نهايته دون أن تكتمل ، فانتفض جسده مرة أخرى ، وزاد انعقاد حاجبيه ، حتى كادا يمتزجان ، وهو يعتصر ذهنه وإرادته لاتخاذ القرار ..

أخطر قرار فى حياته كلها ..

قرار بأن يقفز بإرادته وسط أكثر شىء أثار رهبته وخوفه ، فى حياته كلها ..

شلال النار ..

وبصعوبة بالغة ، ازدرد لعابه ، وتمتم مكررًا العبارة ، التى تتردّد فى أعماقه :

ـ اقفز يا (أكرم) .. اقفز ..

تراجع فى توتر شديد ، ووقف يتطلّع برهبة بالغة إلى شلال النار ، قبل أن يضمّ شفتيه ، متمتمًا فى خفوت وحزم شديدين :

ـ على بركة الله .

ودون أى سبب منطقى ، انطلقت من حلقه صرخة عالية ، وهو يندفع بكل قوته نحو شلال اللهب ، و ... ويقفز ..

بحركة غريزية ، رفع ذراعيه ليحمى وجهه ، من لفح النيران الرهيب ، وجسده يندفع عبر النيران ، و ...

وفجأة ، تلاشى اللفح دفعة واحدة ..

ودون ذرة ألم واحدة ..

وفى لحظة عبوره ألسنة اللهب المنهمرة ، رأى (نور) ..

رآه يقف على حافة أخرى ، خلف شلال النار ..

نفس الحافة التى هبط بقفزته فوقها ، وهو يهتف فى انفعال شديد :

ـ رباه ! لقد فعلتها يا (نور) .. فعلتها .

ابتسم (نور) ، وهو يضع يده على كتفه فى ارتياح ، قائلا :

ـ نعم يا صديقى .. لقد فعلناها .

استدار (أكرم) يتطلّع إلى شلال النار من الجانب الآخر ، هاتفًا :

ـ ولكن كيف يا (نور) ؟! كيف ؟! لقد عبرنا جدارًا من اللهب ، دون ذرة ألم واحدة !! كيف ؟!

أشار (نور) إلى شلال النار ، قائلاً :

ـ إنها ليست نارًا حقيقية يا صديقى ، بل مجرّد خداع بصرى ضوئى فحسب .

اتسعت عينا (أكرم) فى دهشة ، وهو يهتف معترضًا :

ـ مستحيل ! لقد شعرنا بلفحها الرهيب !

ابتسم (نور) ، قائلاً :

ـ هنا تكمن براعة الخدعة يا صديقى .. اللفح ..

تيار من هواء ساخن ملتهب ، أمام جدار من اللهب الزائف ، يوحى بأنك تواجه شلالاً من النار .

حدّق (أكرم) فيه بذهول ، وعاد يتطلّع إلى شلال النار ، مغمغمًا :

ـ مستحيل !

ثم هزّ رأسه فى شدة ، وكأنما ينفض عنه ذهوله ، قبل أن يهتف :

ـ ولكن كيف ؟! كيف أدركت هذا ؟!

هزّ (نور) كتفيه ، مجيبًا :

ـ لم أدركه ، ولكننى استنتجته .

غمغم (أكرم) مبهورًا :

ـ استنتجته ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

ـ لفح النيران كان يهبّ فى وجهينا ، وكأنما تدفعه

الرياح نحونا ، فى حين أن ألسنة اللهب تنهمر ، من أعلى إلى أسفل .. وانهمارها على هذه الصورة أثار شكوكى منذ البداية ، لأنه يخالف كل نظم وقواعد الطبيعة .

همهم (أكرم) فى عصبية :

ـ كل ما واجهناه هنا يخالف كل نظم وقواعد الطبيعة ، والكيمياء ، وحتى علم الحشرات .

هزّ (نور) كتفيه مرة أخرى ، قائلاً :

ـ هذا صحيح ، ولكن شيئًا ما فى أعماقى أنبأنى بأن هذه النيران ليست حقيقية .

سأله (أكرم) فى اهتمام متوتر :

ـ شىء مثل ماذا ؟!

تنهّد ، وهو يهزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ لست أدرى .

حدّق (أكرم) فى وجهه لحظة ، ثم سأله فى اهتمام عجيب :

- وهل وثبت عبر النيران ، اعتمادًا على استنتاجك ، وذلك الشىء الغامض فى أعماقك فحسب ؟!

أومأ (نور) برأسه ، قائلاً :

- ألا يكفى هذا ؟

سأله فى اهتمام أكثر :

- هل تثق باستنتاجاتك إلى هذا الحد ؟!

ابتسم (نور) ، وربت على كتفه ، قائلاً :

- ألم تدرك هذا أبدًا يا صديقى ؟!

تراجع (أكرم) ، وهو يتطلع إليه ، مجيبًا بأنفاس مبهورة :

- بل أدركته .

وصمت لحظة ، ثم هزّ رأسه ، مضيفًا :

- ولكننى لم أتصورّ أن يبلغ حد القفز وسط النيران .

ومط شفتيه ، ليتابع فى عصبية :

- ثم كيف ..

استوقفه (نور) بإشارة من يده ، قائلاً :

- رويدك يا صديقى .. أيًا كانت ماهية ذلك الشىء ، فقد عبرناه بالفعل ، ومن العجيب أن ينشغل ذهنك بأمره ، حتى لا تنتبه إلى ما نواجهه هنا .. على الجانب الآخر .

تتبع (أكرم) إشارة يد (نور) ببصره ، و ...

واتسعت عيناه عن آخرهما فى ذهول ..

فعلى الرغم من الظلام ، الذى يسود ذلك الجانب أيضًا ، إلا أن عينى (أكرم) أمكنهما تمييز ما يمتدّ أمامه ، إلى مدى الرؤية ..

لقد كان صحراء ..

صحراء قاحلة مخيفة ..

فى قلب الأحراش .

* * *

٢ ـ الصحراء ..

لم يكد (أمجد صبحى) ، المستشار الأمنى الخاص لرئيس الجمهورية ، يدخل مكتب الرياسة ، فى قلب (القاهرة) الجديدة ، حتى سأله الرئيس ، فى لهفة متوترة :

ـ (أمجد) .. هل بلغتك أخبار بعثتنا فى (إفريقيا) ؟!

أومأ (أمجد) برأسه إيجابًا ، وهو يجيب فى حزم :

ـ بالتأكيد يا سيادة الرئيس ؛ فهذا جزء من طبيعة عملى .

عاد الرئيس إلى مقعده ، وهو يسأله فى قلق شديد :

ـ ما تقييمك للموقف إذن ؟!

أجابه (أمجد) فى سرعة وحزم :

ـ فى منتهى السوء .

أخذ الرئيس بالجواب الصريح المباشر ، فحدّق فى وجه (أمجد) ، مغمغمًا :

ـ إلى هذا الحد ؟!

بدا (أمجد) غاضبًا إلى حد ما ، وهو يجيب :

ـ الواقع يا سيادة الرئيس أن هذا السؤال كان ينبغى أن يسبق الحملة ، لا أن يعقبها ، فمن وجهة نظرى كمستشار أمنى لسيادتكم ، وكرجل مخابرات سابق ، أرى أن الحماسة قد جرفت الجميع ، للقيام بعملية عاجلة حاسمة ، لكشف ذلك الهرم من الغموض والأسرار ، الذى خلفه ذلك الكاهن وراءه ، بعد تلك الأمور الرهيبة ، التى قام بها ، دون أن ينتبه شخص واحد إلى مدى ما تعنيه هذه العملية ، وما تحمله من مخاطر بلا حدود .

غمغم الرجل :

ـ جميعهم كانوا يعرفون مدى الخطر .

أشار (أمجد) بسبابته ، قائلاً :

- ربما بالنسبة لأنفسهم ، ولكن ليس بالنسبة للنظام كله .

هتف الرئيس مستنكرًا :

- النظام ؟! وما شأن النظام ؟!

تحرك (أمجد) فى الحجرة ، كعادته كلما اقترن تفكيره بحديثه ، وهو يقول :

- المعلومات التى تم جمعها على عجل ، تؤكد أن تلك الدولة الإفريقية كلها تعلم بأمر ذلك الكاهن ، منذ زمن طويل للغاية ، وكلهم هناك يخشونه ، ويخشون مجرد التحدث عنه .. حتى المسئولين ، على كل المستويات ، وهذا يعنى أن بعثتنا ستواجه العداء منذ اللحظة الأولى ، باعتبارها مجموعة أجنبية ، تسعى لتلويث (أرض الأرواح الخالدة) ، كما يطلقون عليها الآن .. وحتى يتم تفادى هذا ، بكل مايمكن أن يحمله من تبعات ، كان من الضرورى القيام بعملية تمهيدية ، بوساطة مخابراتنا العامة ، قبل وصول البعثة إلى هناك .

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يقول فى عصبية :

- ولكن هذا لم يحدث ، والأمور تعقدت بشدة الآن ، ولسنا ندرى ما الذى تواجهه بعثتنا ، فى قلب تلك الأحراش الإفريقية الرهيبة .. بل ولا ندرى حتى ما إذا كانوا على قيد الحياة ، أم ابتلعتهم تلك الأحداث الجهنمية هناك ، فهل سنبكى على اللبن المسكوب ، أم نبحث عن حلّ لذلك الموقف الغامض المخيف ؟!

هزّ (أمجد) رأسه فى بطء ، قائلاً فى حزم :

- ومتى كان للبكاء على اللبن المسكوب فائدة ؟!

ثم بدا صارمًا حازمًا ، وهو يضيف :

- منذ حداثتى ، تعلمت أن الخطوة الأولى ، للقيام بعملية ناجحة ، هى المعلومات .. معلومات عن كل ما يتعلق بالخصم أو بالعملية نفسها .

قال الرئيس فى شىء من اليأس :

- لقد بذل خبراؤنا كل جهد ممكن ، ودرسوا وحللوا

كل ما أمكنهم الحصول عليه من نتائج ، إلا أن هذا لم يمنحهم أية معلومات ، فتلك الأحراش كثيفة إلى حد مدهش ، وغامضة إلى حد مخيف ، ثم إن كل شيء فيها يسير على نمط غير طبيعى ، إلى الحد الذى يستحيل معه استنتاج أو استنباط أى أمر يختصّ بها ، وبما يحدث داخلها .

انعقد حاجبا (أمجد) بشدة ، وهو يغمغم فى تفكير عميق :

- فى الحالات المماثلة ، كنا نلجأ قديمًا إلى عمليات الاستطلاع المباشر .

تمتم الرئيس مستفسرًا :

- عمليات استطلاع مباشر ؟!

أجابه (أمجد) فى حزم :

- نعم .. فى الأيام الخوالى ، عندما كنا نفشل فى اختراق نظام منيع ؛ للحصول على المعلومات ، كنا نلجأ إلى عملية انتحارية ، نرسل من خلالها فريقًا

مدربًا ، للحصول على المعلومات من المصدر مباشرة ، ونقلها إلى قسم معلوماتنا .

بدا الاهتمام على رئيس الجمهورية ، وهو يقول ، وقد استهوته الفكرة إلى حد كبير :

- ولكن تلك الدولة الإفريقية لن تقبل أى تدخُّل منا ، يحمل أية صفة عسكرية ، أو شبه عسكرية ، ثم إن هناك مشكلة أخرى ، وهى أن منطقة الأحراش تدخل ضمن ما أطلقنا عليه اسم منطقة العدم ، وانعدام الرؤية الرقمية ، وهذا يعنى أنه لا توجد وسيلة واحدة لنقل المعلومات ، من داخلها إلى خارجها ، ولا حتى لتشغيل أية أجهزة متطوِّرة هناك .

قال (أمجد) فى حزم :

- ربما كانت هذه مشكلة ، بالنسبة لرجال المخابرات العلمية ، الذين اعتادوا التعامل دومًا مع التكنولوجيا والأجهزة المتطوِّرة ، وحتى بالنسبة لرجال قوات الصاعقة الحاليين ، الذين تدربوا على استخدام أجهزة الرؤية الليلية ومدافع الليزر .. ولكن ماذا لو اعتمدنا

على شخص ينتمى إلى الطراز التقليدى القديم ؟ شخص يهبط بمظلة ، خلف خطوط العدو ، ويجمع المعلومات بأسلوب نمطى ، مع قدرته على التعامل مع أية تطورات مفاجئة فى الوقت ذاته ، بحيث يعود بالمعلومات ، أو يشارك فى إنقاذ أو مؤازرة (نور) وفريقه ، وأفراد بعثته هناك .

تساءل الرئيس فى حيرة :

ـ وأين نجد مثل هذا الرجل الآن ؟!

التقط (أمجد) نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب بمنتهى الحزم :

ـ هنا .

تطلّع إليه الرئيس لحظة فى تساؤل ، قبل أن تتسع عيناه فى شدة ، وقد أدرك ما يعنيه (أمجد) بقوله ..

ومن المؤكّد أن هذا كان بالنسبة إليه مفاجأة !!

مفاجأة مدهشة !

* * *

لدقيقة كاملة ، وقف (نور) و(أكرم) يتطلعان فى قلق شديد إلى تلك الصحراء العجيبة ، التى تمتدّ إلى مدى الرؤية ، وسط ذلك الظلام المهيب ، وعلى نحو يستحيل وجوده فى الطبيعة ، وسط أحراش كثيفة كهذه ..

ثم غمغم (أكرم) ، فى توتر بالغ :

ـ الدكتور (مينا) لم يشر قط إلى هذه الصحراء !

قال (نور) ، فى توتر مماثل :

ـ ربما لم تكن هنا ، عندما قاموا ببعثتهم الأولى .

استدار إليه (أكرم) فى حدة ، هاتفًا باستنكار :

ـ لم تكن هنا ؟!

غمغم (نور) :

ـ ربما .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ المهم أن نمضى فى طريقنا ، فمن المؤكّد أن رفاقنا ينتظروننا فى مكان ما .. فى قلب هذه الصحراء ، أو خلفها .



لدقيقة كاملة ، وقف (نور) ، و(أكرم) يتطلعان فى قلق شديد إلى تلك الصحراء العجيبة ..

قالها ، ومضى فى سبيله بالفعل ، فتبعه (أكرم) ، متسائلاً فى عصبية :

ـ هل تعتقد أنهم ينتظروننا بالفعل ؟!

سأله (نور) ، وهو يسير فوق رمال تلك الصحراء الغامضة :

ـ ماذا تعنى بسؤالك ؟!

ازدرد (أكرم) لعابه فى توتر ، قبل أن يقول فى عصبية أكثر :

ـ أعنى أما زالوا على قيد الـ ...

لم يستطع إكمال عبارته ، فعضّ شفتيه فى مرارة ، ثم هتف فى غضب :

ـ آه لو وقع ذلك الكاهن الحقير فى قبضتى .. سأجعله يندم على لحظة مجيئه إلى عالمنا .

انعقد حاجبا (نور) ، وقد جذبت العبارة انتباهه واهتمامه إلى حد كبير ..

لحظة مجيئه إلى عالمنا !

تُرى كم تحمل عبارة (أكرم) هذه من حقائق ؟!

كم يمكن أن تقترب من واقع الأمور ؟!

القوة الرهيبة ، التى يتمتَّع بها ذلك الكاهن توحى بأنه لا يمكن أن ينتمى إلى عالمنا ..

وبأى حال من الأحوال ..

فهل يمكن أن ينتمى إلى عالم آخر بالفعل ؟!

هل ؟!

ولو أنه كذلك ، فمتى جاء إلى عالمنا ؟!

وكيف ؟!

ولماذا ظلَّ لسنوات ، لايعلمها إلا اللّه (سبحانه وتعالى) ، دون أن يشعر بوجوده أحد ؟!

ثم لماذا انتفض من صمته بكل هذا العنف ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

تُرى هل استولت البعثة الأولى على أشياء ، يمكن أن تكشف هويته أو منشأه ؟!

لقد سمح لهم بتصوير وتسجيل كل ما يحدث فى منطقة نفوذه ، وهذا يعنى أن أجهزتهم كانت تعمل هناك ، وأن ما يسجلونه لم يكن يقلقه ، بأى حال من الأحوال ..

ولكن ما إن سرقوا مقتنياته ، حتى جن جنونه ..

وانطلق خلفهم كألف شيطان ..

وبكل قوته وطاقته ، قرَّر استعادة تلك الأشياء ..

وعلى رأسها ذلك الإصبع المخيف ..

إصبع الشيطان ..

لقد جهر بوجوده ، أمام أعين المئات ، ليستعيده ..

وبأى ثمن ..

وهذا يعنى أن ذلك الإصبع يمثل بالنسبة إليه أهمية بالغة ..

وللغاية ..

بل كل الأهمية ..

حتى تلك الجمجمة ، التى أغرقت الدكتور (حجازى) والدكتور (عبادة) فى تجربة رهيبة ، لم تكن تمثل له الأهمية نفسها ، بأى حال من الأحوال ..

صحيح أنه قد استعادها أيضًا ، ولكنه لم يسع إليها بنفس العنف والشراسة أبدًا ..

وهذا يعنى أن لإصبع الشيطان أهمية خاصة ..

خاصة جدًّا ..

« يا إلهى ! (نور) !! »

انتزعه هتاف (أكرم) المباغت من شروده وأفكاره ، فاستدار إليه فى سرعة متوترة ، ولكنه رآه يشير فى انفعال إلى قلب الصحراء ، فعاد بعينيه إلى حيث يشير ، و ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

فما رآه أمامه ، فى قلب تلك الصحراء الغامضة كان مفاجئًا ومذهلاً ..

وإلى أقصى حد !

* * *

فجأة ، ودون مقدمات ، استعاد (رمزى) شعوره بما حوله ..

لم يكن نائمًا ، أو فاقد الوعى ، وإنما خُيِّل إليه أن كيانه كان غائبًا ، ثم عاد إلى جسده بغتة ، فانتفض ، واعتدل ، و ...

وشعر ..

وكان من الواضح أن هذا ما حدث للجميع ، فى آن واحد ..

كانوا كلهم يقفون داخل قاعة المعبد الواسعة ، بمحاذاة جدرانه المرتفعة ، ذات النقوش الهيروغليفية ، الممتزجة برموز سحرة (الفودو) ، وقد استعادوا أزياءهم القديمة ، وإن بدت وجوههم شاحبة ممتقعة على نحو عجيب ...

وفى منتصف تلك القاعة ، كان يستقر ذلك المذبح ، الذى يحمل آثار الدماء ..

وفى نهاية المعبد ، حيث الجدار الضخم ، المزدان

بنقوش شيطانية ، كانت تستقر تلك العلبة الزجاجية البدائية ، فوق عمود من الحجر ، وبداخلها تلك الإصبع الأخضر ، ذو الإظفر الأحمر بلون الدم .

إصبع الشيطان ..

وعلى مسافة متر واحد منه ، فى اتجاه مركز القاعة ، كان هناك وعاء ضخم من النحاس ، تشتعل تحته النيران ، وينبعث منه دخان خفيف ، ينتشر فى المكان كله بنعومة مخيفة .

وبكل توترها وانفعالها ، هتفت (نشوى) :

ـ أين نحن ؟!

أجابها الدكتور (حجازى) فى عصبية :

ـ فى المعبد المزدوج على الأرجح .

تطلعت (سلوى) إلى ما ترتديه فى دهشة ، قبل أن تهتف :

ـ ولكننا نرتدى ثيابنا العادية ! عجبًا .. ذاكرتى تصرّ على أننى كنت أرتدى زيًا فرعونيًا ، و ...

ارتجف جسدها مع صوتها ، وهى تضيف فى رعب :

ـ وأننى قد التقيت بـ (نور) ، فى قلب الأحراش ..

هتف الدكتور (عبادة) بكل عصبية الدنيا :

ـ كلنا تحمل ذكرى تلك الأزياء الفرعونية .. لاريب فى أنها تجربه حقيقية مررنا بها .

قال المقاتل (أشرف) فى توتر :

ـ تجربة التأمت معها كل جروحنا ، وشفيت كل إصاباتنا على نحو عجيب .

حرك الدكتور (رمسيس) ساقه ، وهو يقول فى دهشة :

ـ هذا صحيح .

تلفت المقاتل الآخر (ماجد) حوله فى توتر ، قبل أن يقول :

ـ ولكن لماذا نقف جامدين هنا هكذا ؟!

قالها ، وتحرك من مكانه ، و ...

وفجأة ، انطلقت من حلقه صرخة ألم هائلة ، وهو يتراجع إلى حيث كان ، صائحًا فى حدة :

- ماذا يحدث ؟!

أجابه (رمزى) بكل توتره :

- لو نظر كل منكم حول قدميه ، لرأى دائرة فضية تحيط به .. ومن الواضح أن هذه الدائرة هى النطاق ، الذى يمكننا التحرك فيه ، فإذا ما حاولنا تجاوزه ، تنقضّ علينا تلك الآلام الرهيبة ، التى صرخ من هولها النقيب (ماجد) .

سألته (مشيرة) فى ذعر :

- هل يعنى هذا أننا سنظلّ واقفين هنا إلى الأبد ؟!

قال الدكتور (حجازى) ، فى سخرية مريرة :

- لو أن هذا كل ما يقلقك ، فالدائرة تتسع للجلوس أيضًا .

صاحت به فى عصبية :

- كيف يمكنك أن تمزح ، فى ظل هذه الظروف ؟!

قال فى مرارة شديدة :

- وما الذى يمكننى أن أفعله سوى هذا ؟!

قالت (سلوى) فجأة فى انفعال شديد :

- مهلاً .. هل لاحظتم هذا ؟!

التفت إليها الجميع فى تساؤل قلق ، فتابعت فى سرعة :

- أشعة الشمس تتسلل عبر الفتحات العليا للمعبد .

رفع الجميع أبصارهم إلى تلك الفتحات الصغيرة ، التى تتسلل عبرها أشعة الشمس الذهبية ، وقال (رمزى) :

- رباه ! هذا صحيح .. لقد تجاوزنا مرحلة الإظلام الشيطانى .

قال الدكتور (حجازى) فى لهفة :

- تُرى هل يسرى هذا على الآخرين ؟!

سأله الدكتور (رمسيس) فى حذر :

- ماذا تعنى ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى سرعة :

- أتحدث عن (نور) و(أكرم) .

هتف الدكتور (عبادة) فى عصبية :

- هل تتصوّر أنهما ما زالا على قيد الحياة ؟!

صاحت (سلوى) فى غضب :

- إنهما كذلك بالتأكيد .

أطلق نقيب البيطريين ضحكة ساخرة عصبية ، وهو يقول :

- هذا ما تتمنينه ، وليس ما يعبّر عن الواقع .

صاحت (نشوى) :

- إياك أن تتحدث عن أبى بهذه الانهزامية !

وهتفت (مشيرة) فى غضب :

- ولا عن زوجى .

أطلق الرجل ضحكة أكثر عصبية ، وقال فى عنف :

- يا للسخافة ! تتحدثن كما لو أننا نناقش انتخابات نادى هواة جمع الطوابع ! ألم تدركن ما نحن فيه بالضبط ؟! لقد سقطنا فى قبضة شيطان .. هل تفهمننى ؟! هل تفهمون جميعًا .. إننا فى قبضة شيطان .. شيطان يعبث بنا ، كما يعبث القط بالفأر ، قبل أن يضمّ قبضته ، ويسحقنا جميعًا .

كلماته العنيفة المحنقة أيقظتهم من سبات معنوى ، على حقيقة رهيبة مخيفة ..

حقيقة أنهم بالفعل فى قبضة شيطان ..

شيطان لا يرحم ..

أبدًا ..

وعندما يقفون مسجونين ، وسط تلك الدوائر الجهنمية ، فهم يجهلون تمامًا المصير الذى ينتظرهم ..

ولكن المستقبل يبدو مظلمًا ..

مظلمًا بحق ..

وفى توتر شديد ، غمغم المقاتل (ماجد) :

ـ وماذا لو وثبنا خارج هذه الدائرة ؟!

هتف به (رمزى) فى توتر :

ـ حذار أن تفعل .. ذلك الكاهن لايعبث .. ولايرحم .

انعقد حاجبا (ماجد) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ هناك حتمًا وسيلة ما ، لتجاوز هذا الحصار الخفى .. من المستحيل أن يمتدّ التأثير إلى مسافة واسعة .

تطلّع إليه الجميع فى قلق شديد ، فى حين قال (رمزى) فى توتر أكثر :

ـ لا تفعل شيئًا .

ولكن المقاتل استنفر قواه كلها ، وهو يقول فى حزم يمتزج بعصبيته :

ـ التجربة هى الوسيلة الوحيدة ، لحسم هذا الأمر .

صاح (رمزى) :

ـ حذار أن تُقدم على أية خطوة حمقاء .. قد يقتلك هذا .

بدا (ماجد) شديد الحزم والصرامة والإصرار ، وهو يتحفّز ، قائلاً :

ـ الموت أهون من الاستسلام لهذا السجن الوهمى السخيف .

قالها ، ثم وثب بغتة خارج الدائرة ، فصرخ (رمزى) فى ارتياع :

ـ لا .. لا ..

مع صرخته ، انتفض جسد المقاتل (ماجد) فى عنف ، وانطلقت من حلقه صرخة ألم هائلة ، امتزجت بصرخة (رمزى) البائسة اليائسة ..

وأمام العيون الذاهلة المذعورة ، سقط (ماجد) أرضًا ، وراح يتلوّى بآلام مبرحة ، وصرخات رهيبة ، فصاح به (رمزى) :

- عد يا (ماجد) .. عد إلى الدائرة .. عد ..

كان من الواضح أن المقاتل يعانى آلامًا لاقبل للبشر بها ، فقد زحف بصعوبة بالغة ، وهو يتلوَّى فى عنف ، محاولاً العودة إلى الدائرة الفضية ..

ثم صرخت (نشوى) فى رعب ، عندما اشتعلت النيران فجأة فى طرف حذائه ، وشهقت (سلوى) ، مع الوهج الذى انبعث من جسده كله ، فى حين هتفت (مشيرة) بكل رعب الدنيا :

- يا إلهى .. إنه .. إنه ..

لمس المقاتل (ماجد) تلك الدائرة الفضية ، قبل أن تتمَّ عبارتها ، وصرخات الألم ، التى تنطلق من حلقه ، تتزايد ، وتتزايد ، و ...

وفجأة ، اشتعلت النيران فى جسده كله دفعة واحدة ..

وشهق الرجال ..

وصرخت (سلوى) و(نشوى) .

أما (مشيرة) ، فقد اتسعت عيناها عن آخرهما ، ثم انهارت فاقدة الوعى ..

وفى ذهول مذعور ، حدَّق الكل فى جسد المقاتل ، الذى راحت النيران تلتهمه فى سرعة مدهشة ، وكأن ما يجرى فى عروقه ليس دمًا ، وإنما مادة سريعة الاشتعال ..

وخلال دقيقتين فحسب ، لم يتبق منه إلا بضع عظام محترقة ، ورائحة شواء مفزعة ، انتشرت فى المعبد كله ..

ولخمس دقائق كاملة تالية ، لم ينبس أحدهم ببنت شفة ..

ثم قطع الدكتور (رمسيس) ذلك الصمت الرهيب ، وهو يهتف :

- يا للبشاعة !

وهنا انهار الدكتور (عبادة) ، وراح يصرخ :

- إنها نهايتنا جميعًا .. كلنا سنلقى المصير نفسه ، إن عاجلاً أو آجلاً .. كلنا .. كلنا ..

وبكت (سلوى) و(نشوى) فى مرارة وذعر ، فى حين ارتجف صوت الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

- إذن فهذا مصيرنا ، لو حاولنا مغادرة تلك الدائرة ، أو ...

قاطعه (رمزى) هاتفًا فى انفعال مباغت :

- مهلاً .

التفت إليه الجميع فى ارتياع ، ولده الموقف البشع ، فتابع بنفس الانفعال ، وهو يشير إلى (مشيرة) الفاقدة الوعى :

- انظروا .. (مشيرة) فقدت وعيها .

غمغم الدكتور (رمسيس) فى حيرة :

- رد فعل طبيعى ، فالمشهد كان بشعًا للغاية ، و ...

قاطعه (رمزى) بانفعاله :

- ولكنها سقطت خارج الدائرة ، دون أن يصيبها شىء.

انتبه الجميع إلى الموقف مع هتافه ، فحدقوا فى (مشيرة) بدهشة ..

كان نصف جسدها بالفعل خارج الدائرة الفضية ، ورأسها يلمس حافتها ، على نحو جعل (سلوى) تقول بدهشة حقيقية :

- يا إلهى ! هذا صحيح .

هتفت (نشوى) :

- ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) فى شدة ، وهو يتطلع إلى (مشيرة) الفاقدة الوعى ، وأجابها فى بطء ، وكأنما يزن أفكاره وكلماته بدقة :

- التفسير العلمى المنطقى الوحيد ، هو أن فقدان الوعى يوقف التأثير القاتل لتلك الدوائر الفضية .

قال (رمزى) فى انفعال :

- لو أن إدراكنا هو الذى يمنح الدوائر الفضية قوتها ، وتأثيرها المدمر .

قالت (سلوى) فى قلق شديد :

ـ أيًا كان السبب ، ماذا سيحدث لو استعادت (مشيرة) وعيها الآن ، ونصف جسدها خارج الدائرة ؟!

تطلع الدكتور (حجازى) و(رمزى) إلى بعضهما فى ارتياع ، وعادا يتطلعان فى ذعر إلى (مشيرة) ، التى بدأت تتململ فى سقطتها ، على نحو يوحى بأنها قد بدأت فى استعادة وعيها بالفعل ..

أما الباقون ، فقد هوت قلوبهم بين أقدامهم ، وهم ينقلون أبصارهم فى رعب ، بين جسد (مشيرة) ، وبقايا المقاتل (ماجد) المحترقة ..

فالنتيجة المنتظرة كانت واضحة كالشمس ..

واضحة ومخيفة ..

للغاية .

* * *

٣ ـ المقاتل ..

« إننا نقترب من الهدف .. »

انطلقت العبارة من بين شفتى قائد الطائرة الخاصة ، من ذلك الطراز الذى يستحيل رصده(*) ، وهى تحلق على ارتفاع شاهق للغاية ، فوق أحراش تلك الدولة الإفريقية ، فى طريقها إلى منطقة العدم ، التى تتوقف فى مجالها كل الأجهزة ، وتنعدم كل الاتصالات ، فالتقط (أمجد) داخلها نفسًا عميقًا ، وقال فى حزم :

ـ واصل طريقك ، حتى نبلغ الهدف .

كان الطيار يشعر بقلق حقيقى ، وهو يتجه بطائرته عمدًا ، نحو أخطر منطقة طيران فى العالم ، لذا فقد راجع أجهزة طائرته الأساسية والاحتياطية ، قبل أن يغمغم :

ـ على بركة الله .

(*) الطائرات غير القابلة للرصد ، هى طائرات ذات تصميم خاص ، يمنع رصدها بوساطة موجات الرادار ، كما يتم طلاؤها بطلاء خاص شديد السواد ، بحيث يمتص كل الضوء والأشعة ، دون أن يعكس ذرة واحدة منهما .

أما (أمجد صبحى) نفسه ، فقد راجع أجهزته وحقيبة مظلته ، وهو يراجع الخطة التى وضعها بنفسه ، لاقتحام تلك الأحراش الرهيبة ، وجمع كل المعلومات الممكنة عنها ، أو التدخل عند الحاجة ..

وعلى الرغم من خطورة الموقف ، إلا أنه ـ وكعادته منذ زمن طويل ـ لم يحمل أية أسلحة نارية ، وإنما اكتفى بخنجر واحد ، وكأنما هو فى طريقه إلى نزهة أو رحلة صيد ، وليس إلى مهمة رهيبة كهذه ..

ومع اقتراب الطائرة من منطقة العدم ، قال مسئول القفز فى توتر :

ـ أأنت مستعد يا سيادة المستشار ؟!

أومأ (أمجد) برأسه إيجابًا ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ (أمجد) أيها المقدّم .. أفضّل أن تخاطبنى باسم السيِّد (أمجد) .

مطّ مساعد مسئول القفز شفتيه ، وكأنما يحنقه أن يبتسم (أمجد) ، وهو فى طريقه إلى مهمة كهذه ، فى حين قال المسئول نفسه فى احترام :

ـ فليكن يا سيِّد (أمجد) .. أظننا سنبلغ الهدف خلال دقيقة واحدة ، حسبما تقول الشاشة .

أشار إليه (أمجد) ، قائلاً بلهجة آمرة :

ـ هيا .. اجلسا على مقعديكما أنت ومساعدك ، وأحكما رباط حزامى الأمن ، قبل أن نصل .

أطاعه الرجلان على الفور ، فى حين انبعث صوت قائد الطائرة ، وهو يقول فى توتر ملحوظ :

ـ عشرون ثانية ، ونبلغ منطقة العدم .

التقط (أمجد) نفسًا عميقًا ، ثم فتح باب الطائرة ، فاندفع الهواء فى وجهه بعنف ، وهتف به مسئول القفز على نحو غريزى :

ـ احترس يا سيد (أمجد) .

أمسك (أمجد) حاجزًا معدنيًا جانبيًا داخل الطائرة ، وهو يقول فى حزم :

ـ اطمئن .

كان الهواء يندفع داخل الطائرة فى عنف ، وكل من بداخلها يضع على وجهه قناعًا خاصًا للتزوُّد بالأكسجين ، الذى ينخفض بشدة ، على هذه الارتفاعات الشاهقة ، والموقف كله متوتر للغاية ، وعلى الرغم من هذا فقد كانت عينا (أمجد) تتألقان ؛ وشفتاه تحملان ابتسامة عجيبة ..

فذلك الموقف ، وتلك الظروف ، كانت تعيد إليه ذكرى قديمة ..

بل ذكريات ..

ذكريات القتال ، والحرب ، وعمليات المخابرات ، و ...

فجأة ، اختلّ توازن الطائرة ، وتوقّفت محركاتها ، وهتف الطيار من كابينة القيادة ، بعد أن توقّفت كل الأجهزة عن العمل :

ـ نحن فوق منطقة الهدف ..

كانت الطائرة تهوى ، فتشبَّث مسئول القفز ومساعده بمقعديهما على نحو غريزى ، فى حين هتف (أمجد) :

ـ على بركة الله .

ثم وثب من الباب المفتوح ..

ودون ذرة واحدة من التردُّد ..

ومع قفزته ، جذب الطيّار تلك الذراع الإضافية فى كابينة القيادة ، فاشتعل المحرّك اليدوى الإضافى ، ودفع الطائرة إلى الأمام ، وهى ترتجُّ فى قوة ، إلى خارج منطقة العدم ..

وما إن تجاوزت حدودها ، حتى عادت محركاتها تعمل ، ففصل قائدها ذلك المحرّك اليدوى ، وعاد يسيطر عليها ، وهو يتنفّس الصعداء ، قائلاً :

ـ حمدًا لله .

وفى نفس اللحظة ، التى استعادت فيها الطائرة

توازنها ، وبدأت ترتفع لاستعادة مجال طيرانها المنشود ، هتف مساعد مسئول القفز فى عصبية :

- هل جازفنا بكل هذا ، من أجل عملية حمقاء ، يقوم بها كهل واحد ؟!

استدار إليه مسئول القفز فى غضب ، قائلاً :

- كهل واحد ؟! من الواضح أنك من الغفلة والحماقة ، حتى إنك تجهل تمامًا من هذا الكهل ، الذى تتحدث عنه بهذا الاستخفاف ..

وارتفع صوته ، وتضاعف غضبه ، وهو يتابع :

- هذا البطل ، الذى قفز أمام عينيك ، دون ذرة واحدة من التردد ، فى قلب منطقة أجنبية مجهولة ، تخشى الطائرات نفسها مجرد الاقتراب منها ، هو أفضل رجل أمن عرفته (مصر) ، خلال نصف قرن من الزمان ، والرجل الوحيد الذى ارتجفت لذكر اسمه يومًا أجهزة مخابرات أقوى دول العالم ، وأخطر منظمات الجاسوسية ، والمنظمات الإجرامية العالمية .

اتسعت عينا المساعد ، وهو يقول فى انبهار :

- إلى هذا الحد .

حلَّ مسئول القفز حزام مقعده ، وتشبث بحاجز معدنى ، ليجذب باب الطائرة ويغلقه ، قبل أن يجيب :

- وأكثر من هذا .

توقف اندفاع الهواء العنيف ، مع إغلاق الباب ، وعاد الضغط يتواءم داخل الطائرة ، فانتزع مسئول القفز قناع الأكسجين عن وجهه ، وهو يكمل فى حزم :

- ومادام قد اقتحم هذه المعركة ، فثق بأنه سيحدث فارقًا ..

وانعقد حاجباه ، وهو يضيف فى صرامة واقتضاب :

- حتمًا .

أما (أمجد) نفسه ، فقد وثب من الطائرة ، من هذا الارتفاع الشاهق ، وهو يضع على وجهه قناع الأكسجين ، وترك جسده ينزلق فى الهواء مستخدمًا كل خبراته ومهاراته القديمة ، وهو يدرس الأحراش ببصره ، على ضوء الشمس ، التى شارفت المغيب ..

كانت تبدو مخيفة بحق ، من هذا الارتفاع ..

ولثوان بدت له أشبه بفكي مصاص دماء شرس ، يستعدّ بأنيابه الحادة لاقتناصه ، فور سقوطه بينها ..

ولكن هذا لم يرهبه ..

ولم يفتّ فى عضده ..

كانت السنوات الطوال ، التى قاتل فيها كضابط صاعقة ، ثم كضابط عمليات خاصة ، فى صفوف المخابرات العامة ، قد نحتت قلبه من صخر صلب صلد[*] ، حتى إن الموت أو الخطر لم يعد لهما أدنى تأثير فى مشاعره أو قراراته ..

وعند الارتفاع المناسب ، جذب حبل المظلة ، التى استجابت على الفور ، وانفتحت ، وبدأت عملية الهبوط الهادئة ..

ومرة أخرى ، بدت له تلك الأحراش ، مع أضواء الغروب ، رهيبة مخيفة ..

(*) الصلابة : هى قدرة المادة على كسر غيرها من المواد ، أما الصلادة : فهى قدرة المادة على خدش غيرها من المواد الأخرى .

لقد كانت قمم أشجارها تتمايل على نحو عجيب ، وكأنها تواجه رياحًا عاصفة ، فى حين لم يكن يشعر من حوله بأية رياح زائدة ..

وانعقد حاجباه فى شدة ..

تلك الأحراش ليست طبيعية بالتأكيد ..

إنها تنتظره ..

شىء ما فى أعماقه يكاد يكون واثقًا من هذا ..

شىء ما ، وغريزة قوية ، جعلاه يدرك أنه سيواجه الخطر ، منذ اللحظة الأولى لهبوطه ، فى قلب تلك الأحراش ..

ولكن فجأة ، ودون مقدمات ، أدرك (أمجد صبحى) أن الخطر لن ينتظر هبوطه فى قلب الأحراش الرهيبة ..

هذا لأن النيران قد اشتعلت بغتة فى مظلته ..

والتهمتها فى لحظة واحدة ..

وهكذا ، وجد (أمجد) نفسه يهوى نحو الأحراش القاتلة ..



هذا لأن النيران قد اشتعلت بغتة في مظلته ..

ومن ارتفاع نصف كيلومتر على الأقل ..

وأمام عينيه ، تباعدت قمم الأشجار ، وبدت أشبه بفكين مخيفين ، يستعدان لالتهامه فور سقوطه ..

وبلا رحمة ..

* * *

ما رآه (نور) و(أكرم) ، فى قلب تلك الصحراء الغامضة ، كان مدهشًا بحق ..

وكما يحدث ، منذ بدأت تلك المهمة ، كان يخالف كل قواعد العقل والمنطق ..

فهناك ، على بعد كيلومتر واحد تقريبًا ، وعلى ربوة رملية مرتفعة ، كان يقف ذلك المعبد المزدوج شاهقًا ، تحت ضوء الشمس ..

نعم .. كانا يقفان وسط ظلام دامس ، ولكن أسطوانة من الضوء كانت تحيط بالمعبد ، وتمتدّ إلى أعلى ، على نحو يستحيل معه تحديد مصدرها ..

وفى ذهول ، تمتم (أكرم) :

ـ كيف يمكن هذا ؟! كيف لا ينتشر الضوء ليبدّد هذا الظلام الدامس ؟! كيف ؟!

غمغم (نور) ، وهو يتطلّع إلى ذلك المشهد الرهيب فى توتر شديد :

ـ كل شىء هنا لايتبع قواعد الفيزياء التى نعرفها ياصديقى .

هزّ (أكرم) رأسه فى قوة ، وهو يقول فى عصبية ذاهلة :

ـ مستحيل ! مستحيل أن يخضع له الضوء ، أو أن تخضع له قواعد الفيزياء ! مستحيل !

أجابه (نور) فى حزم :

ـ قواعد الدنيا لاتخضع إلا لله (سبحانه وتعالى) وحده ياصديقى ، ولكن العلم يكشف كل يوم قواعد جديدة ، قد تكسر ما كنا نتصوّره قاعدة فيزيائية ثابتة .. الضوء الذى يهبط أمامك ، على شكل أسطوانة

محدودة ، لاتنتشر فيما حولها ، ربما كانت له قواعد فيزيائية أيضًا ، تمامًا مثل أشعة الليزر ، التى تتكثّف فيها طاقة الضوء ، فى شعاع واحد ، والتى كسرت عند كشفها قاعدة فيزيائية قديمة ، كانت تتصوّر أن الضوء يتشتّت حتمًا ..

عاد (أكرم) يهزّ رأسه ، قائلا فى عصبية أكثر :

ـ أنت تعلم أننى لا أجيد هذه الأمور المعقّدة .

ربّت (نور) على كتفه ، قائلاً :

ـ لاعليك ياصديقى .. لاعليك .. سنطرح التفاسير العلمية جانبًا مؤقتًا ، ونركّز جهودنا كلها على بلوغ ذلك المعبد ..

تطلّع إليه (أكرم) فى دهشة ، قبل أن يسأله فى توتر :

ـ وما الذى يمنعنا من بلوغه ؟!

هزّ (نور) رأسه ، وهو يتطلّع إلى ذلك المعبد ، قائلاً :

- لست أدرى يا (أكرم) .. لست أدرى ياصديقى ، ولكننى واثق من أن بلوغه لن يكون بالأمر السهل .. أبدًا .

لم يستوعب (أكرم) هذا المنطق ، فمطّ شفتيه ، وأشار بيده إلى ذلك المعبد ، القابع وسط أسطوانة الضوء المبهر ، قائلاً :

- (نور) .. ذلك الشىء على بعد كيلومتر واحد منا على الأكثر ، ومهما كانت صعوبة السير على هذه الرمال ، فسنبلغه خلال ثلث الساعة على الأكثر(*) .

مطّ (نور) شفتيه ، وتمتم :

- أتمنّى هذا ياصديقى .. أتمنّى هذا .

وعاد يربّت على كتفه ، مستطردًا :

- هيا بنا .

(*) سرعة الإنسان العادى ، على الأرض الممهدة المنبسطة ، ستة كيلومترات فى الساعة .

بدأ سيرهما فوق الرمال ، فى اتجاه ذلك المعبد المزدوج الرهيب ، و(نور) يشعر فى أعماقه بأن تلك الرحلة المباشرة لن تكون سهلة أو آمنة ..

لن تكون كذلك أبدًا ..

أما (أكرم) ، فقد كان يشعر بتوتر عنيف فى أعماقه ، ويتساءل فى كل لحظة عما يقلق (نور) ..

وعما يمكن أن يحدث ..

ففى رأيه ، لم يكن الأمر يتجاوز ثلث الساعة ، من السير على الرمال ..

ولكن ثلث الساعة مضى ..

وبعده ثلث ثان ..

وثالث ..

السير على الرمال أجهدهما ..

ولكن المعبد ظلّ على نفس المسافة منهما ..

وكأنهما لم يقطعا مترًا واحدًا ..

وفى عصبية غاضبة ، هتف (أكرم) :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

هزّ (نور) رأسه ، وقال فى توتر :

ـ خداع بصرى آخر يا صديقى .

هتف (أكرم) :

ـ أى خداع بصرى هذا ؟! إننا نسير منذ ساعة كاملة ، ولكننا لا نصل إلى أى شىء .. لقد صعدنا وهبطنا ألف مرتفع رملى ، ولكننا لم نقترب من ذلك المعبد الحقير شبرًا واحدًا .

تطلّع (نور) طويلاً إلى ذلك المعبد ، وأسطوانة الضوء التى تحيط به ، قبل أن يقول :

ـ ربما لأنه ليس هناك .

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ ماذا تعنى بقولك هذا ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً فى توتر :

ـ أعنى أننا نسير منذ ساعة خلف وهم .. سراب .. خداع بصرى .

ثم تلفّت حوله ، مستطردًا :

ـ أنا واثق من أن ذلك المعبد هنا ، فى مكان آخر حولنا .. يختفى وسط الأحراش ، أو فى قلب الظلام .

تلفّت (أكرم) حوله بدوره ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أين يا (نور) ؟! أين ؟! لست أراه فى أى مكان ، إلا إذا كان هنا ..

وضرب الرمال بقدمه ، مستطردًا :

ـ تحت هذه الرمال .

قبل حتى أن يكتمل قوله ، ومع ضربة قدمه ، انهارت الرمال من تحته بغتة ..

وبشهقة دهشة مذعورة ، هوى جسده وسطها ..

لقد انهارت ، كاشفة فجوة سوداء عميقة ..

عميقة ..

بلا قرار ..

فجوة تهاوى جسده داخلها ، و ...

وفجأة ، قفزت يد (نور) تقبض على معصمه ..

وبحركة غريزية ، التفت أصابع (أكرم) حول معصم (نور) أيضًا ..

وسقط (نور) على وجهه ، وبدت له تلك الفجوة المظلمة الرهيبة ، التى تغوص وتغوص إلى مدى البصر ، وانزلق جسده فى بطء على الرمال ، وهو يبحث عبثًا عما يتشبث به بيسراه ، ويمناه تقبض على معصم (أكرم) بقوة ، وهذا الأخير يهتف :

ـ لا .. لا فائدة !

هتف به (نور) وهو يتشبث بآخر أمل ، على الرغم من انزلاق جسده أكثر وأكثر :

ـ لاتقل هذا ..

أفلت (أكرم) أصابعه ، من حول معصم (نور) ، وهو يهتف :

ـ اتركنى يا (نور) .. اتركنى قبل أن ينزلق جسدك ، ونسقط معًا .

هتف (نور) فى حزم :

ـ لا .. لن أتخلَّى عنك أبدًا .

صاح (أكرم) ، وهو يقاوم أصابع (نور) ، الممسكة بمعصمه :

ـ افلتها ياصديقى .. افلتها .. اتخذ قرار قائد .. لاتقتلنا معًا ، بسبب عاطفة سخيفة .. إننا الأمل الأخير للباقين يا (نور) .. لاتنس هذا .

كان جسد (نور) ينزلق أكثر وأكثر على الرمال ، ولكنه صرخ بكل الحزم والعزم والإصرار :

ـ محال .

انتزع (أكرم) مسدسه من حزامه بيسراه ، ورفع فوهته نحو (نور) صائحًا بكل انفعاله :

ـ اتركنى وإلا ..

قبل أن يكتمل وعيده ، انهارت حافة الرمال فجأة تحت (نور) فاختلّ توازن جسده ، و ...

وهوى ..

هوى مع (أكرم) فى تلك الفجوة العميقة ..

العميقة ..

بلا قرار ..

* * *

« (مشيرة) .. لاتستيقظى .. أرجوك .. »

هتفت (سلوى) بالجملة ، فى صوت أقرب إلى البكاء ، ودموعها تغرق وجهها ، فى حين راحت (مشيرة) تتململ فى رقدتها ، على نحو يوحى بأنها على وشك استعادة وعيها ، فهتف الدكتور (حجازى) فى ارتياع :

ـ لايمكن أن نتركها هكذا .. لو استعادت وعيها ، وجسدها خارج الدائرة الفضية ، ستحترق كشعلة لهب ، كما حدث لهذا المقاتل المسكين .

قال الدكتور (رمسيس) فى توتر بالغ :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل ؟!

صاح الدكتور (عبادة) فى انهيار :

ـ ليس هناك مانفعله .. ليس لدينا مايمكن أن نفعله .. لقد انتهى أمرنا جميعًا .. انتهى تمامًا .

صرخت فيه (نشوى) :

ـ اصمت أرجوك .. اصمت .. لم أعد أحتمل كلماتك .. اصمت .

ارتفع صوت (رمزى) فوق صرختها ، وهو يصرخ بدوره :

ـ اصمتوا جميعًا .

صرخته الهادرة جعلتهم يغلقون أفواههم ، ويلتفتون إليه بحركة واحدة ، فانعقد حاجباه ، وهو يتطلَّع إلى (مشيرة) ، قائلاً :

- الإيحاء .

سألته (سلوى) فى خفوت حذر :

- ماذا تعنى ؟!

أجابها فى سرعة وحزم :

- (مشيرة) الآن فى تلك المنطقة ، بين الغيبوبة والوعى ، وفى تلك المنطقة يصبح عقلها مستيقظًا بدرجة تكفى لإدراك المؤثرات الخارجية ، ولكن ليس إلى درجة تفنيدها ، واتخاذ القرار المناسب بشأنها ، وهذا يعنى أنها ستطيع كل ما تسمعه فى آلية ، لو تم توجيهه إليها بالأسلوب المناسب .

غمغم الدكتور (عبادة) فى عصبية :

- لم أفهم بعد .

قال (رمزى) فى صرامة :

- اصمتوا جميعًا إذن ، واحبسوا أنفاسكم لو اقتضى الأمر .

أطاعه الكل دون مناقشة ، فانعقد حاجباه بشدة ، وهو يتطلَّع إلى (مشيرة) مباشرة ، وبدا صوته عميقًا ، وكأنما يأتى من أغوار سحيقة ، وهو يقول :

- عودى إلى الدائرة الفضية يا (مشيرة) .. عودى واجلسى داخلها تمامًا .

تململت (مشيرة) فى رقدتها ، وكأنما سمعت ماقاله ، فكرَّر بعمق أكثر :

- عودى يا (مشيرة) .

تململت (مشيرة) أكثر ، وضمت ركبتيها إلى صدرها ، فى وضع جنينى ، وهى تتأوَّه فى خفوت ، فكرَّر (رمزى) :

- عودى إلى الدائرة يا (مشيرة) .

لثوان ، خُيِّل إليهم أنها لم تسمع حرفًا واحدًا مما قاله (رمزى) ..

ثم فجأة ، زحفت بجسدها ، وضمت ساقيها ، لتصبح كلها داخل الدائرة الفضية ..

وفى حركة آلية عجيبة ، اعتدلت جالسة ، وغمغمت :

- ماذا حدث ؟!

كادت (سلوى) تهتف بعبارة ما ، ولكن (رمزى) استوقفها بإشارة صارمة من يده ، قبل أن يقول ، بنفس الصوت العميق :

- لقد انتهى الأمر .. افتحى عينيك .. لقد انتهى الخطر .

فتحت (مشيرة) عينيها فى بطء ، وحدقت فيما حولها ، ثم أطلقت شهقة مكتومة ، وهى تهتف :

- رباه ! هل ..

قاطعها (رمزى) فى سرعة :

- كل شىء على ما يرام يا (مشيرة) .. لقد زال الخطر .

حدقت فيه بدهشة ، ثم عادت تحدق فى الآخرين ، قبل أن تهتف :

- أى خطر .. كل شىء ما زال على ما هو عليه .

غمغم الدكتور (حجازى) :

- هذا أفضل ما يمكن أن نأمله .

لم تكد عبارته تكتمل ، حتى تلاشى ضوء الشمس ، الذى يتسلل عبر فتحات السقف ، وانسحب فى سرعة ، ليحل محله ذلك الظلام المخيف ، فصرخ الدكتور (عبادة) :

- ماذا سيحدث ؟! ماذا سيحدث ؟!

مع آخر حروف صرخته دوت فرقعة مكتومة فى المكان ، وانبعثت أبخرة كثيفة من ذلك الوعاء النحاسى الكبير ..

ثم فجأة ، ظهر ذلك الكاهن الرهيب ..

ظهر خلف الوعـاء النحاسى ، مع تلاشى الأبخرة ، وهـو يتطلّع إلى الجميع بنظـرة نـارية شـيطانية ، وحشية ..

نظرة ارتجفت لها قلوبهم ، وتجمّدت لها الدماء فى عروقهم ، واختنقت معها الكلمات ، وحتى الصرخات ، فى حلوقهم ..

ولدقيقـة كاملة ، ظلّ الكل صامتًا مبهوتًا ، وكلهم يتطلّعـون إلى الكاهن ، الذى ظلّ ساكنًا كتمثال من الرخام ، وعيناه تتألقان بذلك البريق المخيف ، قبل أن يستدير فجأة بحركة حادة ، إلـى الصندوق الزجاجى ، الذى يحوى إصبع الشيطان ، ثم رفع ذراعيـه إلى أعلى بحركة مباغتة ..

ومع حركته ، شعر الكل فجأة بآلام رهيبـة فى رءوسهم ..

آلام جعلتهم يطلقون صرخات قوية ، وهم يمسكون رءوسهم فى عنف ، و ...

وفجأة ، خفض الكاهن ذراعيه ..

وتلاشت الآلام كلها دفعة واحدة ..

ثم استدار الكاهن إليهم ، بنفس النظرة الرهيبة ..

المخيفة ..

الوحشية ..

وعاد إليهم ذلك الصمت الرهيب المهيب ..

وشعر (رمزى) بخيط من الدم ، يسيل من أنفه ، وشاهد رفاقه كلهم يعانون الشىء نفسه ..

وقبل حتى أن يمسح خيط الدم ، انحنى الكاهن يلتقط تلك الجمجمة غير البشرية ..

واتسعت عينا الدكتور (عبادة) فى ارتياع ، وهو يستعيد ذكرى خبرته السابقة مع تلك الجمجمة ..

وانعقد حاجبا الدكتور (حجازى) فى شدة ، للسبب نفسه ..

وبغتة ، انطلق من تلك الجمجمة شعاع قوى ، سطع فى وجوه الكل ، كألف ألف مصباح من مصابيح التصوير ..

ومع الضوء القوى ، أغلق الكل عيونهم بشدة .. وعندما عادوا يفتحونها ، اتسعت عن آخرها فى ذهول ..

فقد تلاشى المعبد كله من حولهم ..

تلاشى بجدرانه ، ونقوشه ، ومذبحه ..

وأحاط بهم ظلام مخيف ..

ظلام بدا وكأنه العدم نفسه ..

إلا من بقعة واحدة ..

بقعة جعلت قلب (نشوى) يرتجف بين ضلوعها فى

عنف ، وجعل (سلوى) تطلق صرخة رعب قوية ، فى حين اتسعت عينا (مشيرة) عن آخرهما ، وهى تصرخ :

ـ لا .. ليس (أكرم) .. ليس (أكرم) ..

ففى تلك البقعة المضيئة ، كان (نور) و(أكرم) يواجهان أمرًا رهيبًا ..

رهيبًا إلى أقصى حد .

* * *



٤ـ خيوط العنكبوت ..

فجأة ، وجد (أمجد صبحى) نفسه يهوى من حالق ، نحو تلك الأحراش الرهيبة ، بعد أن احترقت مظلته دفعة واحدة دون مقدمات ..

كان موقفًا رهيبًا بحق ، وخاصة مع غروب الشمس ، الذى يلقى ظلالاً مخيفة على كل شىء ، والذى يجعل تلك الأحراش تبدو وكأنها وحش مفترس ، يفتح فكيه عن آخرهما لالتهامه بلا رحمة ..

ولقد راح جسده يهوى ..

ويهوى ..

ويهوى ..

ولكن ذرة واحدة فى جسد (أمجد) لم تشعر بالخوف أو الفزع ..

فبحركة سريعة ، جذب حبلاً رفيعًا فى حزام حقيبة المظلة ، فانفصلت البقية الباقية من أحبال مظلته المحترقة ، وطارت بعيدًا ، فى حين جذب هو حبل المظلة الإضافية الأخرى(*) ..

وعلى الرغم من أن المظلة الاحتياطية قد استجابت بنجاح ، إلا أن المسافة التى تفصل جسده عن الأرض ، كانت أقل من أن تسمح لها بالعمل بكفاءة ، لذا فقد انخفضت سرعة هبوطه كثيرًا ..

ولكن ليس بالدرجة الكافية ..

وبشىء من العنف ، ارتطم جسده بقمم الأشجار ، فطوى ركبتيه إلى صدره ، ورفع ذراعيه ليحمى وجهه ، وجسده يهوى مرتطمًا بالأغصان القوية ، والأفرع السميكة ، التى تحطمت مع ثقله ، وإن ساعدت فى الوقت ذاته على تخفيف سرعة وعنف هبوطه ..

حتى ارتطم أخيرًا بالأرض ..

(*) منذ أوائل الثمانينات ، وبعد تزايد حوادث الخلل فى فتح مظلات الهبوط ، تقرر تصميم وضع مظلتين فى حقيبة القفز ، بدلاً من واحدة ، بحيث يتم حل المظلة التى تعرضت للخلل ، واستخدام الاحتياطية عند الخطر .

ولثوان ، ترك جسده ساكنًا ، على الأرضية الرطبة ، التى تكسوها طبقة كثيفة من الأوراق الجافة ، وكل ذرة فى كيانه تصرخ بالألم ، قبل أن يغمغم :

ـ ياله من هبوط :

وكما لو أن عبارته قد انتزعت كل آلامه ، هبَّ واقفًا على قدميه فى نشاط عجيب ، ثم تلفت حوله ، وهو يحلّ حقيبة المظلة ، التى تمزقت بعنف مع الهبوط ، وألقاها أرضًا متمتمًا :

ـ عجبًا ! أى ظلام دامس هذا ؟! هل يمكن أن تحجب تلك الأشجار الضوء إلى هذا الحد ؟!

رفع رأسه إلى أعلى ، وبدا له ذلك الظلام الرهيب ، الذى يبدو من بين قمم الأشجار غير طبيعى على الإطلاق ، فالتقط نفسًا عميقًا ، وهو يشعل مصباحه اليدوى ، مغمغمًا :

ـ آه .. يبدو أن المواجهات الشيطانية قد بدأت بالفعل يا (أمجد) .. فليكن .. إننى هنا بالفعل ، ولا ينبغى أن أضيع لحظة واحدة .

أدار ضوء مصباحه اليدوى فيما حوله فى بطء ، ليستكشف ما يحيط به ، قبل أن يبدأ خطوته الأولى ..

كانت الأشجار الضخمة تحيط به من كل صوب ، ولا تترك سوى ممرٍ واحد فحسب للخروج ..

ولثوان ، فحص ذلك الممر ، على ضوء مصباحه اليدوى ، قبل أن يتمتم :

ـ اتجاه إجبارى .. يبدو أن الأمور تسير هنا على نحو لا يرهق المرء طويلاً فى الاختيار ..

« (أمجد) .. »

انبعث اسمه بغتة ، من بين الأشجار المحيطة به ، فاستدار إلى مصدره بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ من هنا ؟!

ضوء مصباحه لم يكشف أمامه سوى جذوع الأشجار الضخمة وأغصانها الكثيفة ، ذات الأوراق العريضة ..

« (أمجد) .. »

مرة أخرى ، سمع اسمه يتردد ، بذلك الصوت الخافت الهادئ فاستدار ثانية إلى مصدره ..

ولم تكن هناك سوى الأشجار ، والأغصان ، والأوراق ..

وفى صرامة ، لا تنقصها العصبية ، هتف (أمجد) :

- أى عبث شيطانى هذا ؟!

« إنه أنا ؟! »

جاء الصوت من خلفه هذه المرة ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يدور على عقبيه ، ويلقى ضوء مصباحه على الأشجار ، هاتفًا بتوتر بالغ :

- مستحيل !

لقد ميَّز الصوت جيدًا هذه المرة ..

ولكن هذا مستحيل !

مستحيل أن يكون صوته !!

صوت (حامد) .. زميله السابق ، الذى قضى نحبه يومًا ، فى أثناء صراعهما العنيف مع منظمة (المافيا) ..

مستحيل !

« هنا لايوجد مستحيل يا صديقى !! »

انتفض جسد (أمجد) فى عنف ، مع العبارة الواضحة المميَّزة هذه المرة ، والتى انبعثت من بين الأشجار المواجهة له تمامًا ، والتى يسقط عليها ضوء مصباحه اليدوى مباشرة ..

إنه صوته ..

لايمكن أن يخطئه ..

صوت (حامد) ..

ولكن هذا مستحيل !

مستحيل !

مستحيل !

«هل نسيت ؟! إنك تقف على أرض الأرواح الخالدة»

انعقد حاجباه فى شدة ، والصوت يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم انتفض جسده مرة أخرى ، عندما سقط ضوء مصباحه على ذلك الجسد ، الذى شق طريقه بين الأغصان والأوراق المتشابكة ، وتجاوزها فى هدوء عجيب ..

الجسد الذى ما زالت جبهته تحمل ثقبًا دمويًا ، فى منتصفها تمامًا ..

جسد (حامد) ..

زميل مهنته وصديقه ..

السابق ..

* * *

هوى جسدا (نور) و(أكرم) داخل تلك الفجوة الرهيبة ..

وهوى ..

وهوى ..

ثم فجأة ، ارتطم بذلك الشىء المرن اللزج ..

شىء التصق به جسداهما فى قوة ، وراحا يهتزان فى تناغم مخيف ، جعل (أكرم) يهتف :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

بذل (نور) جهدًا مستميتًا ، فى محاولة يائسة لتخليص ذراعه ، من ذلك الشىء ، وهو يقول :

ـ لست أدرى بالضبط .. إنها خيوط مرنة لزجة ، تحوى مادة لاصقة قوية .

ثم انعقد حاجباه فى توتر بالغ ، وهو يضيف :

ـ أخشى أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، راحت تلك الخيوط تهتز على نحو منتظم ، فازداد انعقاد حاجبيه فى توتر بلغ منتهاه، ورسم عقله صورة مخيفة لكائن رهيب ، يتجه نحوهما مباشرة ، فى حين هتف (أكرم) فى عصبية :

ـ شىء ما يسير على تلك الخيوط يا (نور) .. شىء يتجه نحونا ..

وسرت فى جسده قشعريرة باردة ، وهو يكمل :

ـ هذا يذكرنى بفيلم قديم من أفلام الرعب ، و ...

وفجأة ، وقبل أن تكتمل عبارته ، أضىء كل ما يحيط بهما بغتة ، بضوء خافت متراقص ، أشبه بضوء النيران ..

وعلى ذلك الضوء الخافت ، رأيا الكثير ..

الكثير جدًا ..

فمن حولهما ، وفوق ما بدا وكأنه العدم كان رفاقهما يحيطون بهما ، وكل منهم يقف فوق دائرة فضية متألقة ..

وعلى مسافة أمتار قليلة منهم ، كان يقف ذلك الكاهن ، وهو يمسك بالجمجمة غير البشرية ، التى تتألق عيناها على نحو عجيب ..

وخلفه مباشرة ، كان يستقر إصبع الشيطان ، داخل صندوقه الزجاجى البدائى .. وكان أيضًا يتألق ..

وربما أكثر من أى شىء آخر ..

ولكن ما رأياه ، وجعل كل ذرة من كيانيهما ترتجف بعنف ، لم يكن كل هذا ..

لقد كان ذلك الشىء الذى يسير على تلك الخيوط اللزجة ، التى يلتصقان بها ، والذى يتجه نحوهما مباشرة ..

العنكبوت ..

فتلك الخيوط اللزجة كانت خيوط عنكبوت هائل الحجم ، أشبه بسيارة كبيرة ، وهو يتجه نحوهما بأقدامه الثمان ، وعيونه الست ، وشراهته التى تدفعه لالتهام فرائسه التهامًا ..



مشهد العنكبوت الضخم ، وهو يتجه في شراهة نحو (نور) ، و(أكرم) ..

وبكل رعب الدنيا ، صرخت (سلوى) :

- لا يا (نور) .. لا ..

وهتفت (مشيرة) فى رعب :

- لماذا ؟! لماذا (أكرم) .. لماذا ؟!

أما (نشوى) ، فقد صاحت فى الكاهن :

- لماذا تعذبنا ؟! لماذا ترينا هذا ؟!

وفى ارتياع ، تطلع الباقون إلى ذلك المشهد الرهيب ..

مشهد العنكبوت الضخم ، وهو يتجه فى شراهة نحو (نور) و(أكرم) ، والأخير يقول فى عصبية :

- أهذا خداع بصرى أيضًا يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى توتر شديد :

- بل حقيقة يا صديقى .. حقيقة للأسف .

هتف فى حنق ، والعنكبوت الضخم يتجه نحوه مباشرة :

- ولماذا هذا بالذات حقيقة .

اتسعت عيون الكل فى رعب ، وشهقت (مشيرة) شهقة كادت تُذهب روحها ، وهى تحدّق معهم فى ذلك العنكبوت المخيف ، وهو يتوقّف عند (أكرم) ، ويتطلّع إليه لحظة بعيونه الست ، قبل أن يرفع إبرته السامة الضخمة ، ليهوى بها على جسده ..

وانهارت (مشيرة) ..

تمامًا ..

* * *

سرى توتر عنيف فى جسد (أمجد) ، وهو يحدّق فى الجسد الواقف أمامه ، وقد التقى حاجباه فى شدة ..

إنه (حامد) ..

تمامًا كما رآه أوّل مرة ، عندما لقى مصرعه ..

إنه لم ينس ذلك الثقب الدامى ، فى منتصف جبهته ..

لم ينسه أبدًا ..

الثقب الذى من أجله ، شنّ حربًا شعواء على منظمة (المافيا) كلها ..

حربًا بلارحمة أو هوادة ..

« هل نسيتنى يا (أمجد) ؟! »

نطق (حامد) العبارة بصوته ، الذى لم ينس (أمجد) نبراته قط ، على الرغم من مرور كل هذه السنوات الطوال ..

والتقى حاجبا (أمجد) أكثر ..

إنه رجل مخابرات سابق ، اعتاد التعامل مع الحقائق ..

الحقائق وحدها ..

وما يراه أمامه لا يمكن أن يكون حقيقة ..

لقد مات (حامد) منذ مايزيد على ربع قرن ..

والموتى لايعودون إلى الحياة ، إلا فى يوم البعث ، الذى لا يعلمه إلا الله (سبحانه وتعالى) وحده ..

ما من قوة أخرى ، فى الكون كله ، يمكن أن تعيد الموتى ..

مهما كانت ..

« هذه الأرض تختلف عن أية أرض أخرى .. »

ابتسم (حامد) ، وهو ينطق العبارة ، وكأنما قرأ أفكار (أمجد) ، الذى قال فى خشونة عصبية :

ـ كل الأرض لله (عزّ وجلّ) .

تابع (حامد) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ هنا تحيا الأرواح إلى الأبد .

أجابه فى صرامة :

ـ هراء .

ابتسم (حامد) مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ ألا تصدقنى يا (أمجد) ؟!

هزّ (أمجد) رأسه فى حزم ، قائلاً :

ـ لايمكننى هذا .

صمت (حامد) بضع لحظات ، قبل أن يقول بصوت هادئ :

ـ اقترب يا (أمجد) .

تطلّع إليه (أمجد) فى حذر زائد ، فمدّ إليه يديه ، مكررًا :

ـ اقترب يا (أمجد) .. اقترب .

تحركت عينا (أمجد) فى سرعة ، وهما ترصدان كل ما حول (حامد) ، الذى كرّر بصوت عميق :

ـ اقترب .. اقترب ..

لانت ملامح (أمجد) فجأة ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .. لقد اشتقت إليك كثيرًا يا صديقى .

قالها ، واتجه نحوه مباشرة ، حتى صار على قيد مترين فحسب منه ، و ...

وفجأة كشّر ذلك الشيء عن أنياب حادة مخيفة ، وانطلقت من حلقه صرخة وحشية عجيبة ، تشبه حفيف ألف ورقة شجر ضخمة ..

ثم كانت تلك الانقضاضة ..

الانقضاضة الناجحة ، التى قضت على الخصم تمامًا ..

وبضربة واحدة ..

* * *

فجأة ، تذكَّر (نور) أمرًا مهمًا ..

وفى هذه اللحظة الحرجة بالذات ، نستطيع أن نقول : إنه ليس مهمًا فحسب ، بل هو أمر يفصل بين الموت والحياة ..

وبكل انفعاله ، صاح :

ـ مسدسك يا (أكرم) ..

فى تلك اللحظة فحسب ، انتبه (أكرم) أيضًا إلى الأمر ذاته ..

لقد انتزع مسدسه من حزامه ، عندما كان يحاول منع (نور) من الإمساك به ..

ثم هويا معًا ..

وطوال الوقت ، لم يفلت مسدسه قط ..

لذا فقد بقيت أصابعه ممسكة بمقبضه ..

حتى عندما ارتطما بخيوط العنكبوت ..

والتصقا بها ..

ومع صرخة (نور) ، انتبهت أصابعه إلى ما تمسك به ..

وبرد فعل مدهش ، وعلى الرغم من استحالة تحريك ذراعه ، أمال (أكرم) معصم يده الممسكة بالمسدس ، على نحو بعث فى ذراعه كلها آلامًا رهيبة ، وهو يهتف :

ـ هيا .. ابتسم أيها الوغد .

ومع هتافه ، ضغط زناد مسدسه ..

وانطلقت الرصاصات ..

أربع رصاصات متتالية ، نسفت ثلاث منها رأس العنكبوت الضخم ، الذى ارتفعت ست من قوائمه

الثمان ، وجسمه يرتجف فى عنف ، قبل أن يسقط جثة هامدة ، فوق خيوطه اللزجة ..

وبكل سعادة الدنيا ، صرخت (مشيرة) :

ـ لقد فعلتها .. فعلتها مرة أخرى يا (أكرم) ..

مع صرختها ، حدث أمر عجيب ..

عجيب للغاية ..

لقد ذاب جسد ذلك العنكبوت الضخم ، وتحوّل إلى مادة هلامية حمراء ، لم تكد تسيل فوق خيوطه ، حتى ذابت بدورها ، وتحوّلت إلى المادة نفسها ، ليتحرّر (نور) و(أكرم) دفعة واحدة ..

وفى توتر بالغ ، غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ البلازما .

اتسعت عينا الدكتور (عبادة) ، وهو يهتف :

ـ بلازما ؟! مستحيل !

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، والتى اندفع فيها (أكرم) ، متصورًا أنه يستطيع تحرير زوجته ورفاقه ، رفع الكاهن الرهيب تلك الجمجمة غير البشرية مرة أخرى ، وسطع الضوء المبهر فى وجوه الجميع ..

ثم اختفى كل شىء دفعة واحدة ..

وفى لمحة بصر ، وجد (نور) و(أكرم) نفسيهما فى ظلام دامس ، فهتف الأخير فى غضب :

ـ لقد ذهبوا .. ذلك الكاهن الحقير .. القذر .. الـ ..

قاطعه (نور) ، وهو يضىء مصباحه اليدوى ، ليكشف ما حوله :

ـ لن يفيد هذا .

لوّح (أكرم) بذراعيه ، صائحًا :

ـ لقد كانوا هنا ، منذ لحظة واحدة .

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً فى حزم صارم :

ـ إنهم لم يكونوا هنا أبدًا .

تفجرُ الغضب من كل خلية فى كيان (أكرم) ، وهو يهتف فى سخط :

ـ العنكبوت كان هنا ، وهم ليسوا هنا .. شلال النار وهم ، والأشجار الحية ليست وهمًا .. لقد سئمت كل هذا .. لم أعد أدرى ما الوهم وما الحقيقة ! ما الذى هنا ، وماذا ليس هنا ؟! لم أعد أعرف حتى أين نحن ؟!

صمت (نور) بضع لحظات ، وكأنما يفكر فى عبارة (أكرم) جيدًا ، قبل أن يقول فى بطء عجيب :

ـ سؤال جيد يا صديقى .. أين نحن ؟!

سؤال (نـور) أزال الكثير من غضب (أكرم) ، وحوله فى لحظة إلى حالة من الحيرة والتوتر ، وهو يتابع ضوء مصباح (نـور) ، ثم يضيف إليه ضوء مصباحه ، الذى أداره فيما حوله ، قبل أن يهتف بكل الدهشة والتوتر :

ـ أنحن فى عالمنا يا (نور) ؟! إننا نسبح تقريبًا فى الفراغ .. نحن وذلك السائل الأحمر الهلامى ، الذى كان عنكبوتًا مخيفًا منذ قليل .. كيف يمكن هذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ هذا غير ممكن على الإطلاق .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة :

ـ فى عالمنا .

هتف (أكرم) فى عصبية :

إذن فنحن فى عالم آخر .

لم يجب (نـور) سؤاله ، وهـو يديـر مصباحـه اليدوى مرة أخرى فيما حوله ..

كان الفراغ يحيط بهما بالفعل ، فى كل اتجاه ..

حولهما ..

وأعلاهما ..

وحتى أسفلهما ..

وضوء مصباحيهما اليدويين ، كان ينطلق إلى أقصى مدى فى كل اتجاه ..

بلا استثناء ..

وفى عصبية بالغة ، كرّر (أكرم) :

ـ أنحن فى عالم آخر يا (نور) ؟!

مرة أخرى ، لم يجب (نور) ..

لقد غرق عقله فى تفكير عميق ..

عميق ..

عميق ..

تفكير التهب معه مخه ، وهو يبحث عن تفسير لما يحدث ..

أى تفسير ..

تفسير منطقى ..

أو حتى شيطانى ..

ولكن كل شىء كان يسير بلا قواعد ..

مجرّد عبث ..

عبث شيطانى بمشاعرهم ، وعقولهم ..

وحتى بأجسادهم ..

ولكن لا ...

حتى العبث له قواعده ..

ربما تختلف عن قواعد العقل والمنطق ..

ولكنها قواعد ..

كل ما عليه هو أن ينفض عن رأسه كل ما اعتاده وألفه من قواعد العلم والعقل والمنطق ..

وأن يملأه بقواعد جديدة ..

قواعد تتفق مع كل ما مرّ بهم ، منذ بدأت هذه العملية المخيفة ..

وفى خفوت ، بلغت عصبيته مداها ، تمتم (أكرم) :

ـ (نور) .. هل تسمعنى ؟!

اعتدل (نور) فجأة ، وهو يقول فى حزم :

ـ بالتأكيد .

سأله (أكرم) فى حيرة عصبية :

ـ بالتأكيد ماذا ؟!

التقى حاجبا (نور) ، وهو يدير رأسه فيما حوله ، هاتفًا :

ـ لا داعى لكل هذا .. نحن نعلم أننا هنا .

أدار (أكرم) ضوء مصباحه فى وجه (نور) وكأنما يتأكد من ملامحه ، قبل أن يسأله فى قلق :

ـ ماذا تقول يا (نور) ؟!

تجاهله (نور) تمامًا ، وهو يهتف :

ـ إننا نعرف أين نحن ، وكل ما تفعله لاقيمة له .

هتف به (أكرم) مذعورًا :

ـ (نور) ؟! ماذا أصابك ؟!

استدار إليه (نور) بحركة حادة ، وأمسك كتفيه فى قوة ، وهو يهتف به فى حزم :

ـ إننى أعرف أين نحن يا (أكرم) .. أعرف أين نحن .

حدّق (أكرم) فى وجهه ، بكل دهشة الدنيا ، وهو يقول فى حيرة شديدة :

ـ وأين نحن يا (نور) ؟!

تألّقت عينا (نور) ، وهو يهتف :

ـ فى المكان الذى نسعى إليه طوال الوقت يا (أكرم) .

وتألّقت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يقول فى انفعال جارف :

ـ فى المعبد .

لم يكد ينطقها ، حتى تلاشى الظلام من حولهما بغتة ..

واتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ..

فما حدث كان مذهلاً ورهيبًا ..

بلا حدود .

* * *



٥ ـ معبد الشر ..

فجأة ، جاءت تلك الانقضاضة القوية ..

ذلك المخلوق ، الذى تقمَّص هيئة (حامد) ، زميل (أمجد) القديم الراحل ، منتزعًا إياها من أعماق عقل (أمجد) نفسه ، كشَّر عن أنياب حادة رهيبة ، وجسده يستعيد منشأه النباتى ، وأطلق تلك الصرخة القوية المخيفة ، و ...

وقبل أن يتحركّ ، انقضّ عليه (أمجد) كالفهد انقضاضة قوية مباغتة ، وهو يستلّ خنجره ، وسلاحه الوحيد ، من حزامه ، هاتفًا فى لهجة عجيبة ، تجمع بين الصرامة والسخرية :

ـ كان ينبغى أن تخفى أطرافك أيها الوغد .

وفى مرونة مدهشة ، لاتتناسب سنه قط ، تفادى ضربة

قاتلة ، من مخالب ذلك المخلوق ، ثم هبط خلفه ، وهوى على ذلك الفرع الأخضر ، الذى يمتدّ من ظهره بخنجره ..

وبضربة واحدة قوية ، بتر (أمجد) ذلك الفرع الأخضر ..

وهنا ، أطلق ذلك المخلوق صرخة أخرى رهيبة ..

ثم سقط أرضًا ..

وكثعبان يحتضر ، تراجعت بقايا ذلك الفرع الأخضر ، وسط الأشجار والأغصان المتشابكة ، وهى تنزف سائلاً أخضر ، فى حين راح ذلك المخلوق يتلوّى ، وهو يتحوّل بسرعة إلى ما يشبه جذع شجرة قديمًا متهالكًا ..

وما هى إلا لحظات ، حتى همدت حركته تمامًا ، و ...

وذبل ..

تمامًا كورقة شجر ، فى موسم الخريف ..

ذبل ، واصفرّ ، وتهشّم ، وهو ينزف من ظهره نفس السائل الأخضر اللزج ..

وفى حزم ونشاط ، نهض (أمجد) ، مغمغمًا :

يا لها من بداية !

تطلّع إلى ذلك السائل الأخضر اللزج على نصل خنجره ، ثم التقط من جيبه قطعة من القماش ، مسح بها السائل ، ثم أطفأ ضوء مصباحه اليدوى ، قبل أن يتنهّد ، قائلاً :

ـ كما توقّعت تمامًا .. سائل فسفورى .

عاد يضىء مصباحه ، ويتلفّت حوله ، مستطردًا :

ـ أنا أقف إذن وسط أحراش فسفورية ، تتعامل معى نباتاتها باعتبارى فريسة ، لابد أن تستخدم معها كل وسائل التمويه والخداع لاقتناصها .

عاد يدير مصباحه اليدوى ، نحو الممر الوحيد بين الأشجار ، قبل أن يضيف فى حزم وهو يتجه نحوه :

ـ كما قلت من قبل .. كل شىء هنا إجبارى .

وغاص وسط ذلك الممر ، وهو يتوقّع الضربة القادمة ..

وفى أية لحظة ..

* * *

تراجع الدكتور (جلال) فى مقعده، أمام شاشة الرصد الكبيرة، وسرى التوتر فى جسده كله، وأحد العلماء يقول:

- مع هبوط السيد (أمجد)، وبسط تلك الأحراش، تضاعف الانبعاث الحيوى الصادر منها، والشبيه بعمليات الهضم.

غمغم الدكتور (جلال) فى عصبية:

- هل ستهضمه أيضًا، كما فعلت مع الباقين ؟!

قال عالم آخر فى حزم:

- ليس هناك دليل واحد على مصرعهم.

أجابه الدكتور (جلال)، فى عصبية أكثر:

- وليس هناك دليل واحد، على وجودهم على قيد الحياة.

غمغم العالم الأول:

- فلننظر إلى الجانب المشرق على الأقل.

تنهد الدكتور (جلال)، مغمغمًا:

- إننى أحاول.

ثم هتف بغتة فى عصبية، وهو يلوح بيده نحو الشاشة:

- ولكن كل شىء يدفعنى نحو الجانب المظلم.

اندفع عالم ثالث، يقول:

- ليس إلى هذا الحد ياسيدى؛ ففى كل دقيقة تمضى، تزداد معلوماتنا عن تلك المنطقة، والكمبيوتر يقوم بتحليل تلك المعلومات أولاً فأولاً، وقبل منتصف الليل.. أى بعد خمس ساعات على الأكثر، ستكون لدينا معلومات مناسبة، ربما تكفى لمعرفة هويتها، أو حتى استنباط طبيعتها.

زفر الدكتور (جلال)، وهو يتمتم:

خمس ساعات ؟!

وهزّ رأسه فى يأس، ثم تساءل فى خفوت:

- ألا توجد ولو معلومة واحدة جديدة ؟!

هتف أحدهم، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر فى سرعة:

- بالتأكيد.

وراجع بسرعة ما ظهر على الشاشة ، قبل أن يستطرد فى انفعال :

ـ أشجار ونباتات تلك الأحراش أمكن قياسها بمقياس الطيف (سبكتروسكوب) .

ارتفع حاجبا الدكتور (جلال) ، واتسعت عيناه ، وهو يهتف :

ـ مستحيل ! الخلايا الحية لايمكن تحديدها بمقياس الطيف التقليدى .

أجابه العالم فى حماسة :

ـ مقاييس الطيف الحديثة يمكنها هذا ، ولقد استخدمنا أحدثها لرصد تلك الأحراش ، وجاءت النتائج مدهشة .

غادر الدكتور (جلال) مقعده ، واتجه إليه ، متسائلاً فى لهفة :

ـ وما هى ؟!

أشار الرجل إلى شاشة الكمبيوتر ، مجيبًا فى حماسة أكثر :

ـ وفقًا لمقياس الطيف ، تتكوَّن تلك الأحراش .. أو الأجزاء الظاهرة منها على الأقل ، من مزيج من الفسفور(*) والبلازما(**) ..

هتف الدكتور (جلال) ذاهلاً :

ـ مستحيل ! معامل الأرض كلها لا تحوى هذه الكمية الهائلة من (البلازما) ، كما أنه من المستحيل أن يتواجد الفسفور هكذا فى الطبيعة .

أضاف عالم آخر فى حزم :

(*) الفسفور : عنصر يقع فى الصف الخامس ، من الجدول الدورى ، يتفاعل بعنف ، عند ملامسته للماء أو الأكسجين ، وعند تعريضه للهواء فإنه ينفجر مشتعلاً على الفور ، لذا يجب الاحتفاظ به دومًا مغمورًا فى الماء أو الزيت ، وهو عنصر نشط ، يتحد بسرعة مع العناصر الأخرى ، ولا يوجد أبدًا بحالة نقية فى الطبيعة .

(**) البلازما : قديمًا كان المصطلح يعنى بلازما الدم ، التى تتكون فى ٩٠٪ منها من الماء ، وأخيرًا استخدم المصطلح (بلازما) ، على نطاق واسع ، لتعنى منطقة من شحنة غازية ، تحتوى على أعداد متساوية تقريبًا ، من الأيونات الموجبة والإليكترونيات ، ولقد أمكن تخليقها ، بمفهومها الجديد ، على نحو صناعى فى المعامل .

- وأى نبات فى الوجود لايمكنه أن يحيا ، فى تركيبة عجيبة كهذه .

قال العالم الأوّل فى سرعة :

- تتحدث عن النباتات الطبيعية المعروفة علميًا ، لا عن تلك الأحراش ، التى اعتادت هضم البشر .

هتف الدكتور (جلال) :

- مهلاً .. ماتقولونه ربما يعطى مفهومًا جديدًا ، لهذا الانبعاث الحرارى الحيوى .. ألا يحتمل أنه ينشأ من احتراق منتظم للفسفور ، فى قلب تلك الأحراش ؟!

تبادل العلماء نظرة دهشة ، تحمل الكثير من الخجل ؛ لأنهم لم يتوصلوا إلى هذا التفسير البسيط ، واندفع أحدهم يقول :

- هذا لو أنه هناك طريقة لتنظيم احتراقه .

أشار الدكتور (جلال) إلى الشاشة ، وهو يقول فى انفعال :

- ربما هو أحد نتائج تنفس تلك النباتات العجيبة .. أو حتى ناتج لإحدى عمليات التمثيل الضوئى(*) ، أو ما يشبهها هناك .

هتف عالم آخر بنفس الانفعال :

- احتمال كبير .

استدار إليهم الدكتور (جلال) هاتفًا :

- ألا يمكنكم إعادة دراسة الموقف ، على ضوء تلك المعطيات الجديدة ؟!

أجابوه فى حماسة :

- بكل تأكيد .

سأل فى لهفة :

- وكم سيستغرق هذا فى رأيكم ؟!

(*) التمثيل الضوئى : عملية شديدة التعقيد ، تقوم فيها الأجزاء الخضراء من النباتات بتخليق الكربوهيدرات (مثل المواد السكرية) ، من ثانى أكسيد الكربون والماء ، فى وجود الكلوروفيل ، وبفعل ضوء الشمس .

أجابه كبيرهم فى سرعة وحزم :

ـ ثلاث ساعات .

سأله فى لهفة أكثر :

ـ ألا يمكن اختصارها إلى ساعتين ؟!

تبادل الرجال نظرة صامتة ، قبل أن يقول كبيرهم فى حزم :

ـ سنبذل قصارى جهدنا ، ولكننا لانستطيع أن نعد بإنجاز الأمر فى أقل من ثلاث ساعات .

تمتم الدكتور (جلال) فى عصبية :

ـ ثلاث ساعات ؟!

ثم انطلقت من أعمق أعماق صدره زفرة مريرة ، قبل أن يضيف :

ـ من يدرى ما الذى يمكن أن يحدث ، فى ظروف كهذه ، فى ثلاث ساعات ؟!

نعم .. من يدرى ؟!

من ؟!

* * *

فى قلب المعبد تمامًا ..

هكذا وجد (نور) و(أكرم) نفسيهما بغتة ، عندما تبدد الظلام والعدم من حولهما ..

كانا يقفان عند ذلك المذبح الدموى ، والكاهن الرهيب أمامهما مباشرة ، يتطلّع إليهما بعينيه الناريتين المخيفتين ، ويفصلهما عنه ذلك الوعاء النحاسى الضخم ، الذى تتصاعد منه الأبخرة ، وخلفه يستقر إصبع الشيطان المخيف ، داخل صندوقه الزجاجى البدائى ..

وحولهما كان يقف الباقون ..

يقفون ذاهلين ، مبهورين ، داخل تلك الدوائر الفضية القاتلة ..

وفى لحظة ظهورهما المباغتة ، شهق الكل ..

وبكل فرحة الدنيا ، هتفت (سلوى) و(نشوى) فى آن واحد :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .



كانا يقفان عند ذلك المذبح الدموى ، والكاهن الرهيب أمامهما مباشرة ، يتطلع إليهما بعينيه الناريتين ..

أما (مشيرة) ، فبكت فى حرارة ، هاتفة :

- (أكرم) ! أنت حى .. أنت حى يا (أكرم) .

هَم (أكرم) بالاندفاع نحوها ، ولكـن (رمـزى) صاح به فى ارتياع :

- إياك أن تقترب منها .

سمرت الصيحة (أكرم) فى مكانه ، وجعلته يلتفت إليه ، هاتفًا فى عصبية :

- ولماذا ؟!

أجابه فى سرعة وتوتر :

- عبور تلك الدوائر الفضـية من أى اتجاه ، يعنى كارثة .

ثم أشار إلى جثة المقاتل المحترق ، مستطردًا :

- انظرا بنفسيكما .

انعقد حاجبا (نور) بشدة ، مع المشهد البشع ، فى حين استلّ (أكرم) مسدسه بحركة غريزية ، واستدار يصوّبه إلى ذلك الكاهن الرهيب ، هاتفًا :

- أيها الوغد .

تألّقت عينا الكاهن أكثر ، وحملتا لمحة ساخرة جعلت (أكرم) يضمّ شفتيه فى غضب هادر ، و ...

« لاتضيع رصاصاتك هباءً يا صديقى ... »

قالها (نور) ، وهو يمسك معصم (أكرم) فى قوة ، مستطردًا :

إنها لن تقتله .

ثم أشار إلى الباقين مستطردًا :

- أضف إلى هذا أن رفاقنا فى قبضته .

« أنت أكثرهم ذكاءً إذن .. » ..

انبعث الصوت داخل عقل (نور) مباشرة ، فانتفض

جسده فى عنف ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدّق فى ذلك الكاهن ، الذى تألّقت عيناه أكثر وأكثر ..

« أنت قائدهم .. » ..

مرة أخرى غاص الصوت ، فى أعمق أعماق تلافيف مخه ، فهتف :

- ألم تدرك هذا بعد ؟!

تطلّع إليه الكل فى دهشة ، وغمغم (أكرم) فى توتر شديد :

- ماذا أصابك يا (نور) ؟!

أشار إليه (نور) فى صرامة ليلزم الصمت ، فتمتمت (سلوى) فى قلق بالغ :

- رباه ! ماذا ...

قاطعها (رمزى) فى خفوت ، يحمل الكثير من الحزم :

ـ لا يتدخلُ أحدكم .

ثم أضاف ، وقد انتقل توترهم إلى صوته :

ـ إنه اتصال عقلى على الأرجح .

« تتصوّر نفسك قادرًا على هزيمتى .. أليس كذلك ؟! »

تردّد السؤال الساخر فى عقله ، والكاهن يتطلّع إلى عينيه مباشرة ، فشدّ قامته فى اعتداد ، وقال :

ـ ولِمَ لا ؟!

أتاه ذلك الصوت فى عمق تلافيف مخه ، بإيقاع أكثر سخرية :

ـ لأنه مهما بلغ ذكاؤك ، ومهما بلغت عبقريتك ، فإنك لن تتفوّق على ذكاء يحمل أكثر من مليون عام من الخبرة .

مليون عام ؟!

مليون عام ؟!!!!

مليون عام ؟!!!!!!

تردّد الرقم فى رأسه ، وعيناه تتسعان ذهولاً واستنكارًا ..

هذا الرقم مستحيل !

حتمًا مستحيل !

لقد استنكر فى البداية قول السكان المحليين ، بأن هذا الكاهن يحيا منذ آلاف السنين !

فما بالك بالملايين ؟!

« هل يدهشك هذا ؟! »

العبارة اخترقت عقله أكثر سخرية وعنفوانًا ، فالتقى حاجباه بشدة أكثر ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

مهما يقال ، لن يمكنه تصديق هذا قط ..

مليون عام؟!

مستحيل !

وألف مستحيل !

« تعال معى إذن .. »

جاء الصوت عميقًا رهيبًا هذه المرة ..

ثم حدث ما حدث بغتة ..

ودفعة واحدة ..

انسحب عقل (نور) بغتة خارج المعبد ..

بل خارج المكان والزمان ..

انطلق عكسيًا عبر العصور والأزمنة ..

مئات .. آلاف .. بل مئات الآلاف من السنين والأعوام ..

مليون عام دفعة واحدة ..

بل ملايين السنين ..

الديناصورات تملأ الأرض(*) ..

البراكين تنفجرُ فى كل مكان ..

النيران ..

المستنقعات ..

رائحة الأوزون القوية(**) ..

ثم فجأة ، انسحب عقله إلى الأمام ..

إلى العصر الجليدى الكبير ..

البلايستوسين(***) ..

(*) الديناصورات : مجموعة من الزواحف هائلة الحجم ، كانت تعيش فى حقب الحياة الوسطى ، فيما بين ٢٥٠ و ١٧٥ مليون سنة مضت ، كانت بعضها من أكلة اللحوم ، التى تفترس غيرها من الديناصورات النباتية ، بينما كان البعض الآخر يعيش فى الماء ..

(**) الأوزون : غاز عديم اللون غير ثابت ، له رائحة قوية ينتج من الأشعة فوق البنفسجية ، وانبعاثات النشاط الإشعاعى على الأكسجين ، وجزيئه يحتوى على ثلاث ذرات أكسجين ..

(***) البلايستوسين : آخر أزمنة التاريخ الجيولوجى ، يمتاز بعصر الجليد الكبير ، بعده ظهر الإنسان على الأرض ، وبدأ تطوره ، مع التشبيهات المعروفة حاليًا ..

الجليد يغمر كل شىء ..

كل شىء بلا استثناء ..

التجمُّد ..

ثم البقاء فى حالة كمون لسنوات طوال ..

سنوات أطول مما ينبغى ..

وقفزة أخرى إلى الأمام ..

مرحلة أشبه بالتحوصل ..

حوصلة تحيط به ..

ويكمن داخلها ..

حالة أشبه بالسبات العميق ..

أو بالبيات الشتوى ..

مرحلة استغرقت ملايين الأعوام ..

ثم جاءت اليقظة هنا ..

فى قلب إفريقيا ..

منذ مليون عام ..

مليون عام ؟!

فترة كافية لاكتساب خبرات هائلة ..

وقوى هائلة ..

وكافية لإنشاء عقيدة جديدة ..

(الفودو) ..

وانسحب العقل بعنف أكبر ..

وسرعة أكثر ..

الحياة تتطوُّر بسرعة ..

والخبرات تتضاعف ..

وتتضاعف ..

وتتضاعف ..

والقوى أيضًا ..

استعراض سريع مخيف ، لنباتات رهيبة تنمو ..

تتضخَّم ..

تلتهم الحيوانات ..

والبشر ..

وبلا رحمة ..

القبائل كلها تنحنى صاغرة ..

الخوف يملأ النفوس ..

والقلوب ..

الزعماء ينحنون ..

و ...

فجأة ، عاد عقل (نور) إلى رأسه ..

وبمنتهى العنف ..

ارتدَّ إليه كما لو كان لكمة قوية ، فارتجَّ جسده فى عنف ، وتراجع كمن أصابته صاعقة ، وسقط على ظهره وسط المكان ، على نحو جعل (أكرم) يصوِّب مسدسه مرة أخرى إلى الكاهن الرهيب ، هاتفًا :

ـ ماذا فعلت به أيها الـ ...

قاطعه (نور) فى ضعف ، مكررًا عبارته القديمة :

ـ ادخر رصاصاتك يا صديقى ..

صاح (أكرم) فى غضب ، وهو يلوِّح بمسدسه صوب الكاهن :

ـ ولماذا ؟! ألمجرَّد أنه يحتجز رفاقنا .

تألَّقت عينا الكاهن أكثر وأكثر ، وانحنى يلتقط الجمجمة غير البشرية ، و ...

« إياك أن تفعلها .. »

صرخ (أكرم) بالكلمة ، وهو يضغط زناد مسدسه ..

وانطلقت رصاصته ..

انطلقت فى نفس اللحظة ، التى سطع فيها ذلك الوميض ..

وبمنتهى الشدة ..

أغلق عينيه كالآخرين ، وهو يهتف فى غضب :

ـ ماذا سيفعل بنا هذه المرة .

راوده شعور عجيب بأنه يغوص فى مادة لينة ، شبيهة بالإسفنج ..

أو أكثر ليونة ..

ثم انتهى هذا الشعور بغتة ..

وعندما فتح عينيه ، كانوا جميعًا فى موقف جديد ..

(نور) مازال راقدًا على الأرض ، فى ضعف واضح ..

الباقون تحرَّروا من تلك الدوائر الفضية ، دون مبرِّر منطقى ..

المعبد مازال كما هو ، بمذبحه الدموى ، والوعاء النحاسى ، والجدران بنقوشها ..

ولكن الكاهن وإصبع الشيطان لم يعد لهما أثر ..

وفى لهفة اندفعت (مشيرة) تلقى نفسها بين ذراعى زوجها ، هاتفة :

ـ (أكرم) .. أخيرًا يا (أكرم) .. حمدًا لله .. حمدًا لله .

أما (سلوى) و(نشوى) و(رمزى) ، فقد أسرعوا إلى (نور) ، والأولى تسأله فى ارتياع :

ـ (نور) .. أأنت بخير ؟! أأنت بخير يا (نور) ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يتمتم ، مغلقًا عينيه :

ـ كل ما أحتاج إليه هو قليل من الاسترخاء والراحة .

سألته (نشوى) فى لوعة ، ودموعها تُغرق وجهها :

ـ بِمَ تشعر يا أبى .

صمت بضع لحظات ، قبل أن يبتسم ابتسامة باهتة شاحبة ، متمتمًا :

ـ وكأن مخى يحترق .

سأله (رمزى) ، فى اهتمام قلق :

- كان اتصالاً عقليًا .. أليس كذلك ؟!

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يجيب فى استرخاء :

- كان تحديًا عقليًا .

زفر الدكتور (حجازى) ، وكأنما يزيح عن كاهله عبئًا ثقيلاً ، وقال :

- اتركوه يسترخى قليلاً ، وسيعود كما كان .

انحنى (أكرم) يربِّت على كتف (نور) ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- استرخ يا صديقى .. بعد كل ما واجهناه ، أنت تستحق هذا .

سألته (مشيرة) فى لهفة :

- وما الذى واجهتماه ؟!

أجابها ، وهو ينهض فى اقتضاب :

- أهوالاً ..

بدا لحظة وكأنه سيكتفى بهذا الجواب ، إلا أنه لم يلبث أن تابع مبتسمًا فى توتر :

- لو رويتها أنا لنفسى ، لما صدقتها .

قالت (مشيرة) فى حسم :

- ولكنك سترويها لى ، وبكل التفاصيل .

حدّق (أكرم) فى وجهها بدهشة ، قبل أن يقول فى عصبية :

- ماذا دهاك ؟! حتى فى ظروف كهذه ، تسعَين خلف خبر جديد .

هتفت فى حدة :

- إنها مهنتى .

أجابها الدكتور (عبادة) فى عصبية :

- أتبحثين عن خبر جديد ؟! خذى هذا الخبر إذن .

واحتدّ صوته ، وهو يضيف :

ـ لاتوجد هنا أية أبواب أو نوافذ .

سألته فى دهشة حذرة :

ـ ماذا تعنى ؟!

لوّح بذراعيه ، وهو يقول فى حدة ثائرة :

ـ أعنى أنه ليس هناك سبيل واحد للخروج من هنا .

هتفت (سلوى) فى ذعر :

مستحيل ! كيف دخلنا إذن ؟!

قال الدكتور (حجازى) فى توتر :

ـ تذكّرى أن أحدًا منا لم يدخل إلى هنا قط بأسلوب طبيعى .

تمتمت (نشوى) مبهوتة :

ـ يا إلهى ! هذا صحيح .

وهنا قال الدكتور (رمسيس) فى عصبية بالغة ، وهو يتحسّس الجدران :

ـ لو أردتم خبرًا أكثر أهمية وخطورة ، فاستمعوا لى أنا .

استدارت العيون كلها إليه ، فدار حول نفسه لمواجهتها ، وشدّ قامته ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويقول فى حزم ، لم يفقد عصبيته بعد .

ـ هذا المعبد ليس ، ولم يكن قط فرعونيًا ..

وكانت مفاجأة حقيقية ..

مفاجأة تقلب مفاهيم الأمور كلها رأسًا على عقب .. وبعنف .

* * *



٦ ـ التحـدّى ..

فى انبهار حقيقى ، وقف (أمجد) يتطلّع إلى شلال النار المنهمر ، قبل أن يتمتم فى خفوت :

ـ مستحيل ! مشهد لايمكن أن يراه المرء فى حياته مرتين .

أدار عينيه فيما حوله مرتين ، ليتأكّد من أنه لايوجد مسار آخر ، بخلاف ذلك الذى اتخذه ، قبل أن يلتقط نفسًا عميقًا ، ويتطلّع مرة أخرى إلى شلال النار ، قائلاً :

ـ لايوجد سبيل آخر .. ولكن هذا الطريق مغلق بجدار اللهب المنهمر هذا ، فكيف يتفق هذا وذاك ؟!

استرجع فى ذهنه كل ما مرّ به من آثار ، تؤكّد أن (نور) وفريقه اتخذوا كلهم ، أو بعضهم على الأقل ، المسار نفسه ..

ومثله لايحتاج إلى رؤية دلائل قوية ..

فقط غصن مكسور ، أو أوراق شجر مهشمة ، أو حتى قطرة دم ..

أى شىء كان يكفى خبيرًا مثله ؛ ليحدّد طريقه جيّدًا ..

أى شىء ..

وفى موقفه هذا ، أمام شلال النار ، كان عليه أن يستنفر كل طاقته ..

وخبرته ..

وثقته ..

وفى هدوء حازم ، راح يفحص كل ما حوله بعين فاحصة ..

مدقّقة ..

خبيرة ..

وخلال عشر دقائق فحسب ، كان عقله قد رسم صورة استنباطية للموقف كله ، وهو يحدّث نفسه ، مغمغمًا :

- اثنان .. تراجعا .. ثم قفزا .. أحدهما سبق الآخر .. اعتدل يلتقط نفسًا عميقًا ، وهو يغمغم :

- عجبًا !

كانت الآثار التي رصدها في المنطقة ، توحي بأن رجلين قد وثبا عبر شلال النار الرهيب هذا ..

ومن الناحية المنطقية ، بدا له هذا مستحيلاً .. للغاية !

ومرة أخرى ، راح يتطلع إلى شلال النار في حيرة ..

إنه واثق تمامًا من خبرته في قراءة الأثر ..

وفي إدراك مضمونه ..

ولكن هذا المضمون يبدو مستحيلاً ، أمام جدار اللهب هذا ..

إلا إذا ..

انعقد حاجباه في شدة ، وهو يستعيد عبارة شهيرة

للروائي المعروف (أرثر كونان دويل)[*] ، جاءت على لسان شخصيته البوليسية الأشهر (شيرلوك هولمز) ..

إذا ما استبعدنا المستحيلات ، فإن ما يتبقَّى أمامنا هو الحقيقة ، مهما بلغت غرابتها ..

وهو هنا أمام موقف مستحيل !

ما من مخلوق واحد ، في الكون كله ، يمكن أن يقفز بإرادته في قلب النار ..

عاقلاً كان أم مجنونًا ..

فالله (سبحانه وتعالى) ، غرس في نفس كل مخلوق حي مهابة النار ..

حتى الشياطين أنفسهم ..

(*) سير (أرثر كونان دويل) (١٨٥٩ - ١٩٣٠م) : روائي إنجليزي ، ابتدع شخصية (شيرلوك هولمز) ، أشهر شخصية أدبية بوليسية عرفها التاريخ ، كان طبيبًا ، ثم تفرَّغ فترة للأدب ، قبل أن يعود مرة أخرى لمزاولة الطب .. فاقت شهرة شخصيته الأدبية شهرته ، فتوقَّف فترة عن كتابتها ، ثم لم يلبث أن رضخ لضغوط القراء ، وعاد إليها مرة أخرى .

ولكن كل الآثار هنا تؤكد أن رجلين قد قفزا عبر النيران ..

والبعثة لاتضم معتوهًا واحدًا ..

الأمر يكمن إذن فى النار نفسها ..

النار ..

تطلع طويلاً مرة أخرى إلى شلال النار ، والتقط نفسًا عميقًا من الهواء الساخن ، الذى يؤكد أن ما يراه حقيقة ، وعقله يكاد يلتهب من التفكير العميق ..

وبعينيه ، راح يدرس الأمر كله مرة أخرى ..

النار التى تنهمر من أعلى إلى أسفل ، بخلاف كل قوانين الطبيعة ..

الوهج المتراقص المنتظم ..

آثار الأقدام على الأوراق الجافة ..

ثم عاد حاجباه ينعقدان بمنتهى الشدة ..

فقد كان عليه اتخاذ قرار خطير ..

خطير إلى أقصى حد ..

ولكن طبيعته الحاسمة أنهت ذلك الصراع فى أعماقه بسرعة مدهشة ..

وبكل الحزم والحسم ، تراجع (أمجد) ، وعيناه لاتفارقان شلال النار ، و ...

وفجأة ، شعر بتلك الحركة خلفه ..

وبسرعة مدهشة ، استدار إلى مصدر الصوت ، وهو يستلّ خنجره ..

ثم تجمد فى وقفته هذه ، وهو يدير عينيه فى نستتين من الرماح البدائية ، اتجهت كلها نحو صدره ، مع ضعفها من السهام ، التى يصوبها إليه مقاتلون من الزنوج البدائيين ، طلوا وجوههم بطلاء مميز ..

طلاء الحرب ..

ولأن الشجاعة لاتعنى الحماقة ، فقد ألقى (أمجد) خنجره أرضًا ، وهو يرفع ذراعيه فوق رأسه ، قائلاً بلهجة ساخرة ، بدت عجيبة فى موقفه هذا :

- رائع .. كنت أتصور أنه لايوجد بشر عاديون هنا .

ولم يبتسم مخلوق واحدة لدعابته ..

فقد كانت العيون كلها تحمل نظرة واحدة ..

نظرة مقاتلين خرجوا لهدف واحد ..

الموت ..

* * *

المفاجأة التى فجّرها قول الدكتور (رمسيس) ، جعلت (نور) يعتدل فى رقدته ، وهو يقول فى دهشة :

ـ ليس معبدًا فرعونيًا ؟! ولكن البعثة السابقة ..

قاطعه الدكتور (رمسيس) فى انفعال :

ـ البعثة السابقة لم تكن تضمّ عالم آثار واحدًا ، لذا فقد خدعهم هذا الزيف هنا ، كما خدع الكل ، ونجح فى خداعكم أيضًا ..

ثم غلبته الحماسة المهنية ، وهو يشير بيديه إلى الجدران ، متابعًا :

ـ ما ترونه حولكم هو مجرّد تقليد لمعبد فرعونى .. وليس حتى تقليدًا متقنًا .. بل ولايمكن أن ينتمى إلى عهد أسرة بعينها ، من الأسر الفرعونية المعروفة ، فنقوشه هى مزيج من النقوش المستخدمة فى كل عهد ، وحتى الرسوم ، تبدو وكأنها خليط من كل أساليب الرسم ، التى تغيّرت وتطوّرت ، من عصر فرعونى إلى آخر .. والأدهى من هذا أن كل ما ترونه على الجدران لايعنى شيئًا ، ومزجه بتعاويذ سحرة (الفودو) مجرّد شكل وهمى ، مقصود به إبهار غير المتخصصين فحسب .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، مغمغمًا :

ـ إذن فكل هذا مجرّد خداع .

مطّ الدكتور (رمسيس) شفتيه ، وضغط الجدران بأصابعه ، قائلاً :

ـ خداع يفوق كل ما يمكنكم تصوّره ، فهذه الجدران ليست حجرية .

هتف الكل بدهشة عارمة :

- ليست ماذا ؟!

اندفعوا يتحسسون الجدران بدورهم ، وهتف (أكرم) فى عصبية :

- هذا صحيح .. إنها مادة أشبه بالبلاستيك .

وقالت (سلوى) فى حذر :

- ألياف زجاجية على الأرجح .

قال الدكتور (حجازى) :

- كلا .. إنها باردة للغاية .

اندفع الدكتور (عبادة) ، يقول فى عصبية :

- ولكنها ليست بلازما هى الأخرى .

التفت إليه الدكتور (حجازى) ، قائلاً فى حدة :

- ولِمَ لا ؟!

هتف فى حدة مماثلة :

- لأن أحدًا لايمكنه إنتاج كل هذه الكمية الهائلة من البلازما ، ولو حتى فى مليون عام .

كاد النقاش يحتدم بين الكل ، حول ماهية جدران المعبد ، لولا أن هتف (نور) فجأة فى صرامة :

- كفى .

هتافه أخرس كل الألسنة دفعة واحدة ، وجعل الكل يلتفت إليه فى تساؤل قلق متوتر ، فقال وقد امتزجت صرامته بحزم شديد :

- كل ما يحيط بنا عجيب ، ويتنافى مع كل ما عرفناه فى حياتنا .. دعونا نعتبر هذا حقيقة واقعة ، فى وقتنا الحالى ، وألا نضيع الوقت أو الجهد فى مناقشته ، أو الجدال بشأنه ؛ لأن هذا لن يفيد سوى خصمنا وحده .

والتقط نفسًا عميقًا ، ليضيف فى حزم أكثر :

- فلنستغل أن غرور خصمنا قد دفعه إلى جمعنا معًا ، ليكمل كل منا ما لدى الآخر من معلومات ، حتى تكتمل الصورة إلى حد ما معنا جميعًا .

قال الدكتور (حجازى) :

- أنت على حق يا (نور) .. وأظنك و(أكرم) أكثر حاجة لمعلوماتنا منا إلى معلوماتكما ؛ فقد قضينا هنا وقتًا أطول .

قال الدكتور (عبادة) فى عصبية :

- وما الذى عرفناه ، مع طول وجودنا هنا أيها العبقرى .

أجابه (نور) فى حزم :

- أية معلومة يمكن أن تصنع فارقًا كبيرًا ، فى ظروفنا هذه يا دكتور (عبادة) .

بدا الرجل منهارًا ، وهو يقول :

- فى رأيى أنه حتى كل معلومات الدنيا ، لن تصنع فارقًا صغيرًا .. لقد انتهى أمرنا تمامًا .. ذلك الشيطان يعبث بنا فحسب ، قبل أن يسحقنا سحقًا ، تمامًا مثلما يعبث القط بالفأر ، قبل أن يلتهمه .

تطلَّع إليه (نور) فى صمت بضع لحظات ، ثم التفت إلى رفاقه ، قائلًا :

- حسن .. أريد أن أسمع ما لديكم .. وبكل التفاصيل ..

وفى نفس القاعة ، التى يقفون فيها ..

وفى نقطة مظلمة ، لا يمكن أن تبصرها عيونهم الواعية ، كان الكيان الشيطانى كله يستمع ، ويشعر فى أعماقه بسخرية متفوِّقة ..

يشعر أنه الأكثر ذكاءً ، وقوة ، وخبرة ..

وأنه المنتصر فى النهاية ..

حتمًا ..

* * *

بدا الغضب واضحًا ، على وجه رئيس تلك الدولة الإفريقية ، وهو يقف فى منتصف حجرة مكتبه الرئيسية ، مع مدير مخابراته ، معقود الحاجبين ، وكفاه خلف ظهره ، وعيناه تستقبلان وزير خارجيته فى صرامة ، شفَّ عنها صوته ، وهو يقول :

- ما هذه الأخبار التى وصلتنى عنك أيها الوزير ؟!

شعر وزير الخارجية بقلق عارم ، وهو يلقى نظرة على مدير المخابرات ، قبل أن يسأل رئيس الجمهورية فى توتر :

- أية أخبار يا سيادة الرئيس ؟!

حمل صوت الرئيس كل غضب الدنيا ، وهو يقول :

- اتصالاتك السرية بذلك الكاهن المخيف ، فى منطقة (فو - كا) .

ارتجفت شفتا وزير الخارجية ، وألقى نظرة نقمة على مدير المخابرات ، قائلاً فى توتر عنيف :

- سيادة الرئيس .. أمور الدولة تحتم أحيانًا ..

قاطعه الرئيس ، مكملاً فى غضب :

- التحالف مع الشيطان .. أليس كذلك ؟!

قال الوزير فى عصبية :

- بلى .. لست أول من يفعل هذا .. كل وزراء الخارجية السابقين ، كانت لهم اتصالات معه ..

قال الرئيس فى غضب :

- وهل أخفوا كلهم أمر تلك الاتصالات على رؤساء جمهوريتهم ؟!

قال الوزير فى حدة :

- هذا أمر تحتمه الظروف .

صاح الرئيس فى وجهه :

- بل هو خيانة للنظام كله .

انتفض الوزير ، وقال فى عصبية :

- سيادة الرئيس .. ذلك الكاهن هنا منذ الأزل .. من قبل أن نولد .. ومن قبل أن يولد أجدادنا .. وأجداد أجدادنا ، والوسيلة الوحيدة لتأمين شروره ، ومنعه من مد نفوذه وسيطرته إلى قلب الدولة ، هى التحالف معه .

تدخل مدير المخابرات عند هذه النقطة ، قائلاً :

- هراء .. ذلك الكاهن هنا منذ الأزل كما تقول ، ولكن لم يحدث قط أن تجاوز نطاق نفوذه ، حتى فى

عهد النظم السابقة ، التى لم تجر أية اتصالات معه ، ولكن ما حدث فعليًا هو أنك قد تطوّعت بنقل بعض أسرار الدولة إليه .

صاح الوزير فى عصبية بالغة :

- أسرار الدولة ؟! عن أية أسرار تتحدث يا رجل .. ذلك الكاهن يعرف كل شىء .. كل الأسرار .

قال مدير المخابرات فى صرامة :

- لماذا ذهبت لتنقل إليه أسرار الدولة إذن ، مادام يعرفها كلها ؟!

لوّح الوزير بذراعه فى حدة ، قائلاً :

- تمامًا كما تبلغ دولة صديقة بشئونك ، التى تعلمها جيدًا .

قال الرئيس فى صرامة غاضبة :

- الخيانة هى الخيانة .

اتسعت عينا وزير الخارجية بدهشة مستنكرة ، قبل أن يهتف فى حدة :

- خيانة ؟! عن أية خيانة تتحدثان ؟! لقد كنت أحاول حماية الدولة والنظام .. إنكما لاتعلمان شيئًا عن أصول التعاملات الدولية ، أو التفاوض مع الدول .

قال الرئيس فى غضب :

- ربما كانت لذلك الكاهن منطقة نفوذه ، ولكنها ما زالت داخل حدودنا ، ولن نتعامل معه قط باعتباره دولة داخل دولة .

صرخ وزير الخارجية فى ثورة :

- إنكما لا تفهمان شيئًا !! ذلك الكاهن قادر على سحقنا جميعًا ، إذا ما أراد هذا .

ارتجف صوت الرئيس ، من فرط الغضب ، وهو يقول :

- أى شىء فى الدنيا لن يبرّر خيانتك .

صرخ وزير الخارجية مرة أخرى :

- إنها ليست خيانة !

ثم لوّح بسبابته فى وجهيهما مستطردًا فى حدة :

- ثم إننى لست الوحيد الذى يتصل به .

أشاح رئيس الجمهورية بوجهه فى حنق ، فى حين تطلّع مدير المخابرات إلى عين وزير الخارجية مباشرة ، وهو يقول فى صرامة :

- رئيس الوزراء تم اعتقاله منذ ربع الساعة فقط ، ووزير الداخلية تم اعتقاله فى أثناء انتظارك مقابلة السيّد الرئيس .. الكل تم اعتقالهم بنفس التهمة .

عاد الرئيس يلتفت إليه ، مضيفًا فى صرامة غاضبة :

- أنت الأخير .

امتقع وجه وزير الخارجية ، عندما اندفع اثنان من رجال الحرس الجمهورى ، إلى حجرة مكتب الرئيس ، وأحاطا به بسلاحيهما فى صرامة متحفزة ، فنقل بصره بينهما ، عن يمينه ويساره ، قبل أن يتطلّع إلى مدير المخابرات ، قائلاً فى غضب هادر :

- إنهم المصريون .. أليس كذلك ؟!

لم يجب مدير المخابرات ، فاشتعل الغضب فى وجه الوزير وصوته ، وهو يقول :

- ستندمان على هذا .. ستندمان أشدّ الندم .. الكاهن سوف يسحقكما سحقًا .. وبلا رحمة .

أشار الرئيس بيده فى صرامة ، هاتفًا :

- خذاه .

دفع الجنديان وزير الخارجية أمامهما فى خشونة ، وما إن أصبح الثلاثة خارجًا ، حتى قال الرئيس فى غضب هادر :

- ليت البرلمان يعيد عقوبة الشنق ؛ ليدفع الخونة جزاء فعلتهم .

مطّ مدير المخابرات شفتيه ، وقال فى توتر :

- من يدرى من سينال جزاء فعلته .

استدار إليه الرئيس بحركة حادة ، ثم مال نحوه ، يسأله فى عصبية :

- هل بدأت تؤمن بما يقولونه ، عن قدرات ذلك الكاهن ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

- ومن أنكر قدراته ؟!

تراجع الرئيس بحركة حادة كالمصعوق ، فزفر مدير المخابرات فى توتر ، قبل أن يتابع فى حذر :

- ولكن البعثة المصرية تضم رجل المخابرات العلمية المصرى الأشهر (نور الدين) .. بطل حرب التحرير(*) .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يتابع :

- وكما ترى .. تلك الأحراش ، ومنطقة (فو - كا) كلها ، تمرّ بظروف غير عادية ، لم تمرّ بها من قبل ، حتى عندما اقتحمتها تلك البعثة المصرية الأولى ، وهذا يعنى أن مايحدث الآن ، لم يحدث من قبل قط ..

والتقط نفسًا عميقًا ، ثم استطرد فى حزم :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم ٧٦ .

- ولست أكذبك القول ، أو أبالغ فى تقدير الموقف ، عندما أقول إن شعبنا كله يتصوَّر أن اقتحام بطل التحرير الأشهر لتلك الأحراش ، ومواجهته المباشرة لذلك الكاهن ، قد يكون فيها حسم للكثير والكثير من المواقف ..

بل لقد صار هذا هو أملهم الأخير ، فى التخلُّص من ذلك الرعب ، الذى تتوارثه الأجيال هنا ، مع وجود ذلك الشيطان منذ آلاف السنين .

سأله الرئيس فى خفوت ، يحمل الكثير من القلق والتوتر :

- هم يتصوَّرون هذا ، ولكن ماذا عن التصوّر الرسمى ، باعتبارك مدير إدارة المخابرات ؟!

مطّ الرجل شفتيه ، وصمت لحظة ، قبل أن يجيب :

- إننا نعتمد على كفاءة وخبرة المصريين .

ولم يسأله الرئيس سؤالاً آخر ، ولكن شيئًا ما فى أعماقه ارتجف فى عنف ..

شيئًا تساءل : هل يمكن أن ينحسم الأمر بالفعل ، بعد آلاف السنين ؟!

هل ؟!

* * *

ران صمت مهيب ، داخل ذلك المعبد ، فى قلب أحراش (إفريقيا) ، وبعد أن انتهى كل شخص من رواية ما لديه ، والتقى حاجبا (نور) فى تفكير عميق ، وعقله يقلّب كل ما سمعه على كل الوجوه ، ويرتبه ، وينمّقه ، ويضيف إليه تجربته الشخصية ، وإحساسه ، وكل ما سمعه ، أو رآه ، أو استقبله عقله ..

وأمام أحد جدران المعبد ، المصنوعة من مادة عجز الكل عن تحديد هويتها ، وقف يتطلّع إلى النقوش ، التى كشف الدكتور (رمسيس) أمرها ، فقال الدكتور (عبادة) فى عصبية ، قاطعًا ذلك الصمت :

- ماذا أصابكم ؟!

هتف به الدكتور (حجازى) فى خفوت صارم :

- اصمت يا رجل .. (نور) يفكّر .

هتف الدكتور (عبادة) ، فى عصبية أكثر :

- يفكّر ؟! أهذا كل ما سيفعله ؟!

أمسك (رمزى) معصمه بغتة ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

- نعم .. هذا كل ما سيفعله ، ولكن تفكيره هذا هو الذى ينقذنا من كل خطر نواجهه ، بعد رعاية الله (سبحانه وتعالى) .

أضاف الدكتور (حجازى) بنفس الصرامة الخافتة :

- وتفكيره هذا موهبة خارقة ، ونعمة من الله (سبحانه وتعالى) تفوق كل ما حصلت عليه أنت من دراسات ، وشهادات ، وخبرات .

أطلّ الاستنكار من عينيه ، فأضاف (أكرم) فى خشونة :

- ولو أنك سعيد الحظ ، فسترى هذا بنفسك .

لم يبد أن (نور) قد سمع حرفًا واحدًا مما قالوه ، بل ولم يبد حتى أنه يرى تلك النقوش على الجدار ، على مسافة متر واحد منه ، فقد بدت عيناه شاردتين ، وشفت كل خلجة من خلجاته عن تفكير عميق ..

عميق للغاية ..

ثم فجأة ، قال فى حزم :

ـ خصمنا ليس بشريًا .

حدّق فيه الجميع فى اهتمام ، وغمغم الدكتور (عبادة) فى عصبية :

ـ أهذا كل ما هداه تفكيره العبقرى إليه ؟!

استدار (نور) يواجههم فى حزم ، وتابع وكأنه لم يسمع ما قاله الدكتور (عبادة) :

ـ ربما جاء من عالم آخر ، أو كان أحد المخلوقات ، التى عمّرت الأرض ، قبل ملايين السنين ، أيام كانت الديناصورات هى كل سكان كوكبنا ، ولسبب ما ، لم يقض عليه التطوّر ، ولم يقتله العصر الجليدى ، بل مرّ لملايين السنين بمرحلة تحوصل .



لم يبد أن (نور) قد سمع حرفًا واحدًا مما قالوه ، بل ولم يبد حتى أنه يرى تلك النقوش على الجدار ..

قاطعه الدكتور (عبادة) ، وهو يهتف فى صرامة :

ـ مستحيل !

صاح به (رمزى) فى حدة :

ـ لا تقاطع (نور) .

قال الرجل فى عصبية :

ـ ولكن ما يقوله ليس منطقيًا أو علميًا فالتحوصل مرحلة تختصّ بها بعض الكائنات الدقيقة ، أو الفطريات ، أو أنواع الجراثيم الراقية ، وفيها يحيط الكائن نفسه بحوصلة قوية ، يكمن داخلها ، ويوقف نشاطه تمامًا ، عندما تتأزّم الأحوال البيئية أو المناخية من حوله ، وتستمر حالة تحوصله وكمونه ، حتى تتحسن الأحوال الخارجية ، وتناسب نموه ، فيزيل حوصلته ، ويعود إلى نشاطه .

قال (نور) فى حزم :

ـ وهذا بالضبط ما حدث .

هتف الدكتور (عبادة) مستنكرًا :

ـ لملايين السنين .

غمغم الدكتور (رمسيس) فى تردُّد :

ـ لقد عثرنا فى بعض المقابر الفرعونية على كائنات متحوصلة ، منذ آلاف السنين(*) ، ولكن ليس منذ الملايين .

هتف الدكتور (عبادة) :

ـ هذا بالنسبة للكائنات الدقيقة كما قلت ، ولكن كل مراجع الطب البيطرى ، وعلم البيولوجيا ، وعلوم الكائنات الدقيقة ، لم تشر إلى احتمال ، ولو ضئيل للغاية ، أن يكون هناك كائن بهذا الحجم ، يمتلك القدرة على التحوصل .

ثم لوّح بسبّابته فى وجه (نور) ، مستطردًا :

ـ وأتحداك أن تثبت العكس .

(*) حقيقة .

تطلَّع إليه (نور) فى هدوء ، قائلاً :

ـ فلنؤجل التحديات والإثباتات إلى النهاية يا دكتور (عبادة) ، فعلى الرغم من ثقتى التامة بكل ما قلته ، نظرًا لتجربة عقلية منفردة ، إلا أننى لا أملك دليلاً واحدًا على صحته .

هتف الدكتور (عبادة) :

ـ أسمعتم ؟!

لكزه (أكرم) بمرفقه ، قائلاً فى صرامة :

ـ اصمت يا رجل ، واستمع إلى القائد .

عقد الدكتور (عبادة) حاجبيه فى حنق ، وأطبق شفتيه فى غضب ، فتطلَّع إليه (نور) لحظة ، ثم تابع بنفس الحزم :

ـ لقد انتهت حالة تحوصله منذ مليون عام .. فترة طويلة للغاية ، لينمى قدراته وطاقاته ، وليكتسب قوى جديدة هائلة ، على رأسها قدرته المذهلة على

إنتاج أطنان من البلازما الصناعية ، ومزجها بقدرة هائلة على صنع الوهم المتحرِّك .. تمامًا مثل ذلك العقرب ، الذى هاجم الدكتور (مينا) ، والعنكبوت الذى كاد يلتهمنا ، وأشياء عديدة أخرى ، أحاطت بنا فى كل مرحلة من مراحل هذه القضية ، التى لا تخضع لأية قواعد عهدناها فى عالمنا من قبل .

سأله (أكرم) فى انفعال :

ـ أتعنى أن كل ما مرَّ بنا كان مجرَّد وهم يا (نور) ؟!

أشار (نور) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ وهم من نوع خاص للغاية .. نوع متطوِّر ، لم نعهده من قبل .. ليس خداعًا بصريًا ، كالصور والمشاهد الهولوجرامية المجسَّمة ، التى تصنعها بأشعة الليزر ثلاثية الأبعاد ، بل هى مزيج من البلازما ، التى أنتجها طوال مليون عام ، مع صورة وهمية تكسوها ، بحيث تبدو المشاهد حية واقعية ملموسة ، على الرغم من أنها مجرَّد وهم .

هزّت (سلوى) رأسها فى توتر ، مغمغمة :

ـ من العسير أن أصدّق أن كل مامررنا بـه كـان وهمًا .

قال (نور) فى حزم :

ـ دعينى أوضح الأمر أكثر يا عزيزتى .. هل تذكرين كيف نشأت نظرية الموتى الأحياء ، أو (الزومبى) ، التى ارتبطت بسحر (الفودو) ؟! إننـا نعلم ونؤمن جميعًا ، بأن الموتى لايعودون قط إلى الحياة ، إلا بإرادة الخالق (عزّ وجلّ) ، ولكن البلازمـا مـادة ملموسـة بالفعل ، فإذا ماكساها قنـاع من الوهـم ، لتبدو أشبـه بالميت ، ثم تم تحريكها بوساطة قوى عقلية متطوّرة ، فإن هذا سيوحى بأن سحر (الفودو) قد أعادها إلى حالة بين الموت والحياة .. هذا بالضبط ماواجهنـاه .. مـادة فعلية ، لها كيان حقيقى ، وتحركها قوى عقليـة هائلة .. مـادة قـادرة علـى قتلنـا بـالفعل ، ولكنهـا تحمـل هيئـة وهمية لشىء يمكن أن يثير خوفنا ورعبنا .

هتف (أكرم) :

ـ إذن فذلك العنكبوت كان قادرًا على قتلنا بالفعل .

أجابه (نور) :

ـ بالتـأكيد ، ولكن ليس بسـم عنكبـوتى حقيـقى ياصديقى .. كان يكفى لقتلنا من شدة الرعب فحسـب .. تمامًا كما حدث مع العلماء المصريين فى (القاهرة) .. علماء البعثة الأولى .

قال الدكتور (حجازى) فى اعتراض :

ـ هذا لايفسر أمر تلك المـادة السـوداء ، ذات العناصر المجهولة ، التـى حلت محل دمـاء الدكتـور (مينـا) (رحمـه اللّه) ، ولاذلك الوحش الرهيـب ، الذى نبت منها ، ليلتهمها كلها فى نهم ، والتى مـاكنا سنكشف غرابتهـا ، لـو لـم تتبق العينـة ، فـى جهـاز التحليل الإليكترونى .

ابتسم (نور) ، وهو يقول فى حزم :

ـ كانت هذه هى الخدعة الكبرى ، التى استلزمت كل البراعة يا دكتور (حجازى) :

هتف الطبيب الشرعي بكل الدهشة والاستنكار :

ـ مستحيل يا (نور) ! لقد قمت بتحليلها بنفسى .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، قبل أن يقول :

ـ بل قام جهاز التحليل الإليكترونى بهذا يا دكتور (حجازى) .

هتف الدكتور (عبادة) فى عصبية :

ـ وما الفارق ؟!

قال فى حزم :

ـ فارق كبير ، فالأجهزة الإليكترونية أسهل فى الخداع .

قال الدكتور (حجازى) فى حزم :

ـ جانبك التوفيق هذه المرة يا (نور) ، فالجهاز الذى قام بتحليل العينة ، جهاز حديث للغاية ، ونسبة الخطأ فيه تقلّ عن واحد فى المليون .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ الجهاز لم يخطئ ، ولكنه خُدِع .

هتف الدكتور (عبادة) :

ـ وكيف ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ منذ حدث هذا ، وأنا أتساءل عن سبب المبالغة الشديدة فى الموقف .. دماء سوداء ، ووحش غريب ، ونيران .. مشهد عنيف للغاية ، للتخلص من جثة ، كان يمكن أن تحترق أمام أعينكم ، دون أن يملك أحدكم وسيلة واحدة لمنع هذا .

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى)، وهو يغمغم :

- هذا صحيح .

أما الدكتور (عبادة)، فتساءل فى عصبية :

- لماذا حدث كل هذا إذن ؟!

أجاب (نور) بنفس السرعة :

- لتشتيت الانتباه .

اتسعت العيون كلها فى دهشة حائرة، فتابع فى حماسة :

- لقد كان هذا الأمر يشغلنى بشدة منذ حدوثه، فالدكتور (فريد) والدكتورة (عبلة) قتلهما الرعب وحده .. رؤية ذلك الكاهن الرهيب، مع المظاهر المخيفة التى أحاطت به، قتلتهما رعبًا .. ثم جاء مصرع الدكتور (مينا) على نحو مختلف تمامًا .

غمغمت (نشوى) فى حيرة متوترة :

- ولكننا شاهدنا كل هذا بأنفسنا .

قال (نور) :

- شاهدنا عشرات العقارب الحمراء تهاجم الجميع .. ثم أدركنا بعدئذ أن العقارب التى هاجمتنا، والتى شعرنا بأقدامها تتسلق ملابسنا وأجسادنا فى وضوح، كانت مجرد وهم .. حتى العقرب، الذى تصورنا أنه قد قتل الدكتور (مينا)، انسحق تحت قدم (أكرم)، وترك حفنة من البلازما فحسب .

هتف الدكتور (حجازى) :

- ما الذى قتل الدكتور (مينا) إذن ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- الرعب يادكتور (حجازى) .. نفس الرعب الذى قتل رفيقيه .. أما ما رأيناه جميعًا من اسوداد وجهه وتنفلخه، فلم يكن سوى وهم خداعى فائق .. حتى عينة الدم الأسود، والوحش العجيب .. كلها مزيج من الخداع، والبلازما، وقدرة العقل المذهلة على التحريك .. لهذا احترقت الجثة عن آخرها، واحترق الوحش معها،

حتى يستحيل إدراك الخدعة ، التى تهدف إلى إقناعنا بحدوث تغيرات مادية فى جسد الضحية ، وإبعاد أذهاننا عن فكرة الوهم الفائق .

هتف الدكتور (عبادة) معترضًا :

- فلنفترض أن قدرته على خداع حواسنا قد جعلتنا نرى الدماء العادية وكأنها سائل أسود لزج .. كيف أمكنه إقناع جهاز تحليل العينات الإليكترونى بهذا أيضًا .

أجابه (نور) :

- لم يكن بحاجة إلى هذا ، فالعينة التى فحصها الجهاز كانت بالفعل لمادة سوداء لزجة ، غير معروفة فى عالمنا .. أو بمعنى أدق ، فى زمننا هذا .. مادة كان لها وجود فى الأزمنة السحيقة ، منذ ملايين السنين .. ربما هى نتاج عملية تطوّر قشرة الأرض نفسها ، أو هى بقايا نيزك هوى من الفضاء الخارجى يومًا ما ، فى أثناء تكوُّن كوكبنا .. المهم أنه قد تم استبدالها بعينة الدم ، فى أثناء انشغالكم بالظواهر الوهمية المخيفة ،

حتى تكتمل الخدعة ، ويصبح لدينا دليل على حدوث تغيرات مادية .

هزّت (سلوى) رأسها فى حيرة ، قائلة :

- وما الغرض من إثبات هذا ، أو بذل الجهد لإقناعنا به ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

- لأنه يعلم أننا أذكياء بدرجة كافية ، بحيث يمكننا كشف حقيقته ، وإزاحة القناع ، الذى يُحكم به سيطرته على المنطقة كلها ، منذ آلاف السنين .. لهذا كان لابد أن يدمر كل الوثائق والصور والأفلام الخاصة بالبعثة الأولى ، وأن يستعيد كل شىء ، وإلا لأدركنا بعد حين ، طال أم قصر ، أن قوته كلها تكمن فى الوهم .. الوهم الملموس ، الذى لم يعرفه علمنا قط .

قال الدكتور (رمسيس) فى توتر ، وهو يتحسّس جدران المعبد مرة أخرى :

- هل تعنى أنه من المحتمل أن يكون كل هذا مجرَّد وهم ؟!

عقد (نور) ساعديه أمام صدره فى حزم صارم ، وهو يقول :

- إنه كذلك بالتأكيد .

ثم التقى حاجباه ، مضيفًا فى حزم أكثر ثقة :

- ولو أردتم رأيى ، فهو لم يغادر المكان أبدًا .. إنه هنا .. يراقبنا ، ويستمع إلينا ، ويدرس ردود أفعالنا .. و ...

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يضيف :

- ويتميَّز غضبًا ؛ لأننا قد كشفنا أمره .

لم يكد ينطق العبارة الأخيرة ، حتى ارتجَّت جدران المعبد فى عنف ، وبدا وكأنها ستنهار على رءوس من بداخله ، فانطلقت صرخاتهم المذعورة ، فيما

عدا (نور) و(أكرم) .. الثانى تلفَّت حوله فى توتر بالغ ، وهو يقبض فى عصبية على مسدسه ، الذى لم تعد خزانته تحوى سوى رصاصة واحدة ..

والأول وقف ثابتًا ، قويًا ، متماسكًا ، تطل من عينيه نظرة صارمة ، تفيض بالحزم والتحدى ..

ثم انهارت الجدران ، وانهار سقف المعبد فجأة ..

لم تسقط كلها كجدران ، أيًا ما كانت ماهيتها ..

وإنما ككتلة ضخمة من البلازما ..

كتلة شبه سائلة ، حمراء ، لزجة ، تهاوت وانتشرت بين أقدامهم فى سرعة ، حاملة معها الدليل على صدق كل كلمة نطق بها (نور) ..

فهناك ، وفى نفس موضعه السابق ، كان يقف ذلك الكاهن الرهيب ..

وخلفه ، وعلى عمود من الرخام ، استقرّ (إصبع الشيطان) ، داخل صندوقه الزجاجى البدائى ..

والكل يقفون وسط الأحراش مباشرة ..

وكان هناك آخرون ..

جيش من الزنوج البدائيين ، يصوبون إلى (نور) ورفاقه أسلحتهم ..

« ما ترونه الآن ليس وهمًا .. »

انطلق الصوت صارمًا ، جافًا ، غاضبًا ، فى أعمق أعماق مخ (نور) ، الذى انعقد حاجباه فى شدة ، وعيناه ترصدان أسنة الرماح ، ورءوس السهام الحادة ..

فكلها ، فى تلك اللحظة ، كانت تحمل له ولرفاقه الموت ..

الموت وحده ..

وبلا رحمة ..

* * *

٧ ـ ثـــورة ..

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى شدة ، وهو يطالع النتائج ، التى تراصت أمامه على شاشة الكمبيوتر ، فى مركز الأبحاث العلمية ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ هذا التقرير غير قابل للتصديق .

أجابه كبير العلماء فى حزم :

ـ مهما بدا عجيبًا ، فهو ما توصلنا إليه ، بعد أن درسنا كل شىء ، وفحصنا كل النتائج .

ثم اكتسب صوته ثقة وصرامة ، وهو يضيف :

ـ هذه الأحراش كلها ليست سوى نمط خداعى متفوق ، لم تبلغه علومنا بعد ، وكل ما تحويه ليس نباتيًا ، بل وليس حتى حقيقيًا .. إنه مزيج عجيب ، يتكون فى أساسه من البلازما والفسفور ، مع مجموعة من عناصر نادرة أخرى .

حدّق الدكتور (جلال) فى النتائج على الشاشة ، وغمغم بصوت لم تفارقه الدهشة بعد :

ـ بلازما وفسفور ، بكل هذه الكمية .

وصمت لحظة ، ثم هتف مستنكرًا :

ـ مستحيل !

أجابه كبير العلماء :

ـ هذه الاستحالة العلمية هى ما أريكنا فى البداية ، لولا أن اتفقنا على أننا أمام حالة غير نمطية ، وينبغى أن نتعامل معها بأسلوب وتفكير غير نمطى .. ومن هنا فقط تفتحت أمامنا الحقائق ..

وأشار إلى شاشة الكمبيوتر ، مستطردًا فى حسم :

ـ فى عالمنا ، وبإمكانياتنا المتطوّرة المعاصرة ، من المستحيل إنتاج كل هذه الكمية من البلازما ، فإنتاج مثلها ربما يحتاج إلى ما يقرب من مليون عام .

غمغم الدكتور (جلال) مستنكرًا :

ـ مليون عام .

أجابه كبير العلماء فى حزم :

ـ نعم .. مليون عام .. وهذا يضعنا أمام احتمالين ، لا ثالث لهما .. إما أن يكون خصمنا من عالم آخر ، يفوق تطوّرنا ألف مرة على الأقل ، أو أنه كان لديه الوقت الكافى لإنتاج كل هذه الكمية .

قال الدكتور (جلال) فى استنكار أكثر :

ـ كان لديه مليون عام ؟!

أجابه كبير العلماء :

ـ ليس هذا فحسب ، ولكنه عاصر حضارة سابقة أيضًا ، خلال هذه الأعوام المليون .. حضارة بلغت أوجها ، قبل أن تفنى ، وتفسح الطريق لحضارتنا هذه ، التى لم تبلغ فيها ما بلغته تلك الحضارة السابقة بعد ، وهذه نظرية علمية قديمة ، يكشف العلم فى كل يوم ما يؤيّدها(*) ..

(*) حقيقة ، فهناك شواهد عدة على وجود حضارة قبلنا ، بلغت درجة مذهلة من التقدم العلمى ، ثم فنيت لأسباب خارجية ، أو لحروب داخلية ساحقة شاملة ..

بدأ اعتراض الدكتور (جلال) يتخاذل ، وهو يغمغم :

- وكيف لم يفن معها ؟!

أجابه عالم آخر فى انفعال :

- لنفس السبب الذى جعله يحيا لملايين السنين .. لأنه يمتلك القدرة على التحوصل ، أو الكمون طويل المدى ..

ثم أضاف كبير العلماء فى حزم :

- لاحظ أن العلم والحفريات الجيولوجية تكشف حتى الآن ، أشكالاً وألوانًا من الحياة ، التى سادت الأرض ، منذ ملايين السنين ، والتى لم نكن ندرى بوجودها قط ، فما بالك بأشكال الحياة التى فنيت بالكامل ، دون أن يصلنا عنها دليل واحد ؟!

صمت الدكتور (جلال) طويلاً ، وهو يفكِّر فيما سمعه ورآه ، قبل أن يغمغم فى خفوت شديد :

- إذن فأنتم تستبعدون نظرية القادم من عالم آخر .

أجابه كبير العلماء فى ثقة :

- إنه لن يحمل معه أطنانًا من البلازما والفسفور ،

فقط ليحيط نفسه بعالم وهمى ، ينطوى داخله لآلاف السنين .

أومأ الدكتور (جلال) برأسه متفهمًا ، وهو يغمغم :

- بالتأكيد .

تبادل العلماء نظرة صامتة ، قبل أن يتنحنح أحدهم ، قائلاً :

- هناك مشكلة أخرى .

سأله الدكتور (جلال) فى قلق :

- وما هى ؟!

أجابه فى حذر :

- النشاط الإشعاعى الحيوى ، المنبعث من تلك الأحراش ، بلغ حده الأقصى ، ولم يعد يشبه ذلك الخاص بعمليات الهضم .. لذا فقد استعنا بخبير نفسى ، متخصص فى تفسير الانبعاثات الحرارية الحيوية .

سأله الدكتور (جلال) ، فى لهفة أشدّ قلقًا :

- وماذا قال ؟!

أجابه كبير العلماء هذه المرة :

- أولاً ، قال : إن الأحراش تموج الآن بأعداد كبيرة من البشر ، لم يكونوا هناك فى التسجيلات السابقة .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يحاول إيجاد تفسير لهذا ، متسائلاً فى حذر قلق :

- وثانيًا ؟!

تبادل العلماء نظرة صامتة أخرى ، قبل أن يجيب أحدهم :

- أن الانبعاث الحرارى الحيوى ، يشبه ذلك الذى ينبعث من شخص مختلٍّ عقليًا ، وغاضب إلى أقصى درجة ، ويسعى لـ ..

لم يستطع إكمال عبارته ، من شدة توتره وتردُّده ، فهتف به الدكتور (جلال) :

- لماذا ؟!

صمت العالم لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

- للقتل .

واتسعت عينا الدكتور (جلال) عن آخرهما ، وانتفض جسده كله بعنف ..

بمنتهى العنف ..

* * *

لدقيقة كاملة ، لم يتحرك أحد ، أو ينبعث حرف واحد من أى مخلوق ..

لا (نور) ورفاقه ، ولاجيش الزنوج البدائيين ، الذى يصوِّب إليهم أسلحته ..

وطوال تلك الدقيقة ، كان (نور) يتطلَّع إلى عينى ذلك الكاهن الناريتين مباشرة ، فى تحد صارم قوى ، قبل أن يقول فى غضب :

- والآن ماذا ؟!

قال (أكرم) فى عصبية ، وهو يلوِّح بمسدسه :

- (نور) .. أهذا وهم أيضًا ؟!

غمغمت (سلوى) فى رعب :

ـ إنه يبدو لى حقيقة .

غمغمت (نشوى) :

ـ وأنا أيضًا ..

ولم ينبس الدكتور (عبادة)، أو الدكتور (حجازى)، أو الدكتور (رمسيس)، أو حتى (رمزى) بحرف واحد، وهم يديرون عيونهم فى ذلك الجيش البدائى الرهيب ..

أما (مشيرة)، فقد هتفت فى سخط :

ـ أكان من الضرورى أن يتعطَّل عمل آلة التصوير ؟!

التفت إليها (أكرم) فى دهشة مستنكرة، قبل أن يهتف فى حنق :

ـ يا للنساء !

ثم يسأل (نور) مرة أخرى، فى عصبية أشد :

ـ أهذا وهم أم حقيقة يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ بل حقيقة يا صديقى .. حقيقة .

« لقد أثبت أنك أكثر ذكاءً، من كل من تعاملت معهم فى حياتى الطويلة بالفعل .. »

انبعث الصوت الغاضب داخل عقل (نور)، الذى ازداد انعقاد حاجبيه، دون أى تعليق، فواصل الصوت فى غضب أكثر :

ـ الآخرون عجزوا عن استيعاب حقيقتى .. لا أحد أمكنه أن يتخيَّل الأمر .. كلهم خدعهم العالم الوهمى، الذى أحيط نفسى به، ولم يمكنهم رؤية الحقيقة .

قال (نور) فى صرامة :

ـ والآن سقط القناع، وانكشفت الحقيقة .

بدا له الصوت، الذى يتردَّد داخل عقله، وكأنما أضيفت إلى الغضب فيه رنة ساخرة، وهو يقول :

ـ الحقيقة ؟! كلاَّ أيها العبقرى .. لقد توصَّلت إلى الكثير، ولكنك لم تصب كبد الحقيقة بعد .

وانعقد حاجبا (نور) بشدة أكثر وأكثر ، عند هذه النقطة ..

لم يصب كبد الحقيقة ؟!

هناك أمر ما مازال ينقصه إذن ..

أمر حيوى للغاية ..

أمر يصنع الفارق ، بين معرفة التفاصيل ، وإصابة كبد الحقيقة مباشرة ..

ولكن ما هو ؟!

ما هو ؟!

« لاتجهد نفسك ؛ لأنك لن تكشفه قط .. مهما بلغت عبقريتك .. »

لم يسمع الآخرون العبارة ، التى التقطها عقل (نور) وحده ، ولكنهم سمعوه جميعًا يقول فى صرامة :

ـ أهذا تحد آخر ؟!

بدت عليهم الحيرة ، ولكن أحدهم لم يعلّق أو يعترض ،

وقد أدركوا أن حوارًا خاصًا خفيًا ، يدور بين عقله وعقل خصمه وحدهما ، والذى قال فى سخرية :

ـ اعتبره كذلك .. اعتبره التحدّى الأخير .

مع آخر العبارة ، التى ترددت فى عقل (نور) ، رفع الكاهن يديه ، وبينهما تلك الجمجمة غير البشرية ، فتألقت عيون الزنوج المحيطين به ، وجذب بعضهم أوتار الأقواس ، فى حين رفع الآخرون رماحهم فى تحفز ، وذلك الصوت الشامت يتابع ، فى أعمق أعماق عقل (نور) :

ـ الذى سيدفن معكم جميعًا .. هنا .

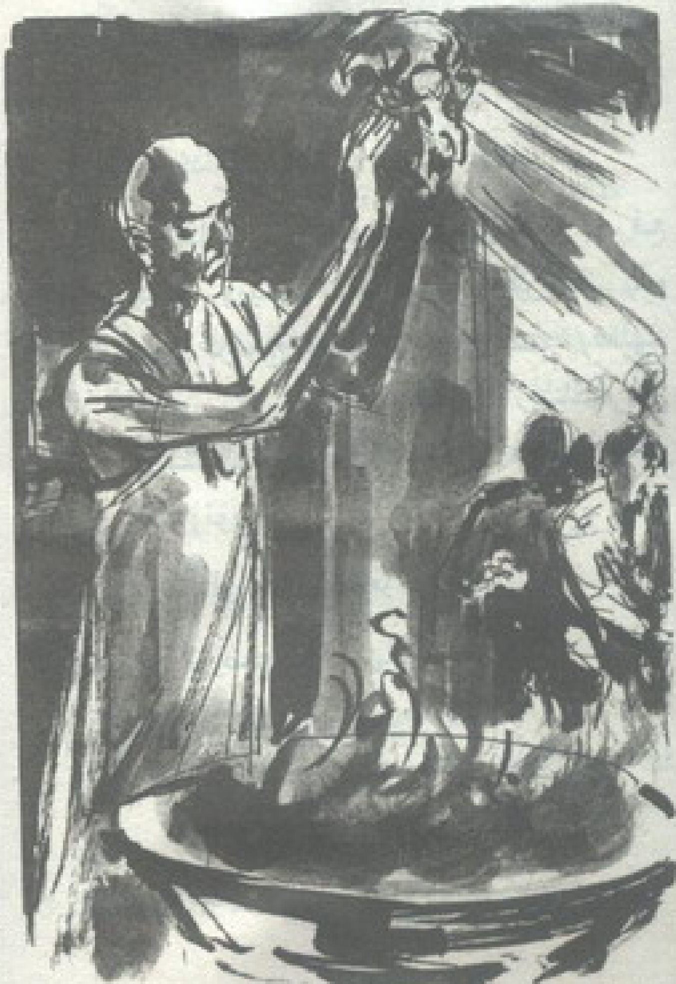
وبدا من الواضح أنها النهاية ..

نهاية عملية الكاهن الرهيب ..

ونهاية (نور) .. وفريقه ..

تمامًا ..

* * *



رفع الكاهن يديه ، وبينهما تلك الجمجمة غير البشرية ..

رياح عجيبة ، تلك التى بدأت تهبّ على عاصمة تلك الدولة الإفريقية ، مع اقتراب منتصف الليل ..

رياح ساخنة ، قوية ، تحمل رائحة عجيبة مخيفة ..

رائحة الخطر ..

والشر ..

ومن خلف نافذة حجرته الكبيرة ، وقف رئيس الدولة ، يراقب تأثير تلك الرياح على أشجار حديقته ، وهو يتمتم فى توتر بالغ :

- إننى لم أشهد رياحًا كهذه منذ مولدى .

تمتم مدير المخابرات ، الواقف إلى جواره :

- وأنا أيضًا .

التفت إليه الرئيس ، متسائلاً :

- هل بلغتك أية معلومات ، عن رد فعل رجل الشارع العادى ، إزاء هذه الرياح العجيبة ؟!

أومأ مدير المخابرات برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ الوقت متأخر ياسيادة الرئيس ، وغدًا يوم عمل ، لذا فقد أوى الكل تقريبًا إلى بيوتهم ، والخوف يملأ نفوسهم ، من هبوب هذه الرياح ، فى الليلة التى يتصوَّرون أنها ليلة الحسم .

غمغم الرئيس :

ـ ليلة الحسم ؟!

أجابه مدير المخابرات :

ـ نعم ياسيادة الرئيس ؛ فلسبب ما عجز خبراء علم النفس عن تفسيره ، يوقن الشعب كله أن المواجهة بين المصرى (نور الدين) ، بطل التحرير ، وذلك الكاهن الرهيب ، ستحسم حتمًا ذلك الرعب ، الذى طال لآلاف السنين .

قال الرئيس فى قلق :

ـ السؤال هو : ستحسم لصالح من ؟!

قال مدير المخابرات :

ـ الأمل يراود الشعب ياسيادة الرئيس .

سأله :

ـ الأمل فى ماذا ؟!

أجاب مدير المخابرات فى سرعة :

ـ فى التحرُّر .

تنهَّد الرئيس ، وتمتم فى خفوت :

ـ ليت هذا يحدث .

ثم هزَّ رأسه ، مستطردًا فى مرارة :

ـ وكم يؤسفنى أن يأتى الخلاص على يد المصريين ، وليس على يدنا نحن .

تمتم مدير المخابرات :

ـ المهم أن يأتى .

أومأ الرئيس برأسه مؤيِّدًا ، وهو يتمتم بخفوت شديد :

ـ صدقت .

واعتدل ، يتطلع إلى أشجار حديقته ، وهى تتمايل بشدة ، وتتساقط بعض أوراقها الجافة ، بتأثير الرياح الساخنة ، قبل أن يقول فى توتر أكثر سخونة :

ـ فلنأمل أن ينحسم الأمر لصالحنا نحن .

التفت إليه مدير المخابرات فى دهشة ، فأضاف فى حزم :

ـ نحن البشر .

وكانت عبارته صادقة تمامًا ..

وإلى أقصى حد ..

* * *

توتر عنيف ، ذلك الذى سرى فى جسد (أكرم) وأصابعه تكاد تعتصر مقبض مسدسه ، الذى لم تعد خزانته تحوى سوى رصاصة واحدة ..

أما الباقون ، فقد اتسعت عيونهم فى رعب ، وهم

ينتظرون الموت برمح قديم ، أو سهم يخترق العنق ، أو يغوص فى القلب ..

هذا لأن الزنوج ، الذين يحيطون بهم ، ويتحفزون لقتلهم ، بتلك الأسلحة البدائية ، كانوا يبدون مسلوبى الإرادة ، خاضعين لتأثير ذلك الكاهن الرهيب تمامًا ..

ولقد برقت عينا الكاهن أكثر وأكثر ..

وحملتا كل الشر ..

والغضب ..

والشماتة ..

والجمجمة غير البشرية ، التى بين يديه ، بدأت تتألق ..

وتتألق ..

وتتألق ..

و ...

وفجأة ، انطلق ذلك الرمح ، يشق هواء الأحراش بمنتهى القوة ..

وأمام عيون الجميع ، اخترق تلك الجمجمة ، وانتزعها من بين يدى الكاهن ، وطار بها لثلاثة أمتار أخرى ، قبل أن يسقط معها ، وينغرس فى الأرض ، وسط الأغصان المتشابكة ..

واستدارت العيون كلها فى سرعة ، إلى المصدر ، الذى انطلق منه ذلك الرمح ..

وخاصة عينا الكاهن الغاضبتين ، اللتان اشتعلتا بكل غضب الجحيم ..

وكانت (مشيرة) أول من هتف ، فى دهشة وفرحة بلاحدود :

- سيِّد (أمجد) .

حدَّق الكل فى (أمجد صبحى) ، الذى برز من بين الأحراش ، قائلاً بابتسامة ساخرة :

- مرحبًا أيها السادة .. هل أدهشتكم رؤيتى هنا ؟!

هتف (أكرم) :

- بل أسعدتنا فى الواقع يا سيِّد (أمجد) .

وسأله (نور) فى حذر متوتر :

- ولكن كيف ؟! كيف أتيت إلى هنا ؟!

هزَّ (أمجد) كتفيه ، مجيبًا بابتسامة ، لاتتناسب قط مع الموقف :

- بمظلة .

اشتعلت عينا الكاهن أكثر وأكثر ، وخاصة بعد أن بدا وكأن جيش المقاتلين البدائيين الزنوج الذى يتبعه ، قد أفاق من سبات شيطانى عجيب ، فور انتزاع الرمح للجمجمة غير البشرية من بين يديه ، فقد انخفضت الأسهم ورءوس الرماح ، مما جعل الدكتور (عبادة) يهتف فى انفعال :

- رباه ! لقد تأجلت لحظة موتنا .

رفع الكاهن ذراعيه فجأة ، وبدا وكأن عيناه قد اشتعلتا بنيران حقيقية ، استعاد معها سيطرته على جيش الزنوج ، فهتف (أمجد) فى سخرية :

- مهلاً أيها الأراجوز(*) .. استعادة السيطرة ليست بالأمر السهل ، فأنا لم آت وحدى .

بدت الحيرة على وجوه الكل ، مع عبارته هذه ، وغمغم (نور) فى حذر :

- ماذا تعنى يا سيِّد (أمجد) ؟!

عقد (أمجد) ساعديه القويين أمام صدره ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- يمكنك أن تقول : إننى أقود ثورة أيها المقنّع .

ومع قوله ، برز جيش آخر من الزنوج من حوله ..

(*) الأراجوز : المهرج الشعبى باللغة العامية المصرية ، وأصل الكلمة (قراقوز) .

جيش صوّب أسلحته إلى الكاهن ، والزنوج المحيطين به ..

جيش طلاوجهه بطلاء الحرب ..

وفى هدوء مستفز ، تابع (أمجد) :

- لقد فاض الكيل ببعضهم ، وقرّروا الثورة على تلك الديكتاتورية الشيطانية ، التى سيطرت على أجدادهم لآلاف السنين .

« ثورة ؟! يا للسخافة .. »

سمع (نور) العبارة فى أعماق عقله ، فغمغم فى صرامة :

لكل شىء نهاية .

أتاه ذلك الصوت رهيبًا ، قاسيًا ، صارمًا ، غاضبًا ، وهو يقول ، بعبارة لم يسمعها سوى عقل (نور) وحده :

- وبداية أيضًا .

ومع آخر القول ، رفع الكاهن ذراعيه مرة أخرى ، ثم فتح فكيه عن آخرهما ، فانطلق من بينهما لسان من نار ..

لسان رفيع طويل ، أضاء المكان كله ، فانطلقت صرخات الزنوج فى ألم وقوة ..

ومن الجانبين ..

الجيشان معًا راحا يطلقان صرخات ألم هائلة ، والكل يفلت أسلحته ، ويرفع كفيه ليمسك جانبى رأسه ، وكأنما اخترق لسان اللهب هذا عقولهم جميعًا ، وأذاب أمخاخهم بلارحمة ..

وبكل رعب الدنيا ، صرخت (سلوى) :

ـ ماذا ؟! ماذا يفعل بهم ؟

وانهار الدكتور (عبادة) هاتفًا :

ـ إنها النهاية .. إنها النهاية ..

ولوّح (أكرم) بمسدسه فى توتر ، وهو لايدرى

ما الذى يمكنه أن يفعله ، فى حين تراجع الدكتور (حجازى) والدكتور (رمسيس) بحركة آلية ، وصرخت (نشوى) رعبًا ، وهتفت (مشيرة) فى حنق :

ـ لماذا تعطّلت آلة التصوير ؟! لماذا ؟!

وفى حركة سريعة ، وثب (أمجد) يلتقط رمحًا آخر ، وهتف ، وهو يقذفه نحو الكاهن بكل قوته :

ـ لن تنتصر أيها الوغد .

تساقط الزنوج من الجانبين فاقدى الوعى ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها الرمح القوى ، وغاص فى جسد الكاهن ، لينفذ من ظهره ، فى مشهد رهيب ولكنه لم يسقط ..

فقط ، اشتعلت عيناه أكثر ، وهو يخفض ذراعيه ، وينتزع الرمح من صدره فى بطء ، جعل (مشيرة) تتمتم فى رعب :

- رباه ! إنه لايموت بالفعل .

وانعقد حاجبا (نور) و(أمجد) فى شدة ، أمام تلك الظاهرة غير البشرية ، و ...

وفجأة ، ألقى الكاهن الرمح نحو (أمجد) ..

وبكل قوته ..

وبرد فعل سريع ، مال (أمجد) جانبًا ، وانحنى متفاديًا ذلك الرمح ، الذى انغرس فى جذع الشجرة خلفه ، ولكنه لم يكد يعتدل ، حتى التفت أغصان الشجرة نفسها نحوه ، وضمته إليها فى قوة ، فهتف (نور) :

- يا إلهى ! السيِّد (أمجد) ..

أتاه ذلك الصوت العقلى ، يقول فى شماتة :

- إنه غبى .. لقد تحدى قوتى وخبراتى .. لذا فسيموت .. تمامًا كما ستموتون جميعًا .

صاح (نور) فى صرامة :

- أقنعتك كلها سقطت أيها الحقير .. وهمك لم يعد قادرًا على خداعنا .

بدا الصوت ساخرًا واثقًا ، وهو يقول ، داخل عقل (نور) مباشرة :

- الوهم مجرَّد وسيلة .. وسيلة أبعدت عنى الكائنات الضخمة منذ ملايين السنين .. وسيلة منحتنى عشرات التابعين ، الذين لا همَّ لهم سوى خدمة وحماية سيِّدهم .. أنا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يغمغم :

- نعم .. التابع يخدم ويحمى سيِّده .

ثم ارتفع صوته ، وهو يقول فى صرامة :

- ولكنك أسقطت كل تابعيك أيها الأحمق .

حمل الصوت سخرية الدنيا كلها ، وهو يتردَّد فى عقل (نور) ، قائلاً :

ـ مازال هناك تابعون آخرون ..

خُيِّل إليه أن العبارة قد انتهت بضحكة ساخرة شيطانية عجيبة ، امتزجت بصيحة (أكرم) :

ـ رباه ! الرفاق .. ماذا أصابهم يا (نور) ؟!

واستدار (نور) بحركة حادة ..

ثم انتفض جسده كله فى عنف ..

فأمامه مباشرة ، وباستثناء السيِّد (أمجد) ، الذى يقاوم أغصان الشجرة القوية فى استماتة ، و(أكرم) الذى يتراجع فى ارتياع ، كان الجميع يتقدمون نحوه ، وعيونهم تشتعل كعيون ذلك الكاهن ، وملامحهم تحمل الشر ..

كل الشر ..

لقد كانت ثورة شيطانية ، يسيطر خلالها خصمه على عقول الباقين ، ويدفعهم نحو هدف يحقق له الانتصار ..

نحو قتل (نور) ..

وبلا رحمة .

* * *



٨ ـ الختـــام ..

فجأة ، انقضّ الرفاق على (نور) و(أكرم) ..

انقضوا بغضب عجيب ، وشراسة بلاحدود ، وعيونهم تشتعل بنظرة ذلك الكاهن الرهيب ، وكأنما استقرّ فى كينونتهم ، وسيطر على عقولهم ومشاعرهم ، ليدفعهم إلى الهجوم على رفيقيهما ..

وتمزيقهما إربًا ..

ومن موقعه ، الذى يقاوم فيه أغصان الشجرة الحية فى استماتة ، شاهد (أمجد) (نور) و(أكرم) يتراجعان أمام رفاقهما ، وهما عاجزان عن مواجهة هجومهم الشرس ..

وكان باستطاعته أن يفهم دقة وحساسية الموقف ..

فكم كان داهية ذلك الكاهن ، عندما سيطر على عقول الآخرين ..

من المستحيل أن يقاتل (نور) زوجته ، أو ابنته ، أو رفاق عمره !

مستحيل !

و(أكرم) أيضًا ، لن يطلق النار على رفاقه ..

حتى ولو كان الثمن حياته ..

كل ما فعله (أكرم) ، هو أن راح يتراجع ، هاتفًا :

ـ لا .. لا تدفعونى إلى العنف ..

ولكنهم لم يسمعوه ، وإنما انقضوا ، وهاجموا ..

وبمنتهى الوحشية ..

أما (نور) ، فقد انطلق عقله فى اتجاه آخر تمامًا ..

لقد فهم ما حدث فور حدوثه ..

فهم أن خصمه قد استغل وجود رفاقه فى قبضته ، فشفى جراحهم وإصاباتهم ، ليسيطر على عقولهم ، ويسلبهم إرادتهم ، من أجل لحظة كهذه .. ثم فجأة ،

وهو يستعد لصد هجوم رفاقه فى يأس ، تفجَّرت فى عقله عشرات المشاهد والعبارات والأحداث ..

التابع يخدم ويحمى سيِّده ..

الوهم مصدر قوته ..

الوهم يحميه من المخلوقات الكبيرة ..

الكاهن لم يتم رصده حراريًا فى المتحف ، على عكس الإصبع ..

إصبع الشيطان ..

الكاهن صنع به أمورًا يعجز العقل عن تصديقها ، كما قال الدكتور (مينا) ..

الكل يخافه ..

ويخشاه ..

الكاهن أعلن وجوده ليستعيده ..

والتابع يحمى ويخدم سيِّده ..

يحمى ويخدم سيِّده ..

يحمى ويخدم ..

وفجأة ، أضىء عقله كله دفعة واحدة ، على نحو جعله يصرخ فى (أكرم) بكل قوته :

- رصاصتك يا (أكرم) .. رصاصتك الأخيرة .

صاح (أكرم) ، وهو يتفادى انقضاضة رفاقه الأخيرة :

- مستحيل يا (نور) ! لن أطلق عليهم رصاصة واحدة .

مال (نور) جانبًا متفاديًا انقضاضة الدكتور (عبادة) ، ولكن المقاتل (أشرف) وثب نحوه ، وأسقطه أرضًا ، وهو يطلق زمجرة مخيفة . فصرخ (نور) بكل قوته :

- الإصبع يا (أكرم) .. إصبع الشيطان .

لم يكن هناك وقت أو مجال للتفكير ، والمناقشة ، والفهم ..


ولكن رصاصة (أكرم) كانت تعرف طريقها جيدًا ..
وبمنتهى الإحكام ..

لذا ، فلم يكد (أكرم) يسمع صرخة (نور) ، حتى استدار بكل كيانه ، ورفع فوهة مسدسه ، و ...

وأطلق رصاصته ..

رصاصته الأخيرة ..

واشتعلت عينا الكاهن الرهيب ، وهو يتحرك فى سرعة ، وكأنما يحاول حماية الإصبع ..

ولكن رصاصة (أكرم) كانت تعرف طريقها جيدًا ..

وبمنتهى الإحكام ..

والدقة ..

وأمام عينى (أمجد) ، نسفت رصاصة (أكرم) ذلك الصندوق الزجاجى البدائى ..

ثم نسفت إصبع الشيطان نفسه ..

وكثعبان قاتل ، طار إصبع الشيطان فى الهواء ، وهو يتمزق إلى نصفين ، وتفجر منه سائل أزرق ، تناثر فى الهواء ، الذى انطلقت فيه صيحة مكتومة رهيبة ، قبل أن يسقط الإصبع مسحوقًا على الأرض ..

ومع سقوطه ، انهار كل شىء بغتة ..

الأشجار ..

والنباتات الضخمة ..

والأغصان القوية ..

وحتى ذلك الكاهن الرهيب ..

ففى لحظة واحدة ، وجد (أمجد) نفسه يتحرّر ، وكل شىء من حوله يذوب ، ويتحولّ إلى بحيرة ضخمة من البلازما الحمراء ، راحت الأرض تمتصّها فى شراهة ، فى نفس اللحظة التى تجمّد فيها الكاهن ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، ثم ذاب فجأة ، وانسكب وسط بحيرة البلازما ، التى أحاطت بكل شىء ..

وفى نفس اللحظة ، تحرّر الرفاق أيضًا ..

تحرّرت عقولهم ومشاعرهم ، وحدّقوا فى بعضهم فى دهشة وذعر ، ثم حدقوا فى بحيرة البلازما التى تحيط بهم ، قبل أن تهتف (سلوى) :

ـ رباه ! ماذا حدث ؟! ماذا أصاب كل شىء ؟!

نهض (نور) ، وأزاح المقاتل (أشرف) ، ثم اتجه فى حزم نحو إصبع الشيطان ، الذى مزّقته رصاصة (أكرم) ، وأشار إليه ، قائلاً فى حزم :

ـ دعونى أقدّم لكم خصمنا الرئيسى .

حدّق الكل فى بقايا الإصبع الممزّق ، قبل أن يهتف الدكتور (حجازى) فى ذهول :

ـ وماذا عن الكاهن ؟!

اعتدل (نور) ، قائلاً فى صرامة :

ـ لقد انتهى .. ذاب ، فلم يكن كغيره سوى تابع صورة وهمية ، الغرض منها أن تحمى السيّد الحقيقى .. ذلك الإصبع .. إصبع الشيطان ..

وكانت مفاجأة عنيفة ومذهلة ..

وبكل المقاييس ..

* * *

« كائن نادر ، عاش على الأرض منذ ملايين السنين .. »

نطق الدكتور (جلال) العبارة ، وهو يواجه أفراد الفريق ، فى مقرهم الخاص ، فى مبنى المخابرات العلمية ، فى (القاهرة) ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، ليضيف :

- العجيب أنه قد تم العثور على بقايا كائنات مماثلة ، فى حفريات قديمة ، ولكن العلماء تصوَّروا أنها بقايا مبتورة لبعض الكائنات النادرة ، ولم ندرك ، إلا بعد فحص بقايا ذلك الإصبع ، أنها كائنات حية متكاملة .

هزَّت (سلوى) رأسها ، قائلة :

- لست أدرى كيف تمكَّن (نور) من استنتاج هذا ؟!

ابتسم (نور) ، قائلاً :

- هو منحنا كل وسائل تدميره ، دون أن يدرى ياعزيزتى .. هو الذى حشا خزانة (أكرم) بالرصاصات ليثبت تفوقه ، وهو الذى قال : إن مهمة التابع أن يحمى ويخدم سيِّده .. وفى لحظة بعينها ، استعاد عقلى تلك العبارة ، مع كل الأحداث الغامضة الأخرى ..

تذكَّرت حديث أفراد البعثة الأولى فى رعب عن إصبع الشيطان ، وقول السكان المحليين : إن الكاهن لايموت أبدًا .. والحديث عن موته عشرات المرات ، ثم عودته إلى الحياة مرة أخرى .. تذكَّرت كيف ظهر بغتة فى القاعة الجديدة فى المتحف ، وكيف أن أجهزة الفحص الحرارى لم تلتقط أية علامة للحياة من جسده ، فى حين أنها أشارت إلى أن الإصبع نفسه يبث حرارة تشبه ماتبثه الأجساد الحية .. ثم تذكَّرت فجأة أيضًا عبارة أخرى ، قال فيها ، عبر عقلى مباشرة ، إن قدرته على الوهم تحميه دومًا من الكائنات الكبيرة .. كل هذا تراص فى عقلى فجأة ، فاستنتجت الحقيقة .

تمتم (أكرم) مبهورًا :

- ويا لها من حقيقة !!

تابع (نور) :

- لقد أدركت عندئذ أن الكاهن ليس هو السيِّد .. إنه فقط التابع الوهمى ، الذى يواجه به إصبع الشيطان الكل ، والصورة القادرة على إرهابهم وإخضاعهم ..

صورة وهمية صنعها لتناسب الموقف ، نظرًا لصعوبة أن يخضع الكل لكائن ضئيل ، فى حجم وهيئة إصبع بشرى .. وهذا هو سر قوة ذلك الكاهن .. إنه مجرَّد وهم .. وهم شبه مادى ، لايمكن تدميره أو قتله ، مادام العقل الذى ينجبه لايزال على قيد الحياة .. وهم يحمى الكائن الضئيل من الكبار ، كما حماه منذ ملايين السنين من عصر الديناصورات الضخمة .

قالت (نشوى) فى انبهار :

- إذن فقد كان ذلك الإصبع كائنًا متكاملاً ، يحيا لملايين السنين ، ويمتلك عقلاً جبارًا .

وهنا قال الدكتور (جلال) :

- خبراؤنا يقولون : إن أسلافه لم يكونوا كذلك ، ولكنه دُفِنَ فى نفس الموضع ، الذى دفنت فيه حضارة سابقة كبسولة خاصة ، تحوى كل علومها وفنونها ونماذج من تقنياتها المتطوِّرة ، كوسيلة لإعلام الحضارات القادمة بأمر وجودها يومًا .. ولكى تحيا هذه الكبسولة لملايين السنين ، أضيف إليها جهاز

بث قوى للغاية ، يطلق أشعة وموجات خاصة ، لم نكشف هويتها بعد ، لتحديد موقعها ، وجذب انتباه أية حضارة متطوِّرة إليها .. تلك الموجات ، الشبيهة بموجات (جاما) على الأرجح ، ظلَّت تؤثِّر على الكائن المتحوصل لملايين السنين ، مما غيَّر من تركيبه الأساسى ، وصنع منه تلك الطفرة ، التى حوَّلته إلى كائن عبقرى ، طويل العمر إلى درجة تقارب الخلود ، ويمتلك قدرات عقلية مذهلة ، تزيد عشرات الأضعاف على ما امتلكه أسلافه ، منذ ملايين السنين .. ولقد عثرنا بالفعل على بقايا تلك الكبسولة ، مدفونة فى الموقع الذى كانت تحتله محرقة المعبد الوهمى .. وعلى عمق عشرة أمتار .. لقد استهلك ذلك الإصبع الشيطانى معظم محتوياتها ، ومنها تلك الجمجمة غير البشرية ، التى تركتها لنا الحضارة السابقة ، كدليل على اتصالها بكائنات من كواكب أخرى فى أوجها ، وبذور النباتات التى لم يعرفها عالمنا قط ، وجهاز بث الموجات الشبيهة بموجات (جاما) ، والذى كان السبب الرئيسى فى انقطاع الاتصالات ، وتوقُّف كل الآلات والأجهزة الإليكترونية ، التى تقع فى مجالها .

قال (رمزى) :

- عظيم .. إذن فقد أدى سقوط تلك الشر إلى كشف حضارة سابقة عظيمة .

أشار الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :

- من المؤسف أن معظم ماتحويه الكبسولة قد تلف ، بفعل عوامل الزمن ، ولكن ما تبقى فيها كثير ، وكثير جدًا .. ولقد شكلنا لجنة مشتركة ، من علمائنا ، وعلماء تلك الدولة الإفريقية ، لكشف مايمكن الاستفادة منه ، مما تبقى فيها .

تنهدت (سلوى) ، واسترخت فى مقعدها ، قائلة فى ارتياح :

- لقد شاهدنا الأهوال هذه المرة ، ولكن من حسن الحظ أن انتهى كل شىء بسلام .

غمغم (نور) فى أسى :

- بعد كومة من الضحايا للأسف .

هزّ الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً :

- لكل معركة ضحاياها ، ولكن المهم أنكم قد قضيتم على شر عذّب أجيالاً عديدة لآلاف السنين ، حتى إن شعب تلك الدولة يعتبركم أبطاله الآن .

وابتسم ، قبل أن يستطرد :

- ورئيس دولتهم يصرّ على منح الجميع ميداليات الشرف .

غمغم (أكرم) فى ضجر :

- إننى أكره الرسميات .

ابتسم (نور) ، متمتمًا :

- كلنا هذا الرجل .

ابتسم الدكتور (جلال) أكثر ، وهو يقول :

- ربما ينطبق هذا على معظمكم ، فأنتم هنا ، تنشغلون بعملكم عن حفلات تكريمكم ، والسيّد (أمجد) عاد إلى عمله بعد تقديم تقريره للسيّد الرئيس ، والدكتور

(محمد حجازى) عاد لفحص حالات الطب الشرعى الحرجة ، ويشارك خبراؤنا فى فحص بقايا إصبع الشيطان ، وكل ما تم الحصول عليه من البلازما ، التى ملأت الأحراش الحقيقية هناك ، ولكن الدكتور (رمسيس) يتحدّث فى كل مكان عن عبقريته ، فى كشف زيف المعبد ، ويصدر الآن كتاباً عن ارتباط إصبع الشيطان بمولد عقيدة سحرة (الفودو) ؛ ليؤكّد فيه أنه المسئول عن مولدها .

سأله (أكرم) فى لهفة :

– وماذا عن الدكتور (عبادة) ؟!

ضحك الدكتور (جلال) ، قائلاً :

– من العجيب أن تلقى أنت بالذات هذا السؤال ؟!

سأله (أكرم) فى توتر حذر :

– ولماذا ؟!

أجابه مبتسمًا :

– لأن زوجتك السيّدة (مشيرة) ، تجرى معه الآن ، وفى هذه اللحظة بالذات ، لقاءً على الهواء مباشرة ، ليتحدّث عن البعثة ، ودوره الخطير فيها ، وشجاعته الفائقة فى كشف حقيقة إصبع الشيطان .

صاح (أكرم) مستنكرًا :

– فى كشف ماذا ؟! ولكن (مشيرة) تعرف ما كان عليه الرجل هناك بالفعل .

أجابه الدكتور (جلال) فى سرعة :

– إنها تعلم بالطبع .

ثم غمز بعينه ، وابتسم مستطردًا :

– ولكن المشاهدين لا يعلمون .

انعقد حاجبا (أكرم) فى حنق ، فى حين انطلق الباقون يضحكون فى مرح ..

وفى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها ضحكاتهم فى (القاهرة) ، كان ضوء الشمس يغمر تلك المنطقة من

الأحراش الطبيعية ، فى قلب (إفريقيا) ، والتى تنهمكت فيها فرقتان من العلماء المصريين والأفارقة ، فى فحص بقايا كبسولة زمنية ، تركتها لنا حضارة سادت الأرض قبلنا ، منذ ملايين السنين ..

وهناك ، عند قاعدة شجرة قديمة ، وتحت ضوء الشمس ، الذى لم تشهده المنطقة منذ آلاف السنين ، كان غلاف حويصلة صغيرة يذوب ..

حويصلة ظلت كامنة ، فى الظروف غير الطبيعية ، التى عاشتها المنطقة ، لأعوام طوال ..

مليون عام ..

تقريبًا .

* * *

[تمت بحمد الله]

الشَّرّ

● كيف يمكن أن يواجه البشر شلالاً رهيباً من النيران المنهمرة ؟!

● هل يمكن أن يواجه (نور) و (أكرم) صحراء الشر الرهيبة ، دون خسائر بشرية ؟!

● تُرى من ينتصر فى هذه المواجهة الرهيبة .. (نور) وفريقه ، أم قوى (الشر) ؟!

● اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..



العدد القادم

(الأعماق)



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

137

الثمن فى مصر ٢٥٠ ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

